وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البليدة(2)علي لونيسي
قسم اللغة العربية وآدابها

الشعر العربي القديم في المنظور الاستشراقي المدرسة الانجليزية والمدرسة الألمانية أنموذجا

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه نظام ل.م.د قسم الدراسات النقدية تخصص: النقد العربي القديم

إعداد الطالبة:
خديجة بوطالب

إشراف الدكتور:
سعيد تومي

الأستاذ	الجامعة	الصفة
عيسى بكوش	الشلف	رئيسا
سعيد تومي	البليدة2	مقرّرا ومشرفا
الحاج شكوك	البليدة2	عضوا مناقشا
رولات سروري بن عودة	البليدة2	عضوا مناقشا
سعيد بكير	الشلف	عضوا مناقشا
محمد النعيمي	البليدة2	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي 2025/2024م/الموافق لـ :1441 /1442ه

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله قبل وبعد كل شيء...

الحمد لله العليّ العظيم الذي بنعمته تتم الصالحات، أتوجه بالتقدير والعرفان لمن أنـاروا دربـي وكـان لـهم الدور الأكبر في توجيهي إلى الدرب السليم أتقدم بجزيل الشكر لأساتذتي فـي قسم اللغـة العربيـة وآدابـها بجامعـة البليـدة2 علـي لونيسـي ، وأخـص بالـذكر والشـكر الـذي مهمـا وصـفته فـإني عـاجزة عـن تقـدير الأستاذ الفاضل سعيد تومي المانح لـي مـن وقتـه الكثيـر، المشـرف علـى هذه الرسـالة، بالاضـافة إلـى مـا قدمـه لي من توجيهات وآراء كان لها الأثر الكبير في نضوج الرسالة ووصولها إلـى مـا هـي عليـه الآن ، وكذا لما قدّمه من نصائح وتوجيهات قيّمة في هذا البحث، وعلى المراجع التي أستفدت منـها الكثير.

وأتقدم بجزيل الشكر لأعضاء اللجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة وتقديم الآراء التي من شأنها تقويم وتحسين هذه الرسالة.

وفي هذا لا يسعني إلا الشكر والعرفان لكل من ساندني وأعانني لإتمام هذه الرسالة ولو بكلمة نصح وإرشاد من شأنها أن تشحن دربي أو دعاء بإمكانه تيسير أموري وتزويدي بالصبر وقوة السهر.

أسأل الله العلي العظيم أن يوفقني ويتقبل هذا العمل مني خالصا لوجهه الكريم إنه هو المولى ونعم النصير

إهداء

الحمد لله الذي أعانني ووفقني في إتمام بحثي هذا.

أهدي ثمرة جهدي:

إلى والدي العزيز الذي كان عضدا محفزا لإكمال مشواري الجامعي، الذي سهرت عيناه جاهدةً لدعمي آملة في رؤيتي بأعلى مراتب العلم، أسأل الله العظيم ذو الشأن العظيم أن يُطيل في عمره ويبقيه تاجاً فوق رأسي.

إلى والدتي الحبيبة التي وقفت بجانبي داعمة لي ومشجعة لتفوقي آملةً في نجاحي وتميّزي، أعلى الله مقامها وأطال في عمرها وأمدها بالخير والصحة والعافية، وأسأل من الله الكريم أن يطيل في عمرها.

إلى زوجي وحبيبي و رفيق دربي الداعم والمشجع ، الذي حارب معي الصعاب مخففا طعمها المرير عليّ، أسأل الله أن يديم عشرتنا ويبقيه تاجا فوق رأسي.

إلى الذين قاسموني الدم والرحم إخوتي الأعزاء: فهيمة، ليديا، محمد نذير وزين الدين

إلى فلذة كبدي:إسراء أسأل الله أنْ يوريني مثل هذا اليوم وأراها في أعلى المناصب العلمية الشريفية إن شاء الله.

بناتي التي لم أنجبهما: إكرام وآية أسئل الله أن يوريني فيهما مثل هذا وأن تقدما مثله وأحسن منه

إلى جميع أساتذتي الذين تكونت على أيدهم طوال مشواري الجامعي وبالخصوص الأستاذة حميداتو والأستاذة آمال زعيم و شناق حفظهما الله وأكثر من أمثالهما.

خديجة

مقدمة

مقدمة:

مثّل االشعر العربي القديم سجّل الحضارة التاريخية والثقافية للأمة العربية، حيث ألقى عليها سُبل الفصاحة و البلاغة بأسطره الذّهبية التي أضحت ديوان العرب في تلك الحقبة الزمنية ولازالت ليومنا هذا لا يضاهيها أحد على مرّ العصور، نظرًا لما فيه من سحرٍ بياني وجمالٍ بلاغيّ، جعله حقلا خصبا للدراسات الغربية ، كلام منشؤه السليقة أتى بكنوزٍ بقت راسخة على مر العصور ، بل وأضحت له قاعدة يُرتكز عليها كل العصور الآتية بعده، وضعهم في حيّز العجز وعدم القدرة على مجاراته بما استحوذ من مكتسبات فطرية أدت لخضوعهم تحت إمرته.

و تُعّدُ قضية الانتحال في الشعر الجاهلي من القضايا المهمّة العربية التي درسها الغرب ، فهي ظاهرة أدبية لا تقتصر على أمة دون غيرها، تفطن إليها العرب القدماء وسهروا جاهدين منقّبين في خباياها للوصول إلى التوثيق و التمحيص ليغنونا بالصحيح من الزائف، فكثرت الأيادي واضطربت أقلام المحدثين العرب و المستشرقين بغاية البحث والفضول في الشعر الجاهلي ومدى صحته.

برزت المدارس الاستشراقية واختلفت كلٌّ حسب طبيعة القصد، فمنها من اهتمت بشتى المجالات السياسية، الدينية والعلمية، وهناك منْ أولت اهتمامها بالتمحيص العقلاني وإعادة النظر في المجال الحضاري الشرقي.

بعد طول البحث والدراسة توصلنا لاختيار مدرستين من أهم المدارس الاستشراقية الأوروبية ألا وهما:

المدرسة الانجليزية والمدرسة الألمانية.

يعود سبب اختياري للمدرستين تحديدًا دون غيرهما ل:

- الشعر العربي القديم من أهم الموضوعات الأدبية والنقدية التي تستوجب الدّراسة .
- حداثة الاستشراق وسعيه لدراسة تعاليم العالم الشرقي الدينية واللغوية.
- اهتمامي وسعييّ في إيجاد مدرسة استشراقية تُخالف بقية المدارس الاستشراقية من ناحية الغاية والمبدأ.
- اكتشاف هل فعلا جُل الدراسات لها نفس المسعى.
- الملاحظة التي جذبت إنتباهي وهي تخصيص فئات وبعثات علمية استشراقية للتعلم اللغة العربية قصد فهم الشعر الجاهلي والقرآن الكريم.

نظرا لكثرة الدراسات الاستشراقية حول قضية تصحيح الشعر العربي القديم وجب الوقوف عند قضية الانتحال في الشعر الجاهلي وصحته،محاولين التطرق إلى أبرز النقاد العرب القدماء والمحدثين والإمعان في دراساتهم للشعر العربي ، هذا ما زاد في اهتمامنا بالموضوع إضافة إلى عدّة أسباب أخرى نذكر منها:

- أن أُبيّن تفطن العرب القدماء لقضية الانتحال وصحة الأشعار الجاهلية والدفاع عن هذا الموروث مع إظهار قيمته الجمالية والفنية.
- حب التطلع للدراسات الاستشراقية و اكتشاف السرّ الكامن من وراء اهتمامها بالحضارة القديمة العربية والموروث الشعري
- إبراز مكانة الشعر العربي القديم و بالتحديد الجاهليّ منه، لطول الفترة و كثرة الأحداث و تغيُّر الأشعار وتنوعها من كل النواحي.
- أردت إيجاد تفسير مقنع لربط رواد المدرسة الانجليزية الاستشراقية الشعر القديم بالقرآن و الوحي و ينبوع الوحي.
- دفعني الفضول المعرفي لاكتشاف السرّ من وراء تخصيص علماء أجانب وباحثين في اللغة العربية والموروث الشعري وكل ما يتعلق بالعالم الشرقي من حالات اجتماعية ، وبُنى ثقافية وأحوال سياسية ومعتقدات دينية .
- بالاضافة لميولي الشخصي للشعر العربي القديم ومتعة دراسته من جهة، وغيرتي على حضارتنا العربية العريقة الساعين لتشويهها من جهة أخرى، مع الدفاع على سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ومحاولة إزالة التهم الموجهة إليه.

فجاء بحثنا موسوما: **"الشعر العربي القديم من المنظور الاستشراقي المدرسة الانجليزية والمدرسة الألمانية أنموذجا"**، محاولين تحليل أبرز القضايا الناتجة عن أعمال ومؤلفات بعض المستشرقين الانجليز والألمان ومناقشة أفكارهم المتصلة بالشعر الجاهلي ولغته المستعملة، مع المقارنة بين أراء كل من المدرستين ، وهذا ما جعلنا نطرح التساؤلات التالية:

ماهي مجمل الآراء النقدية التي سجلها المستشرقون حول الشعر؟ كيف كانت النظرة الاستشراقية الانجليزية للشعر الجاهلي؟ وهل صحيح أنّهم ربطوها بالوحي الرّباني؟ وما موقف المدرسة الألمانية؟ هل كانت تقابلهم بالتأييد أم المعارضة؟

لما أفاضوا واستفاضوا وتمعنوا وغاصوا في الجذور البعيدة للشعر العربي القديم؟ وهل كانت نتائجهم متطابقة أم مخالفة مع ما وضعه النقاد العرب القدامى؟ ولما استهل مرجليوث وسان كلير تيسدال دراساتهما في الشعر الجاهلي بالموقف الديني؟!

وقد اعتمدت في دراستي بشكل كبير على المنهج التحليلي المقارن والمنهج التاريخي.

قام بحثي على خطة: مقدمة ، فصل تمهيدي وثلاثة فصول واتّبعتها خاتمة ضمّت خلاصة أهم النتائج،وملاحق وملخص.

جاء في الفصل التمهيدي: الجاهلية بتفسير مصطلحها مع ذكر سبب التسمية،ثم ذكرت الخصائص التي استفرد بها الشعر الجاهلي عن سواه معنويةً كانت أولفظية، بعدها تطرقنا لرواية الشعر الجاهلي.

التعريف بالقضية النقدية التي أثارت الكثيرمن الجدل وهي قضية النحل أوالانتحال ، مع الإستناد واللجوء للنّقاد العرب القدامى : ابن سلام الجمحي عمرو بن بحر الجاحظ وابن رشيق القيرواني.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان: الاسشتشراق الانجليزي والاستشراق الألماني متضمنا ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستشراق من الناحية المفهومية اللغوية والاصطلاحية، المستشرق تعريفه، الحركة الاستشراقية، معنى المصطلح الاستشراقي عند العلماء العرب والغرب.

المبحث الثاني: المدرسة الانجليزية (التعريف والنشأة)،مع ذكر مجالات الاستشراق الانجليزي، ثم اتجهنا للخصائص ومميزات المدرسة الانجليزية.

المبحث الثالث: الاستشراق الألماني، مع ذكرنا النشأة وأهم مميزاته وخصائصه.

أما **الفصل الثاني** فجاء بعنوان :"**المستشرقون الانجليز والشعر الجاهلي"**، جاء في ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: أصول الشعر الجاهلي عند صموئيل مرجليوث Samuel Margolioth بعد تحليل مقالته نتوجه في عرض النّقد الموجه له من قبل النّقاد والباحثين.

المبحث الثاني: لغة الشعر الجاهلي والقرآن عند المستشرق سان كلير تيسدال St Clair Tisdale مع ذكرنا كل الأسباب التي التمسها واعتمد عليها في طرحه وتفسيراته، بعدها توجهنا بتبيان صحة مسعاه ورأي النقاد فيما آلى إليه.

المبحث الثالث: مصداقية المستشرق تشارلز ليال Charles Lyall والتطرق للنقد الذي توجه به لرائد المدرسة الانجليزية صموئيل مرجليوث.

الفصل الثالث : جاء بعنوان:" **المستشرقون الألمان والشعر الجاهلي،** تطرقنا فيه لأبرز المسترقين الألمان:

المبحث الأول: وينقسم لجزأين رئيسين:

الأول: المستشرق تيودور نولكه Theodor Nolideke ودراساته في تاريخ الشعر العربي القديم.

الثاني:بعد الدراسة والتحليل خصصنا الجزء الثاني للنقد الموجه لدراسته بعد الدراسات النّقدية الموجه له.

المبحث الثاني:المستشرق آيريش برونيلشErich Braunlich ودراسته للشعر الجاهلي مع النقد الموجه له.

المبحث الثالث:كارل بروكلمانCarl Brokelmann ودراساته لتاريخ الشعر الجاهلي والتي انتهت بمؤلف:" تاريخ الأداب العربي" مع تقديم النّقد الموجه له من قبل النّقاد.

من أهم الدراسات الأكاديمية التي تناولت الاستشراق:

مذكرة لنيل شهادة الماجستر الموسومة:"**صحة الشعر الجاهلي بين دراسات العرب والمستشرقين**" دراسة وصفية مقارنة ل: علي قرش،امعة زيدان عاشور-الجافة-2009/2008م.

وأطروحة دكتوراه:" **الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني** "دراسة تحليلية نقدية، للكاتبة: فاطمة فاتح، اشراف:د.عبد القادر عيساوي ،ت 2016م.

بالاضافة لأطروحة الدّكتوراه الموسومة:" **موقف الاستشراق الألماني من التراث العربي الإسلامي زيغرند هونكه أنموذجا**" لأسامة مهملي، وكذلك أطروحة دكتوراه:" **الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية**" للمؤلف: بوزقاو مريم وغيرها من الأعمال الأكاديمية الخاصة بالاستشراق.

من أهم المصادر والمراجع التي ساعدتنا في انجاز بحثنا هذا: كتاب :"**الدراسات الاستشراقية حول صحة الشعر الجاهلي لعبد الرحمن بدوي**".

كتاب سان كلير تيسدال:" **المصادر الأصلية للقرآن**" ترجمة عادل جاسم.

وكتاب :" **لغة القرآن في منظور الاستشراق**".

"**ومصادر الشعر الجاهلي**" لناصر الدين الأسد،وكتاب:" **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي** "لشوقي ضيف مع الاستعانة بمذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه الموسومة:"**دراسات المستشرقين**

للشعر الجاهلي نظرية مرجليوث وآراء المستشرقين والنقاد العرب فيها والوحدة الموضوعية والخيال والأنواع الأدبية "للطالب محمد أكرم العوسجي.

أما العقبات التي واجهتنا؛ فهي حداثة الموضوع ،وإدخال مرجليوث للموقف الديني في صحة الشعر الجاهلي مرارا وتكرارًا ما زاد الأمر تعقيدا،إضافة إلى ضيق الوقت، وقلة المصادر والمراجع في الدراسة الشعرية الاستشراقية ،خصوصا في الشعر الجاهلي.

وفي الأخير أتوجه بالشكر والعرفان لله عزّوجل الذي وفقني لإتمام بحثي هذا ، ولفضيلة الأستاذ المشرف" سعيد تومي" الساهر على إتمام بحثي وإعطائه صورة راقية كاملة لائقة بالمستوى العلمي الذي سيعرض أمام نخبة من الأساتذة المناقشين ،مزودا إيّانا بالنصائح والارشادات والتوجيهات، شاكرين لحضرته الكريمة والمحترمة على صبره وتواضعه، فلك جزيل الشكر والعرفان ،ومهما أبدعنا في شكره فقد أجحفنا لأنه ومن دون مجاملة يستحق خالص عبارات التقدير و الاحترام .

مدخل
قراءة في
المفهوم
والخصائص

الشعر الجاهلي:

العصر الجاهلي من أرقى العصور العربية التي عكست لنا صور حياتهم وبيّنت عاداتهم وتقاليدهم. اشتهر بقيمته الأدبية والفنية التي أبدع فيها شعراء العصر وتنافس حولها،إذن فماذا نقصد بالعصر الجاهلي؟ وإذا كان العصر غنيا أدبيا ولغويا فلماذا سُمي بالعصر الجاهلي؟ وماذا تعني لفظة الجاهلية؟

1.1.الجاهلية:

يُطلق لفظ الجاهلية على العهد الذي سبق الإسلام، غير أن المتعصبين راحوا يتفنّنوّن في ذمّها وإطلاق شتّى النّعوت المراد بها الانتقاض والتّهوين حتى ترتسم للقارئ صورة عن العصر مضمونها الضّلال والجهل فقد قالوا:"إنّه زمان الذّي كثر فيه الجُهّال"؛ويُقصد به أن العصر الذي لا توجد فيه لا محرّمات ولا علم".

إذا أخذنا المسار إلى الناقد "**محمود شكري الآلوسي** "نجده قد قسم الجهل لنوعين:

جهل بسيط: وهو الجهل الخاص بالفئة التي لا تعلم الحق ولا تعرف معناه وعكسه يُطلق عليه بالجهل المركب أو الجاهل المركب[1]،نجد في هذا قول عمرو ابن كلثوم:

ألاَ لا يَجْهلّن أحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجّهَلَ فَوْقَ جّهْلِ الجَّاهِلينَ[2]

يرى الدّكتور يحي وهيب الجبوري أستاذ الأدب الجاهلي أنّه من غير المعقول أنّ لفظة الجاهلية تقصد بمعناها اللفظي الحقيقي الذي هو الجهل ضد العلم والفهم ؛فهي عبارة عن وسيلة ومخرج مُتخذ من أجل فتح أبواب يتصيدون بها كل ما وُجد من جهل مُتلبس سواء في الشعر أو القرآن و الحديث وكلام العرب؛ فصفات العرب قبل الإسلام مغمورة بالفن القولي الممتاز المتمثل في أشعارهم وأمثالهم وحكمهم المأثورة،أو عن تلك الحضارة العريقة في أعماق الزمان ،يبقى السؤال المطروح هنا: هل يُعقل أن يكون قومٌ بهذه السمات أبناء الجاهلية؟[3].

فالجاهلية حسب دائرة المعارف الإسلامية يُقصد بمعناها الدقيق "زمن الجهل" وزمن الجهل هو الزمن الذي سبق زمن النور والمعرفة وهو"الإسلام أو العصر الإسلامي".

---

[1] يحيى الجبوري:الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي،د.ط،دار المعارف-بغداد-،ت:1388خ-1968م،ص:26-27

[2] ديوان عمروابن كلثوم بن مالك عتاب بن عدنان:احمد أكرم الطباع،دار القلم-بيروت- ،ت:2016م،ص111

[3] المرجع نفسه،ص:27

العصر الجاهلي يُمثّل لنا تلك الحقبة الزّمنية التي نمت فيها اللغة العربية وتكاملت بكل خصائصها وفنونها التي أولها إلينا الشعر الجاهلي.

بالرّجوع إلى الجاحظ نجده يوضح ذلك وضوحا ،فقد حدد ميلاد الشعر الجاهلي بخمسين ومائة عام قبل مجيء الإسلام،أو مائتي عام إذا استظهرنا بغاية الاستظهار[1]، وبيّن قُربه وصغر سنه ،أول من نهج سبيله وسهل الوصول إليه امرؤ القيس بن بحر وخاله المهلهل بن ربيعة.

أتى الجّاحظ بتوضيح دقيق حينما حصر العصر الجاهلي بهذا التاريخ؛لأن ما قبله من الشعر العربي بقي مجهولا ، بالرجوع إلى الجاحظ نجده يوضح ذلك وضوحا ،فقد حدد ميلاد الشعر الجاهلي بخمسين ومائة عام قبل مجيء الإسلام،أو مائتي عام إذا استظهرنا بغاية الاستظهار[2]، وبيّن قُربه وصغر سنه ،أول من نهج سبيله وسهل الوصول إليه امرؤ القيس بن بحر وخاله المهلهل بن ربيعة.

أتى الجّاحظ بتوضيح دقيق حينما حصر العصر الجاهلي بهذا التاريخ؛لأن ما قبله من الشعر العربي بقي مجهولا ،الجاحظ هنا أعطى عمرا معينا لظهور الشعر لكن بصفته الكاملة الناضجة وليس قبل ذلك،فمن المستحيل أن يظهر هذا الموروث الشعري مباشرة بهذه الحلة الفنية الإبداعية، أكيد يوجد له تاريخ طويل المدى مرّ بأشواط من الصناعة والدُّربة حتى وصل إلى هذا الشّكل والوزن المقفى،والأسلوب الموجز،وجمال التّصوير،الخيال الخصب والمعنى الدقيق ذي الألفاظ الموجزة الخالية من الغلو والطول.

أما إذا تحدثنا عن لغته فتكون العبارات خائنة ومقصرة في تبيان مكانتها و فصاحتها[3].

إذن تاريخ الشعر العربي القديم يستحيل أن تكون له مدة زمنية مضبوطة، نظرا لوجود جزء منه مدفون و مجهول وُجد فيه الشعر قبل أن يظهر بصفته المكتملة التي أتى بها الشعراء مثل: المهلهل بن ربيعة وامرؤ القيس وشعراء المعلقات.

وجدت دلائل في الشعر نفسه توضح لنا وجود شعراء من الأوائل سبّاقين للشعر من بينها

قول امرؤ القيس:

عِوجًا عَلَى الطّلَلِ المُحيلِ لأنّنَا

لدِّيارُ كَمَا بَكَى ابن خذامِ[1]

[1]ينظر:أبي عثمان عمروا بن بحر الجاحظ : البيان والتبين:تحقيق: عبد السلام محمد هارون،ج1،ط2،مطبعة الحلبي –القاهرة-،ت:1384ه-1965م،ص74

[2]المرجع نفسه ص74

[3]ينظر:يحيى الجبوري:المرجع السابق،ص27

يُحاكي امرؤ القيس في هذا البيت من قبله.

يقول عنتره

هَلْ غَادرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِمِ

أمْ هَلْ عُرِفت الدِّيَارُ بَعد توَهُمِ[2]

يُبين عنتره في هذا البيت أن الشعراء الأقدمين قد أبدعوا وتناولوا شتى المعاني فلم يتركوا للمتأخرين معنىً صالحاً.

2.1.خصائص الشعر الجاهلي:

امتاز الشعر الجاهلي عن غيره بعدّة خصائص يمكن أنْ نقسمها لخصائص فنية ومعنوية.

أ)-خصائص لفظية:

وتشمل أهم الصفات والسمات التي تميّز بها الشعر الجاهلي عمن سواه وهي:

- **غرابة الألفاظ وجزالتها**:

عندما ندرس القصيدة العربية القديمة "الجاهلية " نلحظ بها ألفاظاً غير مألوفة لا نكاد نسمعها إلا فيها، في حين كانت في عصرهم مألوفة ومسموعة ومتداولة،خصوصا لما كان الشاعر يريد التعبير عن حياته التي يقضيها بالتجوال والعيش بين الآكام والآجام ويسرح بين الآرام والأنعام[3].

أمّا بالنسبة لجزالة ألفاظها فقد كان شعراء العصر ينتقون الألفاظ الجزلة قوية المعنى حتى يُوصل رسالته على أكمل صورة ، ما جعل الشعراء يختلفون في مستوياتهم فنجد البعض خشن والبعض لا،نظرا لتأثرهم للظروف المعيشة وحسب نظام قبيلتهم اللغوي.

---

[1]ديوان امرئ القيس وملحقاته:بشرح: أبي سعيد الشكري،ط1،مج1،مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات النتحدة-العين-ت 2000م،ص 20

*متردم:الموضع الذي يستصلح على مافيه من الوهن أي :هل ترك الشعراء قبلي شيئا يُقال الشعر فيه ودون أن يقوله.

[2] ديوان عنتره بن الشداد العبسي:شرح: حمدو طماس ط2، دار المعارف-بيوت-ت2004م،ص 11 / د.مفيد قميحة:المعلقات العشر: معلقة عنتره العبسي،ط5،دار الفكر اللبناني-بيروت-،ت:2002م،ص191

[3]يحيى الجبوري: المرجع السابق،ص12

متانة التراكيب وبلاغة في الآراء:

قام الشعر الجاهلي على قواعد اللغة العربية ،إضافة إلى احتوائه على التراكيب البليغة المؤدية للمعنى المقصود حسب الظروف المناسبة بطريقة فنية إما تكون مجازية أوحقيقة،إلا أنها تحقق الغرض المراد منه عن طريق توظيف تشبيهات وصور بيانية تسمو بالأفكار إلى أعلى مراتب القوة والبروز مجتنبين الالتواء والتعقيد[1].

- **الطابع الموسيقي والاجتماعي:**

للقصيدة العربية طابع موسيقي خاص وبنية متكاملة متناسقة،وصور إيقاعية تعين القارئ على فهم المحتوى الشعري بصورة وجدانية مؤثرة.

- **العناية والتنقيح:**

من صفات الشعر الجاهلي أنه جاء بالسليقة والفطرة،فالشعراء الجاهليون كانوا يرسلون أشعارهم من دون تكلفٍ أو تنقيح،إلا أن هناك منهم من كان يتكلف ويطول تنقيحا بشعره حتى أطلق عليهم رواة الأدب "عبيد الشعر"ومن أشهرهم:النابغة الذبياني ،زهير بن أبي سلمى والحطيئة ،وكان زهير أكثرهم وحولياته التي كان يقضي فيها حولا كاملا في نظم وتنقيح أبياتها.

ذكره الجاحظ وشهد لزهير باستغلاله عاما كاملا لإيداع قصيدة واحدة.

ب)- الخصائص المعنوية:

- الصدق:

عُرف الشاعر الجاهلي بتعبيره الصادق عن أحاسيسه و مختلجاته ،وهذا ما ميّز المعلقات السبع (العشر) وكانت إحدى لزهير الذي تميّز فيها بصدق التجربة الشعورية يقول فيها:

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبيَان بَعدمَا

تَفَانُوا ودّقُوا بَيّنَهُم عِطرَ مَنْشِمِ

وَقد قُلتُما:إنّ نُدرِك السِّلم وَاسِعًا

بمالٍ و مَعرُوفٍ منَ القولِ نَسْلِمِ

[1] المرجع السابق،ص12

فَأصبَحتُما مِنْهَا عَلَى خَيرَ مَوطِن

بَعيديّنِ فيهَا مِنْ عُقوقٍ ومأْثَمِ[1]

المتمعن في أبيات زهير هذه يلحظ مدى صدق شعوره اتجاه **هرم بن سنان الحارث ابن عوف** لتحملهما دفع ديات القتلى مادحا إيّاهم.

- **النزعة الوجدانية:**

ارتسمت النزعة الوجدانية على أشعار العرب القدامى حتى إن كان موضوع الشاعر واقعي،يُلبسه ثوب شعوره ويُجسد فيه أحاسيسه مثل ما جاء في أبيات امرئ القيس:

ولَيلٍ كموْجِ البَحْرِ أرخى سدُولهُ

عَلَيَّ بأَنْواعِ الهُمومِ ليَبْتلي

فقلتُ له لما تُمطي بِجورهِ

وأردف أعجازا وتَاء بِكلْكَلِ

ألاَ أيُّهاَ اللَيْلُ الطَوِيلُ ألا أنْجَلي

بِصُبحٍ ومَا الإصْباحُمِنْكَ بأَمْثَلِ[2]

- **الخيال:**

يُعتبر الخيال من الركائز الرئيسية التي يقوم عليها الشعر العربي القديم، القائم على القدرة الحسية ومدى إدراك الشاعر ما حوله والذهاب بها في الخيال الواسع مجسدا إيّاها في شعره عن طريق كثرة التشبيهات و الاستعارات والكناية.

اتخذوا من أفق الصحراء سبيلا للتأمل فسرحوا بخيالهم بعيدا وأبدعوا وتفننوا في التصوير والتجسيد.[3]

*كريتا:كاملا وتاما ويقصد بها عاما كاملا
[1] المعلقات العشر:شرح ودراسة:د. مفيدة قميحة: معلقة زهير، المرجع السابق،ص 12
[2]المرجع السابق، معلقة امرئ القيس،ص 69
[3]ينظر:يحيى الجبوري،المرجع نفسه،ص14

- **القول الجامع:**

مال الجاهليون لاجتماع القول الظاهر في قصائدهم،فكان البيت الواحد يجمع بين عدة معاني وعدة قضايا،الأمر الذي جذب النقاد وزاد من تحفزهم لدراسته والإعجاب به حتى هم أنفسهم كانوا يفتخرون بهذه الميّزة، نجد في مطلع معلقة امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِي مِن ذِكرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسَقْطِ اللِّوَى* بَيْنَ الدّخُولِ* فوَحوْمَلِ*[1]

قالوا فيه بأنّه أول من وقف واستوقف ، وأوّل من بكى واستبكى، وأول من ذكر الحبيب والمنزل وكل ذلك في بيت واحد.

- **الاطالة و الاستطراد:**

الاستطراد من الخصائص الأساسية التي أبدع فيها الشعراء القدامى، فقد كانوا ينتقلون من الموضوع الأساس إلى المواضيع الفرعية قريبة أو بعيدة عنه بكل براعة وتفنن دون أن تفقد القصيدة جمالها ؛بل بالعكس تزيد فيها روعة وتصويرا.

- **الواقعية:**

الشعر الجاهلي هو شعر واقعي بالدرجة الأولى، فقد استمد مادته من الحياة الجاهلية المُعاشة،مصورا لبيئته تصويرا دقيقا لم يترك شيئا وقعت عليه حواسه أو تأثرت به آحاسيسه إلا و ذكره في شعره وخير مثال على ذلك عنتره العبسي.[2]

- **موضوعات الشعر الجاهلي:**

دارت موضوعات الشعر العربي القديم قبل الإسلام بين عدّة أغراض حددها العسكري في خمسٍ:المديح، الوصف، الهجاء، التشبيه والمراثي، والنابغة أضاف قسما سادسا وهو الاعتذار[3].

• بسقطِ اللّوى: منقطع الرمل *الدّخولِ والحومل:قشيل موضعان في شرق اليمامة

[1]ديوان امرؤ القيس:تحقيق وشرح:أ. مصطفى عبد الشافي،قافية اللام،د.ط،دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان،ت2014م،ص110

[2]ينظر: يحيى الجبوري ،المرجع السابق،ص15

[3] المرجع نفسه،ص16

- **بنية القصيدة:**

في الشعر الجاهلي ضربان من القصائد:

أ)-الضرب الأول:

وهو الضرب الذي عُرف بالقصائد الطويلة ،أغلب هذه القصائد تُعالج في مضمونها أزيد من موضوع؛تأتي بتجارب مختلفة عديدة مجزأة إلى مراحل و موضوعات تكون متسلسة أحيانا ومفككة أحيانا أخرى ،والدراسات اهتمت بهذا الضرب من الشعر قديما وحديثا وأهمها المعلقات[1].

ب)-أما الضرب الثاني:

فهو الضرب الذيّ يمتاز بالقصائد القُصار والمطالع الشعرية المتميّزة بالتجارب الشعورية الكاملة، والصور العاكسة للحياة الجاهلية ولأحاسيس الشاعر المُصرّح بها من خفقان قلبه وآلامه بصورة صادقة وأمينة.

تتميّز هذه القصائد بالوحدة الموضوعية الموجزة؛ وعليه فبناء القصيدة ومراحل تكوينها لا يكون إلاّ في القصائد الطوال، التي تتعدد فيها الموضوعات وفق نظام معين ونسقٍ موروث شعري وُجد منذ عهد متقدّم في الجاهلية.[2]

بُنيت القصيدة الشعرية الجاهلية على نظام مضبوط يختاره الشاعر حسب طبيعة موضوعه وأسلوبه،فيجعل من المقدمة الطللية تمهيدًا لقصيدته ثم ينتقل إلى ذكر أهالي الأطلال والبكاء عليهم بعلاقة تداعي الخواطر مثل معلقة امرؤ القيس:

قِفا نَبْكِ مِن ذِكرَى حَبيبٍ ومنزلِ

بِسقطِ اللِّوى* بين الدّخولِ* فَحوْملِ*[3]

ثم ينتقل بعدها إلى غرض الفخر أمام الحبيب؛حيث يفتخر ببطولته وفروسيته وبذكر الأيام العصيبة والصعبة التي مرّت عليه واستطاع تجاوزها وتخطيها ،كما يفتخر بقبيلته والانتساب إليّها يقول المزرد بن ضرار الذبيان مفتخرا بنفسه:

---

[1] أ.د:يحيى الجبوري:الشعر الجاهلي خصائصه و وفنونه،د.ط،دار المجلاوي –عمان-،ت2013،ص:209

[2] المرجع نفسه، ص209

[3] ديوان امرؤ القيس: المرجع السابق،ص110

فقد علمت فتيانُ ذبيانَ أنني

أنا الفارسُ الحامي الذمارَ المقاتلُ

وَأَنيّ أَردُّ الكبْشَ واَلْكَبْشُ جَامِحٌ

وَأرْجِعُ رُمحِي وَهُوَ رَيَانُ نَاهِلُ[1]

ثمّ ينتقل إلى الترحال وأسفاره وذكر الناقة والإبل لأنّها جزء من رحلته،ثم الطبيعة وما تتعرض إليه الحيوانات من مخاطر؛أيّ الانتقال إلى التفنّن في التمثيل المشهدي للصراع بين الطبيعة وسكان من إنسان وحيوان.[2]

هذا الأسلوب العام في ابتداء المطولات؛لكن لا يعني أنّ كل القصائد الجاهلية الطوال كانت تتبع نفس أسلوب البدء(المقدمة الطللية)، فهناك شعراء استهلوا مقدمتهم الشعرية بالغزل مثلا وذكر الحبيب من بينهم قصيدة زهير ابن أبي سلمى:

صَحَا القَلبُ عَنْ سُلمى وأَقصَرَ بَاطِلُهْ

وعُرِّيَ أَفْراسُ الصِّبا و روَاحِلُهْ*

و أقصرْتُ عَمَّا تَعْلمِينَ، وَسُدِّدَتْ*

عَليَّ سِوىَ قَصْدِ السَّبيلِ[3]

أمّا الشّاعر أوس بن حجر فقد استطلع قصيدته باسترجاع ذكريات أستاذه "أوس بن حجر" قائلا:

صَحَا قَلبَهُ عَنْ سُكرةٍ فَتَأَمَلاَ

وَكَانَ بِذِكرَى أُمّ عَمرُو مُوَكّلاَ

وكَانَ لَهُ الحَيْنُ المُتَاحُ حُمُولَةً

---

[1] ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ، برواية : ابن السكيت وغيره : شرح: ثغلب :تحقيق: خليل إبراهيم العطيه، قدم له/: الشيخ العلامة محمد رضا الشبيبلي،ط1،مطبعة بغداد،ت1962م،ص43/ ميساء صلاح وداي السلامي:لغة الشعر في المفضليات: راسلة تخرج لنيل درجة دكتوراه،اشراف:أ.د:سعيد عدنان،جامعة الكوفةنقسم اللغة العربية،ت1427ه/2006م،ص18

[2] ينظر:يحيى الجبوري:الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه،المرجع نفسه،ص210-211

*رواحله: رواحل وهي الإبل *سُدِّدتْ: ويقصد بها ردمت

[3] دايون زهير بن ابي سلمى الزمني الغطفاني:شرح وتحقيق: علي حسن فاعور ،د.ط، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان،ت2003م،ص88

وكُلّ امرئٍ بمَا قدْ تَحَملْاَ[1]

إذن أغلب مطالع القصائد الجاهلية كانت تُستهل بالمقدمة الطللية إلا أن هذا لا ينفي وجود قصائد اتخذت أغراضا أخرى لبداية قصائدهم .

شاعت مطالع القصائد الشعرية الجاهلية التي تخرج من إطار البكاء على الدّيار والأطلال عند الشعراء الصعاليك في الغالب أكثر من غيرهم،نظرا لظروفهم المعيشة[2].

1.3.رواية الشعر الجاهلي:

كلنا نعلم أنّ الشعر الجاهلي وصل إلينا عن طريق الرّواية والكتابة،إلّا أنّ هناك مقطوعات مدونة على الحجر والجلود أو الرَجلْ.

أول ما دوّنه العرب هو كلام الله عزّ وجل ، ومع مطلع العصر العباسي ظهرت فئة من الرّواة،آخذين منها مكسبا مربحا في التّعامل بالشعر الجاهلي وروايته لكن من دون تحفظ ،بل كانوا يضيفون إليه وينقصوا منه محرفين في مضامينه ناقلين أخبارا عن الحياة الجاهلية من نسيج خيالهم من أبرزهم: أبو عمرو بن العلاء وحمادة الراوية وخلف الأحمر،محمد السائب الكلبي والمفضل الضبي.

كانوا يتخذون من القبائل والأعراب البدو مصدرا لرواياتهم،ما حفز أصحاب البدو للهجرة إلى البصرة والكوفة؛ أي أين يقطن هؤلاء الرواة ليمدوهم بما يريدون.[3]

تطور هؤلاء الرواة وأسسوا مدرستين متقابلتين: مدرسة في الكوفة والأخرى في البصرة، عرفت المدرستان بعدم التشدد في روايتهم فتطورت تلك الروايات وسيطر عليها طابع الوضع والنحل ليس في الشعر القديم فقط بل حتى في الأحاديث النبوية.

راح مالك بن أنس يُسميها ب **"دار الضرب"** ؛ ويقصد بها أنها تضرب الأحاديث النبوية وتصنعها،حتى أبو الطيب اللغوي لكثر جمع الشعراء بالكوفة من البصرة ولكنه مصنوع ومنسوب لغير قائله ودواوينهم تؤكد ذلك.[4]

قامت صيحات التشكيك والتنديد بين المدرستين،لكن من الظاهر أنّ أهل البصرة كانوا أكثر دقة من أهل الكوفة.

---

[1] ديوان أوس بن حجر: تحقيق وشرح:محمد يوسف نجم،د.ط،دار صادر-بيروت-،ت1960م،ص82
[2] يحيى الجبوري: المرجع السابق،ص213-214
[3] ينظر: شوقي ضيف:العصر الجاهلي تصميم: محمد أبو طالب،ط2، دار المعرفة، القاهرة-مصر-ت 2000م،ص148
[4] المرجع نفسه،ص 149

لا يمكن الجزم أنّ رواة الكوفة جملة متهمين بخلاف البصرة، فكلاهما رواة وضّاعون و موثقون أحاطوا رواياتهم بحزام الأمانة والدقة في التحري.

2.الانتحال:

1.2 لغة: من نَحَلَ :النَّحْلُ :ذُباب العسل ؛وحدته نحلة

جاء في لسان العرب لابن منظور، نَحلَ الشيء : أعطاه أو وَهبَهُ أو خصَّ به ، ونَحلَهُ القوْلَ نحلاً: نَسَبهُ إليه.

وانْتَحلَ الشيء: ادعاه لنفسه وهو لغيره.

ونَحَلْته القول أنْحَلَهُ إذا أضفت إليه قولاً قَالهُ غيْرهُ وادّعيتهُ عليه [1].

انتحال فلان شعر فلان ، وتنحله : ادعاه لغيره ، وفي الخبر : أن عروة بن الزبير

وعبيد الله بن عتبة بن مسعود دخلا على عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ أمير المدينة فجرى بينهم الحديث حتى قال عروة في شيء جرى من ذكر عائشة وابن الزبير :" سمعت عائشة تقول ما أحببت أحدا حبي عبد الله بن الزبير ، لا أعني الرسول الله ﷺ ، ولا أبوي ، فقال له عمر :إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحل من لا يرى لأحد معه فيها نصيبا فاستعاره لها" [2] .

وقال ابن هرمة : وَلمْ انْتَحَّلْ الأشعارَ فيْهَا وَلمْ تُعَجِزْنِي المِدَحُ الجِيادُ[3]

و نَحلَهُ القَولَ يَنْحَلهُ نحلاً : نسبه إليه ، وَنحَلتُهُ القَوْلَ أَنْحَلهُ نَحْلاً بالفتح إذا أضفت إليه قوْلاً قال غيره وادّعَيْتَه.

وفلان يَنْتحلُ مذهب كذا إذ انتسب إليه ويُقال:نُحِل الشَّاعر قصيدة إذ نُسبتْ إلَيْهِ وهي من قِيْلِ غيرهِ، وقال الأعشى في الانْتِحَال:

فَكيْفَ أنَا وَانْتِحَـــــالي القــوا

فِي بَعْدَ المَشِيْب كَفَى ذاكَ عَارا

فمَا انَا كيْفَ أنَا أَمْ انْتِحَالي القَوا

[1] ابن منظورمحمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب،مادة(ن/ح/ل)،ط1،،دار صادر، بيروت-لبنان،د.ت،ج11
[2] المصدر نفسه
[3] المصدر نفسه

فِ بَعْدَ المَشِيْبِ كَفَى ذاكَ عَارًا[1]

وأرادَ بقوله :"وانْتِحَالي القَوافِي ﴿ **يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** ﴾[**سَبَا:13**]

وتَنَحّلهُ مثْلُه الفرزدق بقوله:

إذا مَا قُلتُ قَافِيَةً شَرُودًا

تَنَحَّلهَا ابْنُ حَمْرَاء العِجَانِ[2]

2.2.اصطلاحا :

هو أنْ يأخذ شاعر قول شاعر آخر وينسبه إلى نفسه ، أو إن صح التعبير هو سرقة ما روي على شفاه شاعر معروف ذا كفاءة وجودة عالية في الشعر وانتسابه إلى شاعر أو لنفسه أو لشاعر في قبيلة أخرى أي لغير قائله

والنّحل هو نسبة شعر رجل لآخر، أو أن ينظم رجل شعرا أو يروي حديثا أو يقول قولا ثم ينسبه لآخر.

أمّا الانتحال فصوت التاء تحوله إلى عملية ذاتية فردية يتطابق فيها الناحل و المنحول له فيصيران شخصا واحدا.

فالفاعل في الانتحال هو نفسه المستفيد، أي أن تأخذ أنت قولا أو غيره وتنسبه أو تدعيه لنفسك، وهو ما اصطلح عليه بالسرقة الأدبية.

[1] ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: تقديم: د. محمد حسين،د.ط، م1،مكتبة الآداب للطباعة والنشر-المطبعة النموذجية- ت 2015،ص53

[2] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه،د.ط،ج1ند.ت،ص:397

3.قضية الانتحال عند العرب القدماء:

1.3-ابن سلام الجمحي:

يعّد ابن سلام الجمحي أول من تفطن لهذه القضية ، وركز أنظاره عليها لازدهار حركة التّدوين في عصره ، حيث صب اهتمام علماء العرب بجميع العلوم و المعارف العربية و الإسلامية ، و الموروث الشعري وأخذه من أفواه الرواة فعجزوا بل و عكفوا على التأكد من صحتها ،مدركين بضرورة إخضاع هذه الروايات وجعلها قيد التحقيق والتمحيص من أجل عدم ضياع الحضارة العربية[1] .

تمعّن ابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء" في هذه القضية ساعيا للغوص في بحرها الواسع قصد الكشف عن الصحيح من الزائف و التخلّص من الأخطاء و المغاليط متوصلا لوضع العديد من الملاحظات القيمة التي أخذها من أساتذة المدرسة البصرية المنتسب إليها باعتبارهم أهل العلم والدراية في رواية الشعر العربي القديم و تمحيصه.[2]

مما لا نقاش فيه أن الشعر الجاهلي القديم اعترته ظاهرة الانتحال ، وقد جعل نقاد العرب القدماء يشيرون مرارا وتكرارا لها بغية فك الزّيف وتوثيق ما وضعه الوضّاع قصد الحصول على الحضارة العربية والحفاظ على جوهرها الأصلي، متخذين من الحرص الشديد راية لهم واضعين مقاييس عديدة ومبالغة الحرص التمحيصي والتدقيقي له .

واستهّل ابن سلام كتابه بعرضها و الكشف عن شيوخها في الشعر الجاهلي ما يبدو لنا جليا في مقدمته إذ يقول :" وفي الشعر المسموع كلام مفتعل موضوع كثير لا خير فيه،ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ،ولا نسيب مستطرف "[3] ؛ فمن خلال قوله يتضح لنا بأن ابن سلام بصدد التأكيد أن الشعر الجاهلي والإسلامي لم يكن كله نقيا موثقا ، وإنما فيه ما يحتاج إلى التوثيق ودراسة وتنقيح ونقد ، ففيه المصنوع المفتعل وفيه الموضُوع واضعا الشعر الجيد الذي لا يخلو طابعه من :

- الحجة في العربية
- أدب يستفاد

---

[1] ينظر: ابن سلام الجمحي أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصريّ: طبقات فحول الشعراء(عرض ونقد وتحليل)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، مصر ،د.ط، د.ت، ص:05

[2] شوقي ضيف :تاريخ آداب العرب في العصر الجاهلي،ط11، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة- مصر،د.ت،ج1،ص:164 ،ص:17

[3] ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق د. محمود محمد شاكر ،د: المدني ، مصر ،مج:2، ص:04

- معنى يستخرج

- مديح رائع

- مثل يضرب

المتصفح لدفتي مؤلفه يدرك إدلاء شهادته على صاحب السيرة : محمد بن إسحاق بالوضع في الشعر والكذب فيه من خلال التّعابير القائلة :"... وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق بن يسار –**مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد المناف** وكان من علماء الناس بالسير قال الزّهري:"لا يزال في الناس علم مافي مولى آل مخرمة ، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك- فقبل الناس عنه الشعر وكان يعتذر منهم ويقول :" لا علم لي بالشعر أتينا به فأحمله ولم يكن له ذلك عذرا،فكتب في السّير أشعار الرجال الذين لم يقولوا الشّعر قط ،وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك عاد وثمود فكتب لهم أشعارًا كثيرة وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافي أفلا يرجع نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ وأداه من آلاف السنين..."[1]؛أي أنه كان يحمل الأشعار ولا يعرف لمن تُنتسب زيادة على كان يقول أشعارًا وينتحلها وينسبها إلى شعراء وإلى قوم عاد وثمود ولم تكن أشعارًا بل هي عبارة عن كلام مسجوع معقود مقفى، وداعم رأيه بأدلة أخرى فنية متمثلة في النقد الداخلي لبنية الشعر المنسوب لعاد وثمود بأنه ضعيف الأسر قليل الطلاوة[2].

متوجها للاستدلال على شكه بأدلة قرآنية المشيرة إلى ضياع أخبار عاد وثمود وطمس هذه القبائل ، كقوله عزّوجل﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٖ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٖ ٧ هَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨**﴾ [**الحَاقَّة٨]**

وقوله جلّ جلاله في قوم عاد وثمودوقوله ﴿ **وأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ٥١** ﴾ **النَّجْم :[٥٠ ـ٥١]** ﴿ **فَإِنْ أَعرضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةٗ مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ** ﴾ **[١٣فُصِّلَت]**

كما قال ذو الجلال و الإكرام :﴿ **فأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٖ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعجازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨** ﴾ **[الحَاقَّة : ٨]**

[1] المصدر السابق، ص 08

[2] ينظر:عثمان موافى:دراسات النقد العربي، دار الوفاء ،كلية الأداب، الإسكندرية –مصر،ص:69

فإنّ أهلك الله عزّ وجل بقدرته الواسعة هذا القوم، يتبلور إلى أذهاننا إشكال وإبهام عن كيفية وصول ما قالوه من الشعر إلينا.

لم يكتفي ابن سلام بهذا الدليل فتوجه إلى الارتكاز على أدلة أخرى تبين صحة أفكار النقدية متجها إلى الأدلة التاريخية : متمتعا في تاريخ نشوب الشعر العربي ، مع ضرورة الإشارة إلى الاختلافات في اللهجات العربية متوصلا إلى الاستنتاج أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود ، وكانت لغتهم مختلفة عنها تمام الاختلاف ، فلم تكن لغة القرآن و من غير المعقول أن يُوجد شعر بلغة لم تخلق بعد الأمر الذي لا تتقبله الأذهان ولا تستعبه العقول ؛ لأن أول من تلفظ باللغة العربية الفصحى لغة عرب الشمال إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام و كانا بعد عاد وثمود ، الحاملان للسان اليمانيين ، مستدلا هذا الناقد على أن الشعر المنسوب إلى عاد وثمود منحول و موضوع مصدقا لمقولة أبي عمرو بن العلاء :" ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا"[1]، وقوله:"الربُ كلها ولدُ إسماعيل ، إلاّ حمير وبقايا جُرْهُم "[2] ؛ مؤكدا أن لغة قوم عادٍ وثمود لم تكن اللغة العربية أبدًا وأن أول من جاء بها هما سيدنا إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام.

كما يشير الناقد ابن سلام إلى الصحف و احتلالها لنصيب من الوضع والتحريف مع الإزالة والنسخ والتغيير والتبديل علاوة على هذا لم تكن تعرض على العلماء لتصحيح والتوثيق يقول في ذلك :"وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء ،وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم و الرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ، أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي "[3] ؛ بهذا يوضح أن الصحف لم تكن تصحح وتنقح، ولم يأخذوها من مصدر موثوق فيه كأهل البادية والعلماء لذلك فهي منحولة وموضوعة ولا يجب الأخذ بصحتها والتسليم بصحة كيانها.

فمن خلال هذا سعى ابن سلام لإقامة أدلة و براهين لتلك الروايات المنحولة وأصحابها غير موثوق فيهم قائلا:" ... فلو كان الشعر مثل ما وُضع لإبن إسحاق ، ومثل ما روى الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم "[4] .

يُوضح تاريخ الأدب أنّ الشعر الجاهلي لا يذهب بنا إلى ذلك العصر الموغل في القدم ازدهرت وأثمرت في فترة قريبة لعهد الإسلام وهذا ما نجده بارزا في قوله :"ولم يكن لأوائل الشعر من الشعر إلا

[1] ابن سلام الجمحي: ،طبقات فحول الشعراء، محمود محمد شاكر ،المصدر السابق،ص:11
[2] المصدر نفسه،ص:09
[3] االمصدر نفسه،ص : 04
[4] المصدرنفسه:ص 11

أبيات يقولها الرجل في حادثة و وإنما قصدت القصائد وطول الشعر في عهد عبد المطلب و هاشم بن عبد المناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود و حمير وتُبّع "[1].

ومن خلال قراءة هذه الشواهد يتضح أن الشعر لم يكن قصائد طوال منذ نشأته الأولى بل أبياتا قلائل ، ثم مقاطع ، ولم تكن القصائد إلا في فترة قريبة للفترة الإسلامية التي ترجع إلى حرب البسوس هذه الفترة التي ينتسب إليها أحد الشعراء المعروفين وهو المهلهل بن ربيعة التغلبي [2] يقول :" وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب بن وائل".[3]

2.3. الجاحظ:

والواقع أن ظاهرة الانتحال والوضع لم تبق حبيسة الأدراج عند ابن سلام بل تطرق إليها نقاد آخرون كالجاحظ مثلا : الذي فتح أبصاره على السرقات الشعرية مع التلميح والإشارة إلى موضوع آخر في بالغ الأهمية والخطورة وهو موضوع نحل الشعر، هذا الموضوع الذي أحدث ضجة في النقد العربي يقول:" إنّ بعض المولدين ولدوا على لسان خلف الأحمر و الأصمعي أرجزا كثيرة فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء، ولقد ولدوا على لسان جحشويه قط. فلا تقدروا من شيء تقدروا من هذا الباب"[4].

ثم ذكر في كتاباته الأسباب التي دعت إلى الانتحال وهي:

بغية الأديب الناشئ في أن يشق طريقا توصل به إلى مكانة الأدباء المشهورين وجذب انتباه القراء نحوه نتيجة انتسابه من حصيلة الأدبية إلى كبار الأدباء السابقين عليه والمعاصرين له، فإذا نجح وبلغ ذروته من الشهرة الأدبية واتسّم له الحظ بحصوله على المكانة المراد الوصول إليها صحح النسبة كما فعل الجاحظ نفسه[5].

العصبية بأنواعها وألوانها المختلفة : والتي ردها إلى العصبية الشعوبية، والعصبية القبلية[6]، متجها بعد ذلك إلى المفاخرة التي نشأت بين الأجناس ومن أبرزها العصبية المذهبية[7].

---

[1] ينظر : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق د: طه إبراهيم،د.ط، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،ت:1422ه/2001م ص:17 و محمود شاكر:طبقات فحول الشعراء،المرجع نفسه،ص:39

[2] المصدر نفسه،ص:17

[3] المصدر نفسه : ص : 39

[4] الجاحظ الكناني أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزار الليثي البصري: الحيوان : تحقيق: فوزي محمد خين، ط1، مكتبة النور،دمشق، ،ت 1968م،ج4 ، ص :181

[5] الجاحظ:البيان و التبين: تحقيق: علي بن ملحم،د.ط، دار الهلال ،ت:2000م، ج3،ص:29

[6] المصدر نفسه، ص:29

[7] ينظر: المصدر نفسه ،ص: 237-238 و رضا أماني: دراسة آراء الجاحظ حول الشعر ونقده ، إعداد: يسرا شادمان،ت:1391/02/15 ، ت.ق: 09 /05 /1391، ص38-39

ثم يرجع ويلتفت مجددا إلى رغبة بعض الرواة من المولدين في الانتقام من العرب خاتما كتابيه **الحيوان**و**البيان والتبين** بالوقوف عند الوضّاعين من الرواة ، مُبينا كيف كان القدماء لهم بالمرصاد، ومعنى هذا كله أنه في كتابه هذا يردد ما نص عليه العلماء السابقون من القضايا متبعا خطاهم ويردها في الكشف عنها إلى الذوق الأدبي المدرب الذي يتوفر في الناقد الراوية من خلال دراسته للنصوص ومعرفته بطبقات الكلام، مردوده الوحيد أن يتسع ويوسع فيها أكثر[1].

ج-ابن رشيق القيرواني:

تواصل اهتمام النّقاد بقضية نحل الشعر الجاهلي ، ولم يكفوا عن دراستها حتى أن ابن رشيق في القرن الخامس ذكرها في كتابه **"العمدة"** في باب السرقات الأدبية، وهو باب متسع جدا تعتريه أشياء وأمور غامضة، ولهذا وجبت النظرة الحاذق بالصناعة، فاضحة لا يخفى الجهل عليها قائل في هذا القاضي الجرجاني:"والاصطراف: أن يُعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه وينسبه إلى نفسه، فإن صرفه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق،وإن ادعاه جملة فهو انتحال، ولا تُقال هذه اللفظة (المنتحل)إلا لمن ادعى شعرًا لغيره قائله وهو يقول الشعر،وإن لم يكن يقول الشعر فهو مدع وليس منتحل، وإن كان الشعر لشاعر أخذه غلبة فتلك هي الإغارة والغصب، فإن أخذه هبة فتلك المرافدة ويُقال الاسترفاد"[2]؛ فابن رشيق هنا يُوضح الفروق بين أنواع السرقات الأدبية من انتحال واجتلاب واصطراف وغيرها.

أما الاصطراف حسب ابن رشيق يقع من الشعر على نوعين: أحدهما الاجتلاب وهو الاستلحاق والآخر:الانتحال "[3] ؛ مفصلا أكثر في أنواع الاصطراف وهما نوعين أحدهما استلحاق كما اسلف عليه الذكر والنوع الثاني هو الانتحال.

وقد ذهب ابن رشيق في الاجتلاب واتبع مذهب جرير بأنه الانتحال،و وصف جرير الانتحال عندهم قائلا:

إنّ الذيّنَ غَــدوْا بِلُبّكَ غَادُروا

وَشلاً بِعيّنكِ مَا يزالُ مُعينــًا

غَيّضَنْ مِن عَبراتَهِنّ وَقُلّن لِي

[1] الجاحظ:الحيوان، ج 6، المصدر السابق، ص:30،29 / شوقي ضيف: تاريخ الأدب الجاهلي، المرجع السابق،ص::182

[2] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و أدابه،ص 394 TOPDF://HTTP://WWW.AL-MOSTAFA.COM

[3] ديوان جرير: بشرح:مهدر محمد ناصر الدين،د.ط،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان-،ت1971م،ص 438

مّاذَا لَقيتَ مِنَالهَوىَ وَلَقيّنا؟[1]

يُجمع الرواة على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير و انتحل أيضا قول طفيل الغنوي :

ولما التقى الحيان ألقيت العصا

ومات الهوى لما أصبت مقاتله[2]

ولذاك رد الفرزدق على هؤلاء الشعراء قائلا:

إنْ تَذكرُوا كَرَمِي بَلؤم أبيكم

وَأوابَدي تَنْتَحِلُوا الأشَّعَارَا

فكأن كل واحد منهما يهجوا الآخر ولم يكن ذلك عيبا.فلما قال الفرزدق :

تَمَنَّى رَبِيعٌ أنْ يَجِيءَ صَغَارُهَا

بِخَيّرٍ،وَقَد ْأَعْيَا رَبِيعًا كِبارُهَا

أخذه البعيث بعينه في بني كليب وردّها لجرير،قال الفرزدق هذا البيت:

إذَا مَا قُلتَ قَافيّة شُرُودًا

تَنَحّلَهَا إبْنْ حَمْراء الْعِجَّانِ

وكان يقصد بها البعيث و كان ابن السرية ، أما البحتري فقال:

رَمَتّنِي غُوَاةُ الْشِّعْرِ بَيّنَ مُفْحَمِ

وَمُنْتَّحَلِ مَالَمْ يَقُلهُ وَمُدَّعِى[3]

يُقسّم البُحتري الشعراء إلى ثلاثة أقسام : مفحم:قد عجز عن الكلام فضلا عن تحليه بالشعر غير أنه يتبع الشعراء، والآخر منتحل لأبيات من الشعر، والثالث: مدع جملة لا يُحسن شيئا[4].

[1]شرح نقائض جرير والفرزدق: اليزيدي ،د.ط،ج2،افي،مصر،ت 1998م،ص 37
[2]المصدر السابق،ص 37
[3]ابن رشيق: المصدر السابق،ص:396
[4] ينظر المصدرنفسه: ص:397

ومن هنا نخّلُص إلى أنّ النّقاد العرب القدماء قد أجمعوا على موضوع الشعر وعدم تدوينه وانتحاله ولم يخالفوا نهج السابقين لهم أبدا بل ساروا على خطاهم متخذين منهم قاعدة متينة يرتكزون عليها على مرّ العصور.

الفصل الأول

الاستشراق الانجليزي والاستشراق الألماني

الفصل الأول: الاستشراق الانجليزي والاستشراق الألماني

المبحث الأول: الاستشراق

1.1..لغة

2.1.اصطلاحا

3.1.المستشرق

4.1.الاسشتراق عندالعرب

5.1.الاستشراق عند الغرب

المبحث الثاني:المدرسة الاستشراقية الانجليزية

1.2.الاستشراق الانجليزي

2.2. مجالات الاستشراق الانجليزي

3.2.خصائص و مميزات المدرسة الانجليزية

المبحث الثالث: الاستشراق الألماني:

1.3.النشأة

2.3. مميزاته

3.1.خصائص الاستشراق الألماني

المبحث الأول: الاستشراق ومدارسه:

1/-الاستشراق:

انصبّت الأنظار و أنشدّت الأذهان إلى هذه القضية بل تجاوزت ميادين البحث فيها والخوض في أعماقها ، ولم يقتصر موضوع الإبهام حولها كقضية عربية تخص أدباء العرب ونقادهم فقط بل وانفجرت في أعين المستشرقين وجعلوا منها موضوعا لا يستهان بأهميته.

وقبل الشروع في إبراز آراء المستشرقين حولها وأهم من تناولوها يجدر بنا توضيح الأمور بالتعرف على الاستشراق، مع العلم بأولوية الغوص في هذا الميدان من قبل الكثير من المختصين، ولكننا توجهنا إلى التعريف بالأفكار العلمية المجردة ، وسنوضح تعريف الاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

1-1:لغة:

هو كلمة مركبة من الشرق بإضافة حروف الزيادة : الهمزة والسين والتاء (أ،س ،ت) التي تعني في اللغة العربية طلب الشيء فالاستشراق إذن طلب الشرق.

والشرق: كما جاء في لسان العرب في مادة (ش،ر،ق) شرقت الشمس –تشرق شرقا، طلعت، اسم الموضوع المشرق ، وكان القياس المشرق، أمر من هذا القبيل[1]

وجاءت: شرقت الشمس وشروقا طلعت، وأشرقت الأرض أنارت بإشراق الشمس وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿ **وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩** ﴾ **الزُّمَر : [٦٩]**

وشرق: الأخذ من ناحية المشرق

و المشارقة: سكان المشرق وأحدهم شرقي:

أصبح الاستشراق علما قائما بذاته ،له كيانه ومراكزه وفلسفته ودراساته.

-لم ترد كلمة استشراق في القواميس اللغة العربية القديمة ولكنها مترجمة عن كلمة "ORIENT"وتعني الشرق باللاتينية.

[1]ابن منظور : لسان العرب ،مادة (ش/ر/ق) ، دار صادر،بيروت،ط1،ت:1410ه،- 1990م

والشرق خلاف الغرب والشروق كالطلوع، والشروق يشرق شروقا، ويقال لكل شيء طلع من قبل المشرق[1].

شرق : الشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدل على الفتح والاضاءة، من ذلك شرقت الشمس أي طلعت، وأشرقت شرق : الشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدل على الفتح والاضاءة، من ذلك شرقت الشمس أي طلعت، وأشرقت شرق : الشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدل على الفتح والاضاءة، من ذلك شرقت الشمس أي طلعت، وأشرقت شرق : الشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدل على الفتح والاضاءة، من ذلك شرقت الشمس أي طلعت، وأشرقت إذا أضاءت ، والشروق :طلوعها ويقولون:"لا أفعل ذلك ما ذرَّ شارقٌ" ؛أي طلع ويُراد بذلك طلوع الشمس والشرق بالمشرق،ويوجد ناس يقولون:"أشرِق ثبير،لكيما نُغير"

ومن قياس هذا الباب الشاة الشرقاء،المشقوقة الأذن ،وشرِق بالماء،إذا شَرقا[2]،قال الشاعر عدي:

لَوْ بِغيرِ المّاءِ حَلْقي شَرِقٌ

كُنتَ كَالغَصّانِ بالمَاءِ اعتِصَاريِ[3]

2: اصطلاحا:

تعدّدت تعريفات الاستشراق من الناحية الاصطلاحية ولعلّ من أبرزها:

الاستشراق: هو دراسة الغربيين للتراث الشرقي وكل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وعلومه.

مصطلح الاستشراق **Orientalisne**من بين المصطلحات التي تعددت تعريفاتها، واختلف الباحثون في تحديد ماهيتها، وليس هناك إجماع على تعرف جامع مانع كما يقال لهذا المصطلح نظرا لتعدد الحقول المعرفية التي يتردد فيها، وتباين الرؤى الدارسين حول طبيعة موضوعاته وذلك بحسب خلفياتهم المعريفية والايديولوجيا[4].

[1]ينظر:كتاب العين :مرتب على حروف معجم: الخليل ابن أحمد الفراهيدي،تحقيق:د.عبد الرحميد الهنداوي،ج2،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-،د.ت،ص326

[2]أبي الحسين أحمدبن فارس بن زكريا الرّازي:أبو الحسين أحمد :معجم مقاييس اللغة، وضع ميزانه:إبراهيم شمس الدين ،د.ط، ج:الأول،مادة: شرقَ، دار الكتب الكتب العلمية،بيروت-لبنان-ت:1971م، ص649

4 يوان عدي بن زيد: تحقيق وجمع: محمد جبار العبيد،د.ط، شركة دار الجمهورية للنشر والتوزيع،بغداد،ت1965م،ص 93

[4]رشدي صيف ود.عمر عيلان: مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين: مجلة إشكاليات في اللغة و الأدب ،العدد4،المجلد9،جامعة العربي تبسي –تبسة-الجزائر،ت:2009م،ص:360

الاستشراق اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين؛ أي العالم الشرقي ن ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين والعقيدة والشريعة والسنة وحتى التاريخ وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.[1]

ويُقال المقصود: ذلك التيار الفكري الذي يشمل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي من حضارته وأديانه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.[2]

وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي و الاصطلاحي، فقد أطلق على الدراسة التي تعنى بالعالم الشرقي مصطلح الاستشراق وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات اسم المستشرقين أوالمستعربين.[3]

1-3- المستشرق:

قاموس أكسفورد الجديد يحدد معنى كلمة مستشرق **Orientalist**بأنه:"من تبحر في لغات الشرق وآدابه"[4]؛ويقصد بهذا أنّ المستشرق هو الغربي الذي يختص بدراسة لغات الشرق وهي اللغة العربية وآدابها مع التّمعن والبحث العميق فيها لأنها عبارة عن بحر واسع.

ويعرفه **فولفديتريش فيشر Wolfdietrich Fischer** :" هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأنى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا لمضمار ما لم يتقن لغات الشرق"؛ أي أن المستشرق الحقيقي هو الذي يتقن اللغة الشرقية بكل أصولها حتى تكون نتائج بحثة دقيقة خالية من الأخطاء ،فإن لم يتوفر فيه هذا الشرط لا يمكن له أن يكون مستشرق بالنسبة إلى **ديتريش.**[5]

1-4- نشأة الاستشراق:

لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت ظهر الاستشراق؟ فهوأمرمختلف فيه كما اختلف العلماء في تحديد مفهومه، ولكن هناك من يرى بأن الاستشراق قدّ ولد بعد انتشار الدين الإسلامي وتسربه إلى كافة أنحاء العالم بما فيها الدول الأوروبية التي وصل إليها في نهاية

[1]ينظر: صالح أحمد حسين الأشرف: الاستشراق مفهومه وآثاره،جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية،ت:1437ه،ص:13

[2]المرجع نفسه،ص:13

[3]ينظر:أ.د. فاروق عمر فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي:دراسة مقارنة بين وجهة النظرة الأوروبية ،جامعة آل البيت/ط1،د. الأهلية-عمان-المملكة الأردنية الهاشمية-ت:1998ه،ص:30

[4]يحي مراد: افتراءات المستشرقين على الاسلام،د.ط، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-د.ت،ص:8

[5]يحي مراد: معجم أسماء المستشرقين،د.ط،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-ت2004م،08

القرن السابع ميلادي(الأول هجري) عن طريق فتح بلاد الأندلس التي يطلق عليها الآن اسم اسبانيا والبرتغال[1].

وهناك من يرى أنّ بدايات الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبيّة حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنّصرانية الغربية في فلسطين ،وحجة هؤلاء كانت مبنية على العداء السياسي استحكم بين النصارى والمسلمين أيام **نور الدين زنكي**و**صلاح الدين الأيوبي**وبعدها أيام أخيه "**العادل**"إثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة المسلمون بالصليبين[2].

هذا وقد تباينت آراء العلماء والباحثين حول تحديد بداية الاستشراق ويتجه أكثرها إلى تحديده بالفترة الزمنية وليس بالسنة.

وهناك من يرد تاريخ البدايات الأولى للاستشراق كان في القرن الثالث عشر ميلادي حيث صدر قرار مجمع **فيينا** الكنسي عام 1312م بإنشاء عدد من الكراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية ، وهناك من يرده إلى القرن العاشر ميلادي ، بينما البعض يذهب إلى أنه بدأ في القرن الثاني عشر ميلادي ، القرن الذي تمت فيه ترجمة القرآن إلى اللغة اللاّتينية لأول مرة سنة 1143ه بتوجيه من الأب **فيزابل**FatherVezabel، كما ألف أول قاموس لاتيني عربي من ذات القرن.

أمّا البعض فيتوجه إلى تحديد بدايته إلى مطلع القرن الحادي عشر ميلادي [3]،بينما توجد أدلة قاطعة تؤكد على أنّ الاستشراق قد بدأ حقا في منتصف القرن الثامن ميلادي بالأندلس ، إذ وجد نص في القرن التاسع ميلادي يتحدث فيه الفارو مسيحي القرطبي عن ما حدث مع أهله قائلا:" إن إخواني في الدين يجدون لذّة كبرى في قراءة شعر العرب ..."[4]، وعليه نتوصل من خلال تضارب الآراء التي كانت حول نشأة الاستشراق وبداياته الأولى لم تكن متأخرة للغاية القرن العشرين ميلادي (الرابع هجري) من خلال النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس إبان فتحهم لها ، فكان بمثابة المصدر الأساس لولادة الاستشراق وسببًا في انطلاقه.[5]

أمّا بالنسبة إلى العالم الغربي فنجد أن ظهور تاريخ الاستشراق يُردُّ القرن السابع عشر ،ما نجده واضح عند الباحثين الأوروبيين على رأسهم العالم الغربي (أ.**آزيري**A.Aziri) في قوله:" وأول استعمال رأيناه لكلمة مستشرق سنة 1630م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية ،وفي سنة

[1]مصطفى السباعي :الاستشراق والمستشرقون:مالهم وماعليهم،د.ط،دار الوراق،د.ت،ص:17
[2]ينظر:قاسم السمراني:الاستشراق بين الموضوعية وا لافتعالية،ط:1،دار الرفاعي –الرياض-،ت:1403ه-1983م،ص:19-20
[3]د.اسماعيل علي محمد :الإستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي للدراسة الاستشراق ،ط1،د.الحكمة،ت:1419ه-1998م،ص:15
[4]المرجع السابق،ص:16-17
[5]ينظر: المرجع نفسه،ص:19

1691م أنتوني وود يصف صموئيل كلارك بأنه (استشراقي نابه) يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية"[1].

ظهر مصّطلح الاستشراق في إنجليترا حوالي عام 1779م، وبفرنسا سنة 1799م وأدرجت في القواميس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م ، وبهذا أخذت فكرة إيجاد فرع متخصص بدراسة العلوم الشرقية التي حظيت بالكثير من التأييد [2].

ولكن تأخر ظهور المصطلح الاستشراقي لغاية التاريخ المشار إليه لا يعني انعدام وجوده من قبل ، على العكس ما نجده عند بعض الباحثين في قوله :" أما ظهور المصطلح لا يعني شيئا من إقرار أمرٍ واقع وإطلاق وصف على الدراسات التي كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة "[3] ؛ أي ان ظهور المصطلح متأخرًا لا ينفي وجود الاستشراق ، وإنما هو مجرد الإفصاح ونشر هذا العلم مع الاعتراف والاقرار به ، علاوة على ذلك فإننا نجد مصطلحات لا تعدُّ ولا تحصى وهي مصطلحات حديثة إلاّ أنّ مدلولها موغل في القدم مثل مصطلح" **الغزو الفكري**"[4]

إنّ تاريخ الاستشراق يُبيّن استقراره على أكتاف رجال الدّين النصارى من الرهبان حيث ذكّره الدكتور **نجيب العقيقي** بعددهم الهائل منهم "**جربر دي أورالياكGreer D'Urillac" (938م-1003م)** الذي انتخب بعد ذلك حبرا أعظم باسم **سلفستر Sylvesterالثاني وبطرس المكرم (1094-1156م)** الذّي رحل إلى الأندلس وعاد إلى فرنسا عام **(1141م-1143م)** وغيرهم [5].

وبعد أنْ عاد الرّهبان الذين تعلموا بالأندلس إلى بلادهم توجهوا مباشرة للنشر ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ، ثمّ أسّست المعاهد للدّراسات العربية مثل مدرسة **"بادوي العربية"**وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب التي ترجمت باللغة ألاتينية باعتبارها لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ ، وحتى الجامعات العربية اعتمدت على تلك الكتب بل واعتبرتها المراجع الأصلية للدراسة والبحث لفترة طويلة امتدت لحوالي ستة قرون تقريبا بدون انقطاع عن دراسة اللغة العربية والإسلام [6].

مع ترجمة القرآن الكريم والكتب العربية الأدبية والعلمية منها إلى غاية القرن الثامن عشر؛ أي العصر الذي صبّ فيه الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي.

---

[1] المرجع السابق:،ص:19

[2] جوزيف شاخت و كليفورد شاخت : تراث الإسلام:ترجمة :محد زهير السمهوري،د.حسين مؤنس ود.ود.إحسان صدقي العمد،تحقيق:د.شاكر مصطفى،مراجعة:د.فؤاد زكريا ،دار : علم المعرفة-الكويت-،ت:1978م،ص:64

[3] المرجع نفسه،ص:20

[4] المرجع نفسه،ص:20-21

[5] ينظر: د.مصطفى السباعي :المرجع السابق،ص18

[6] المرجع نفسه،ص18

فالعلماء الغربيون راحوا يبحثون في الاستشراق وينشرونه في جميع ممالكهم الغربية مستولين على المخطوطات العربية وفي البلاد العربية بعد سرقها من المكتبات العامة أوشرائها من أصحابها الجهلة ، ناقلينها في بلادهم ومكتباتهم ، حيث ضمنت كما هائلا من نوادر المخطوطات وصلت إلى مائتين وخمسين ألف مجلد في القرن التاسع عشر ، ومزال هذا العدد يشهد تزايدا ملحوظا ليومنا هذا .

عُقد أول مؤتمر للمستشرقين بباريس سنة 1873م وتلته عدّة مؤتمرات وضعت خصيصا لدراسة العالم الشرقي وأديانه وحضاراته ولازالت مستمرة ومتواصلة حتى اليوم[1].

وعليه يمكننا أن نَخْلُص إلى أنّ تاريخ الاستشراق قد مر بمراحل مختلفة كانت متأثرة بعوامل ثقافية،دينية وسياسية مختلفة ، التي يمكن تحديدها لثلاث مراحل متميّزة :

- **المرحلة الأولى**:

تمتدّ من بداية الاستشراق لغاية عصر النهضة الأوروبية ،متطورا من كتابات فردية غير منظمة إلى بحث منظم ورسمي ؛بمعنى أنه دخل لمؤسسات الرسمية والجامعات.

- **المرحلة الثانية**:

تمتد من القرن من عصر النهضة إلى غاية القرن الثامن عشر،تأثير الاستشراق في هذه المرحلة بعوامل عديدة من أهمها:النزعة الإنسانية والنزعة العقلية"حركة التنوير"،فأدت هاتان النزعتان إلى دراسة العالم الشرقي بطريقة أكثر موضوعية.

- **المرحلة الثالثة**:

من القرن التاسع عشر ليومنا هذا، شهدت هذه الفترة تغيرات كثيرة في حركة مفهومها وأظهرت طابع العداء الغربي على الشرق من جديد[2].

1-5:الاستشراق عند العرب:

عُرف الاستشراق بعدّة تعاريف من قبل الباحثين العرب و المسلمين كل حسب اختصاصه وتوجهاته الفكرية والعلمية، لذا أخذنا المسار لبعض الدارسين العرب ورؤية كل واحد منهم حول ماهية الاستشراق ونجد من يعتبره دراسة يقوم بها المفكرين الغربيين للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته ، وثقافته أيضا يقول في هذا الصدد الدكتور **حسن حنفي** :" تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافته وعلومه ، كما تُطلق لفظة

[1]:المرجع السابق ،ص19

[2]ينظر"د.أحمد عبد الرحيم السايح:الاستشراق ومنهج نقده،د.ط، مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الأديان-الرباط-ت:2005م،ص:444-445

مستشرق على مفكرين المنشغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومصطلح الشرق يشمل الأدنى والأوسط والأقصى"[1].

وعرّفه لخضر الشلبي في قوله:" الاستشراق مجموع الدّراسات التي يقوم بها أهل الغرب عن الشرق،دياناته وأعرافه، وثقافته، وقد أُطلق على الغربيين الذين يقومون بالدراسات الاستشرقية أنهم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزء من حياتهم في دراسة الشرق وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية،و الاجتماعية للشرق."[2]؛ وبهذا لم يخالف الدكتور أحمد الشلبي أراء العلماء في تعريف الاستشراق.

ويُقصد بالاستشراق في بعض الأحيان:" أنه أسلوب التفكير يرتكز على التميّيز المعرفي والعرقي والإيديولوجي بين الشرق والغرب"[3] أو هو بالأحرى:"ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[4] ؛أي أنه اهتمام كبار علماء الغرب بتحليل ودراسة كل ما يخصّ العالم الشرقي وهذا ما اتفق عليه علماء ونقاد العرب.

إلا أنّ الدّكتور عبد الأمير الأعسم فيضيف تعريفا جديدا واصفا إياه بأنه:" استشراق سياسي يرتبط بدوائر المخابرات الغربية أروبية وأمريكية وغير"[5]؛ ويقصد أنّه ذو طابع سياسي محض لتحري عن الشرق بغية أهداف سياسية مضمرة متخفية وراء الثوب العلمي البحث.

أمّا الدّكتور لطيف عبد النبي فقد ألبسه ثوب :"التقليد الثقافي خارجي أنتجه العالم الغربي لأهداف ليست هي مصلحة الشرق في كل حال"[6]؛ أي أنّ الاستشراق ما هو إلا محاولة الغوص في التقاليد الشرقية ليس من باب العلمية بل باب السهر على كل ما يضر العالم الشرقي وتحطيمه.

1-6:الاستشراق لدى علماء الغرب:

اجتهد الغربيون وتسابقوا نحو المعرفة الاستشراقية ، نظرا للسعة الغموض و الابهام التي اعترت العلوم الشرقية ، لغوية كانت أم عرقية دينية.

آثريأبريكان من أبرزهم طرحا للاشكال حول : ماهية الاستشراق ؟ و ماكنه المستشرق؟من الواضح أن الكاتب حين يتعرض لمثل هذه المواضيع الواسعة (الاستشراق) التي لا تزّال مبهمة ومجهولة

[1]محمد سيد الجليند: الاستشراق والتبشير(قراءة تاريخية موجزة) ،دار قباء ، القاهرة-مصر، ت:1999م ، ص: 07
[2]محمد شلبي:نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر،الجزائر،د.ط،ت:2001م،ص:26
[3]الحاج ساسي سالم: نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي ، بيروت-لبنان،د.ط،ت:2002م،ص:20
[4]المرجع نفسه،ص:20
[5]الأعسم عبد الأمير:دراسات في الاستشراق، دار الفرقد،دمشق-سوريا،ط1،ت:2011م،ص:79
[6]لطيف عبد النبي: نحو استشراق جديد، مجلة الاجتهاد،العدد:50-51،ت:2001م،ص:26

المستشرق **تشارلز دوتي Charles Doughty**:كان متأثرا بالاستشراق لدرجة جعلته تعشق شمس العالم الشرقي التي جعلته يحس نفسه عربيا ،غير أن هذا التأثر لم يغير منه شيء ،ولا يعتبره تشويها أونقصا له بل بالعكس يجد فيه متعة بالغوص والتمعن في هذا العلم القيّم[1] .

كما أنّ **أتوتى وود Atti Wood**وصف **صموئيلكلارك SamuelClark** بالمستشرق لأنّه علم ببعض اللغات الشرقية .

حدّدت كلمة المستشرق **Orientaliste** في قاموس أكسفورد لكل من تبحر في لغات الشرق وآدابه[2].

يُعرّف **رودي بارت** الاستشراق : "بأنّه العلم الذّي يختصّ بفقه اللّغة والتّفكير المعنى الذي يقصد به كلمة استشراق المشتقة من كلمة شرق وهذه الأخيرة يُقصد بها مشرق الشمس ، وبهذا يكون الاستشراق هو علم العالم الشرقي أو علم الشرق ، ثمّ يتسأل عن المقصود بكلمة شرق في هذا المقام بالذات ، لأن هذه الكلمة لدى الألمان تعني العالم السلفي؛ وهو العالم الواقع خلف الستار الحديدي الذي يختص بها علماء شرق أوروبا بالبحث ، أما الشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا ، وهذا المصطلح ترجع جذوره للعصر الوسيط بل تتعداه إلى العصور القديمة ، الذي كان البحر المتوسط يقع في وسط العالم كما كان من قبل ، وكانت الجهات الأصلية تحدّد بالنسبة إليه ، ولما انتقل مركز الأحداث السياسية من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق يُطلق على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط ، كذلك تعرّضت كلمة الشرق في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها أوبعبارة أدق تعرضت للاتساع نطاق مدلولها ، فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية ليس من الناحية الشمالية والشرقية فحسب بل إلى الناحية الغربية أيضا وزحفوا في غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال إفريقيا وتعرب السكان تدريجيا وهم الأقباط في مصر والبربر في غربها ، ومنذ ذلك الحين اعتبروا ضمن الشرق ، يمتد الاستشراق إلى شمال غرب إفريقيا" [3] ؛ وفي هذا القول تعريف جامع مانع للاستشراق بالنسبة ل **"بارت"**الذي نلخص بأنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي أي هو دراسة الشرق دراسة شاملة لحضاراته وأديانه ولغاته وآدابه ، مفصلا تاريخ ظهوره وأماكن انتشاره.

[1] د.يحي مراد:إفتراءات المستشرقين على المستشرقين والرد عليهم،المرجع السابق ،ص:8
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص8
[3] ينظر: المرجع نفسه،ص9

لاحظنا من خلال مقولته أنه ذكر كل صغيرة وكبيرة حول هذا الموضوع "الاستشراق" سواءً من حيث التاريخ أو الأماكن التي ظهر وانتشر فيها .

أما المستشرق **ميكائيل أنجلو جودي Michelangelo Judy** فيعرّف الاستشراق والمستشرق قائلا : "هو الوسيلة لدراسة النفوذ المتبادل من الشّرق والغرب ؛ بل يمكننا أن نقول أنّ الغرض الأساسي من هذا العلم لم يكن يوما محصورا على دراسة اللغات أو اللهجات أو التقلبات التاريخية لبعض الشعوب ..." [1] ؛ ويقصد بهذا أن علم الاستشراق لا يقتصر على دراسة لغات الشرق أو تعلم لهجاتهم وتاريخهم بل يتعداها إلى تبادل العلاقات بين العالم الشرقي والغربي قصد تحقيق المنفعة والوصول إلى المصالح العليا . كما يرى أيضا أنّ الاستشراق يُبنى على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والشرقي، ليس علم الشرق إلاّ بابًا من أبواب التاريخ الروح الإنساني ؛ وهو هنا بصدد التأكيد لرأيه الأول ويقول في موضع آخر :" ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب هو الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات الشعوب ؛ وإنّما هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الرّوحية والأدبية الكبيرة ، والتي أثرة بشكل كبير على تكوين الثقافة الإنسانية ، والمستشرق هو من تعاطى درس الحضارة القديمة وهو المتمكن والمقدر لشأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن للقرون الوسطى أو في النهضة الحديثة " [2] ؛ **فميكائيل أنجلو** يركز هنا على علم الشرق الذي يستوجب التعمق في أحوال الشعوب الشرقية أولا ثم لغاتها وحضاراتها سواءً الدينية أوالثقافية، والغوص في تاريخها حتى يستطيع الاستفادة من البحوث الجغرافية والطبيعية وهذا ما يُطلق عليه اسم علم الرّوح **SciencesdeLesprit**، باعتبارها قوى مختلفة أي تختلف باختلاف الزمان والمكان [3].

ولو توجهنا إلى الموسوعة العالمية لاكتشاف المفهوم الاستشراقي نجده بأنه حقل معرفي وإبداعي ضخم نشأ في الغرب (أوروبا وأمريكا الشمالية) لدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالبا) وتمثيلها في فنون مختلفة ، وتعتبر الجوانب السياسية ، الدينية والعلمية هي الأبرز لأنها كانت تمثل الهاجس الرئيسي لنشوئه [4].

من خلال هذا التعريف نجد توضيحا لنشوء الاستشراق وأين كان بالضبط ، مع إبراز لجوانبه العُظمى التي حصرها في مجال السياسة، الدين والعلم.

---

[1] عقيلة حسين:المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي،ط1،دار بن حزم،بيروت-لبنان-،ت:1425ه-2005م،ص32-33
[2] المرجع نفسه،ص33
[3] ينظر: يحيى مراد:معجم أسماء المستشرقين،المرجع السابق ،ص:7
[4] الموسوعة العالمية،ط2،مؤسسة آمال للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ت1999م،ص713

أمّا المستشرق الفرنسي **رود نسون مكسيم Rod Nesson Maxim** حسبما جاء في قوله عن دخول مصطلح الاستشراق في المعاجم الأكاديمية الفرنسية لأول مرة كانت سنة 1838م، وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق.

عمل **ماكسون Maxon** على توضيح التاريخ الخاص بظهور الاستشراق، موضحا المسعى من هذا العلم وهو دراسة العالم الشرقي بكل تخاليجه وعلومه، ولكن كان عدد المتخصصون فيه يسمح لهم بتطويره عن طريق إنشاء جمعيات أو مجلات متخصّصة في رقعة واحدة من العالم الشرقي ،رغما التعمق والبحث المتواصل إلا أن دراستهم قُبلت بالرفض والتصدي وعادت عليهم بالضرر.[1]

[1] ينظر:د.يحي مراد:معجم أسماء المستشرقين، المرجع السابق،ص:7-8

2-المدرسة الانجليزية:

2-1: الاستشراق الانجليزي:

إنّ التحدث عن حركة الإستشراق الإنجليزية تستوجب منا الرجوع إلى ما قبل الحروب الصليبية ؛حيث توجه نفرٌ من الإنجليز إلى الأندلس للدراسة والبحث في مدارها وجامعاته، ومن بين هؤلاء نذكر:

أدلار أوف بات "Adelard of Badh" (1070-1135م):

المعروف برحلاته الواسعة إلى للأندلس وسوريا بغية دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، الذي أصبح يُلقب بهنري الثاني بعدما صار معلما لهنري الأول بعد عودته إلى أرض وطنه.

ألّف عدت مؤلفات قيّمة من أهمها: المسائل الطبيعية، وكتاب الأصول وغيرها.

دانيال أوف مورلي "Danial of morely"(1190م):

الذي توجه بدوره للأندلس بحثا عن الفلاسفة الحكماء وعاد لبريطانيا محملا بالكتب[1].

المستشرق **توماس براونTomas Brown**: الذي كان قاضيا في الصقليا ولُقب بالقاضي **بروان** ،وغيرهم من المستشرقين فعددهم لايُعد ولا يُحصى ك: **ميكائيلسكوتMihaelScott**و **رودبيكون Rod Bacon**وغيرهم، كل هؤلاءاجتهدوا في طلب العلوم العربية والإسلامية في بلاد الأندلس وسوريا لأنهما يعتبران من أراضي الحضارة الإسلامية ومهدا للعلوم ،مما جعلتهما تشهدان وفدًا واسعا من الرحالات خاصة البريطانية منها.

كانت هذه البدايات الأولى لدراسة المشرق العربي ولكن لم يتوصلوا لأن يُطلقوا عليها تيار باسم الحركة الاستشراقية ، حتى بتخل الكنيسة في روما لتشجيعهم على إنشاء كراس للغة العربية في عدّة مدن أوروبية بمجمع **فيينا**(1311م-1312م)، بل بقيت مجرد قرارات رسمية ولكن من دون أي مفعول حتى تهيىء لها الجو المناسب للاستعداد الكافي لدى الأمم،لذلك اتسم هذا الطابع العلمي بالفردية والارتباط الكنيسي[2]؛ ما جعلها تعاني الخنق والتحايل من قبل الرهبان ورجال الكنائس ؛ لهذا السبب لم تكن هناك

[1]ينظر:د.مازن بن صلاح المطباتي:الاستشراق و الإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي :دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس،د.ط،مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض- ،ت1417ه/1995م،ص:27

[2]ينظر:ضيف الله فاطمة الزهراء:التاريخ الإسلامي من المنظور الاستشراق الانجليزي-لويس برنارد أنموذجا- مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه،قسم اللغة العربية وآدابها،تخصص:التأويلية وتحليل الخطاب، تحت إشراف:أ.دك باقي محمد،سيدي بلعباس – الجزائر-،ت:1441ه/2020م،ص:12

حركة علمية قوية متحررة من القيود الدينية، إلا أن المدرسة الإنجليزية لم ترضخ لهذه الظروف وواجهت كل تلك الصعوبات الفكرية بطريقة علمية [1]

شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر البدايات الحقيقة لبروز الحركة الاستشراقية وتطورها في إنجلترا من خلال كراسي اللغة العربية في جامعة **كامبوردجcanbridje** عام 1632م ، وكرسي في **أوكسفوردOxford** سنة 1636م .

في هذه الفترة الزمنية برز عدد من المستشرقين الذين أبدوا اهتماماتهم الواسعة باللغة العربية والدراسات الإسلامية في العالم الشرقي ، وبدراسة عاداته وتقاليده وكل حيثياته ، من بين أشهرهم : **ويليامبدول** الذي اتخذ موقفا معاديا للإسلام وللرسول عليه الصلاة والسلام ، هذا ما كشفته كتاباته ؛ أي اتخذوا (المستشرقون) من هذه الحركة منبع لمراقبة العالم الإسلامي عن كثب وبالتالي تهيئة الأجواء للاحتلال الرسمي كما فعلت الحكومة البريطانية مع الهند سابقا [2].

ومن الواضح أن مجمع **فيينا** في القرن الرابع عشر (1311م) قرر ترجمة الكتب النصرانية لتصل إلى المسلمين وبالتالي يعم التشكيك في دينهم تاركين إيّاه متوجهين إلى الديانة المسيحية ، وهذا الأمر مرسوم على طموحات النصرانيين المتمثلة في توحيد الكنائس الشرقية مع الغربية ، دون إهمال اللغة العبرية وتطويرها في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تحت مبدأ التعرف على اللغات يساعد في فهم الكتابات اليهودية وانتشارها [3].

إذا فالاستشراق الانجليزي تميز عن غيره من المدارس الاستشراقية بصفته المستشهد الأول للطابع الديني ، ما جعل اهتماماتهم تصب أنظارها على الإسلام واللغة العربية من خلال إسهاماتهم في تراجم القرآن الكريم ومفاهيمه المختلفة قصد التحريف والافتراء على الدين الإسلامي وتأليف أساطير وهمية ليس لها أيُّ مصدر موثوق .

وفي القرن التاسع عشر أصبحت بريطانيا أكبر قوة استعمارية في العالم بعد انتشار حركة الاستعمار العالمي ، واحتلت رقع كبيرة من الشرق الإسلامي ، كما امتاز هذا القرن بالاهتمام الكبير لبعض العاملين في الشركة الهندية الشرقية ، مؤسسة جمعية البنغال الآسيوية سنة 1874م ، وبعدها الجمعية الملكية الآسيوية المهتمة بجمع المخطوطات الشرقية .

[1] المرجع السابق،ص:12
[2] .مازن بن صلاح المطبقاتي:الاستشراق والإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي،المرجع نفسه،ص:28
[3] :المرجع نفسه،ص:29

إنّ الجدير بالذّكر هو أنّ الاستشراق الانجليزي كان له ارتباطا وثيقا بالاستعمار وغايته الأولية السعي لتحقيق الأهداف الاستعمارية ، ما ارتسم على شفتا **أحمدغراب** حين قال أن :"الاستشراق بحكم ارتباطه العضوي بالاستعمار يقوم على مهمة جمع المعلومات ويسهر على ترجمة النصوص وتفسير التاريخ ودراسة الحضارات والأديان والأسر الحاكمة والعقليات والتقاليد ، ويقوم المستشرق بهذا المهام كخبير في تفسير الشرق الإسلامي لحكومته ..."[1] ؛ أيّ أنّ الاستشراق الإنجليزي كان يركز على ترجمة النصوص العربية والغوص في تاريخ العالم الشرقي الإسلامي بغية فهمه من كل الجوانب السياسية والعقلية من عادات وتقاليد .

كل هذه المجهودات والأبحاث ما هي في الحقيقة إلا واجهة أولية للطبائع الاستعمارية، فهم الجواسيس الحقيقيين القائمين على نقل هذه الأخبار والمعلومات لحكوماتهم من أجل وضع أقدامهم على العالم الشرقي خاصة الإسلامي ، ما دفعهم للإجادة في اللغة العربية والتحري عن ثقافة المسلمين مدركين طابع شخصياتهم وبنية مجتمعهم .

لم يشهد القرن العشرين اختلافا عن القرن الذي سبقه من ناحية الأهداف والدوافع ، إلا أن الاستشراق الإنجليزي شهد توسعا في نطاقه وعمقا في مجهودات المستشرقين البريطانيين لزيادة العاملين فيه ، وعدد المؤسسات الجامعية ومراكز البحوث المهتمة بهذا النوع من الدراسات .

فمن أهم هذه المعاهد الاستشراقية الانجليزية :

مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن المتكونة من شخصيات عُرفت بماضيها الاستعماري كالمستشرق **كيرزون** و **كرومرCurzonCromer**، من أجل الإبقاء على الإمبراطورية الإنجليزية طالب مجموعة من المستشرقين في 1907/09/17م في مجلس اللوارات مواصلة الاهتمامات المتعلقة بالشرق وتقاليده وعاداته وحتى مشاعره وهذا ماتجلى في قوله :" ليس هناك خطوات تُتخذ لتقوية هذا الوضع يمكن أن توصف لعدم استحقاقها لاهتمام الحكومة من طرف صاحب الجلالة أو إجراء حوار عنها في الواردات عدّ إنشاء مدرسة الدراسات الشرقية الإفريقية بجامعة لندن جزءا لا يتجزء من الأثاث الضروري للإمبراطورية "[2]؛ فمن خلال قوله هذا يتضح حرصه الشديد على الحفاظ وبقاء الإمبراطورية الإنجليزية التي لا تتم إلا بوجود خبراء وأكفاء يتولون دراسة العالم الإسلامي ،كما جعل أهمية مدرسة الدراسة الشرقية والإفريقية وقيام الإمبراطورية البريطانية وجهان لعملة واحدة.

[1] ينظر:المرجع السابق،ص30-31
[2] ينظر:المرجع نفسه،ص:32

كان للحرب العالمية الثانية دورا مهما وفعالا في تحطيم الجهل بالمستعمرات عن طرق الاحتكاك المباشر من طرف القوات البريطانية بأهاليهم.

2-2:مجالات الاستشراق الانجليزي:

أصدرت الحكومة الإنجليزية تقريرا يؤكد أن التعامل مع العالم الحقيقي للمستعمرات لا يكون محصورا على الكتابة وحدها والحدث فقط بل يتعداها إلى وجوب إقامة مجالات تهتم بهذه الدراسات الاستشراقية ،فأسسوا وحددوا هذه المجالات وهي كالتالي:

1-الترجمة:

حيث لا يزال عدد كبير من الكتابات في اللغة العربية وحتى الهندية بحاجة للترجمة.

2-التاريخ:

ومن المهم جدّا الاهتمام به إذ يُعتبر البؤرة الرئيسية المساعدة على فهم مجريات الأحداث في الدول الأجنبية ،وتمنع تعرض الجمهور للصدمات و المفاجاءات لكي يُسهل على المسؤلين التعامل معها [1].

3-اللغة:

وذلك عن طريق الاهتمام بها وبمعاجمها.

4-العلوم الاجتماعية:

أسست من طرف:"المجلس الاستعماري لبحوث العلوم الاجتماعية"،من قبل مكتب المستعمرات لمراجعة الاحتياجات والأموال اللازمة للبحوث.

[1]ينظر:د.بن صلاح مطبقاتي:الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي،المرجع السابق،ص:33

5-العلوم البحتة:

رغم الاهتمامات الواسعة بأعمال العلمية في روسيا والصين فمازالت الحاجة قائمة لمعرفة الاهتمامات الواسعة بأعمال العلمية في روسيا والصين فمازالت الحاجة قائمة لمعرفة أكثر عمقا بإنجازات العلمية للعلماء الشرقيين القدامى

6-التجارة:

لا بُد من توافر المعرفة باللغات الشرقية لنجاح البحوث التسويقية خاصة الميدانية منها،مع توفير الأموال اللازمة لنشر هذه البحوث.

7-المكتابات:

عملت الحكومة البريطانية على العناية بالمكتابات و الاهتمام بها في جامعاتها ، وسهرت على توفير الدعم المالي لها أيضا لشراء الكتب وزيادة التبادل والإعارة بين المكتابات في انجلترا.

8-الاتصال بالدول الشرقية:

على الباحثون الذين يهتمون بهذه الدراسات أن يكونوا على اتصال بالحياة العامة والأكاديمية لهذه لدول ، للمحافظة على حيوية دراساتهم.

9-تعيين أساتذة من الدول الشرقية:

وهذه الخطوة في غاية الأهمية ؛لأن هؤلاء الأساتذة هم من سيقدّم لهم المعلومات المستجدة والحديثة عن بلادهم ولغتهم ،ويشطر أن يكونوا من الفئة الشبابية (رجالا ونساءً) وان يمضوا على الأقل من ثلاث لخمس سنوات في بريطانيا ،وأن لا يُعين م كان صاحب مستوى رفيع[1].

استمرت الحاجة للدراسات الاستشراقية بعد منتصف القرن العشرين وحصول معظم الدول المستعمرة وعلى استقلالها،فكلفت الحكومة البريطانية لجنة أخرى سنة 1961م لإعداد تقرير عن الدراسات العربية والشرقية ، وتحصلت هذه الأخيرة على الدعم من المؤسسة روكفلر **Rocfeller**

[1] ينظر:المرجع السابق،ص:33

الأمريكية ،وقامت بزيارات ميدانية لإثنيي عشر جامعة،عشرة في الولايات الأمريكية المتحدة واثنتان في كندا، درست أحوال هذه الدراسات وقدمت توصياتها التي تضمنت نقدا لأوضاع الدراسات الشرقية[1]

وعليه يتضح لنا من خلال ما سبق أن الدراسات الاستشراقية حظيت بنجاح كبير وتطور واسع في الجامعات البريطانية ،بالإضافة إلى خصائصها الشاملة لكل العلوم الشرقية من آداب وفن وتاريخ وفلسفة ،ما نجده عند الدكتور **سالم الحاج** الذي يرى أن الخصائص المميزة للدراسات الاستشراقية بكل جوانبها السياسية والفنية والأدبية والتاريخية وحتى الفلسفية و الآثارية ،لم تقتصر على فترة محددة ،ولكن ضمت بحوثها على الشرق القديم والحديث ،أما بالنسبة للمكان فإنها قد شملت الشرق بكامله ولم تقتصر على الشرق الأوسط فقط؛ ويرجع سبب ذلك في اهتمام بريطانيا السياسي بالهند وجنوب شرق آسيا، غير أن مصالحها السياسية المتجددة دفعتها إلى التركيز على منطقة الشرق الأوسط إبان وبعد طار االحرب العالمية الأولى لأهمية قناة السويس الإستراتيجية،و لاكتشاف النفط بكميات ضخمة في هذه المناطق ولإتساع المبادلات التجارية بينها وبين أقطار الخليج والسعودية والهند[2].

2-3:خصائص ومميزات المدرسة الانجليزية:

تميّزت المدرسة الاستشراقية الانجليزية عن غيرها من المدارس بأساليبها الفكرية وسياستها الثقافية التي تستهدف العالم الشرقي لتقرب منه ودراسة كيانه من أهم الخصائص المعتمد عليها :

1-العمق والدقة:

تتميّز المدرسة الإنجليزية بالعمق والدقة وهي أكثر المدارس الاستشراقية صلة بالشرق خاصة الشرقين "الأوسط والأقصى".

2-الصلات القوية بالشرق:

عُرفت المدرسة البريطانية بصلتها القوية بالعالم الشرقي خصوصا المناطق التالية: الخليج ، العراق ومصر وفلسطين، دون نسيان صلتها الوثيقة بالهند أيضا التي تميّز فيها الإسلام بتراثه العريق.

3-الاهتمام الجغرافي:

ركزت بريطانيا اهتماماتها على المناطق الجغرافية للعالم الشرقي وسيطرت عليها، إذ يرى الدكتور فتروق النبهان أنه من الطبيعي أن تتأثر هذه المدرسة جغرافيا بالمناطق التي تريد السيطرة عليها، وأن

[1]:المرجع السابق،ص:34-35

[2]ينظر:د.ساسي سالم الحاج :نقد الخطاب الاستشراقي :الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية،ط1،دار المدار الإسلامي ،بيروت-لبنان-ت:2001-2002م،ص:128

توجه اهتماماتها لفهم كل صغيرة وكبيرة متعلقة بالإسلام ومناطق تمركزه والأفكار التي جاء بها والقضايا التي يتناولها.[1]

إذن فالاستشراق الانجليزي حط أنظاره على تخاليج العلم الشرقي عامة والدين الإسلامي خاصة حتى يفرض سيطرته عليه ويتمكن من استعماره.

4- الدّراسة الفكرية والثقافية:

أولت المدرسة البريطانية اهتماما بالغا لدراسة ثقافة الشرق بكل رقعه الواسعة وبأفكار شعوبه مختلفة التكوين متباينة الخصائص، متصارعة متنافسة، يقول **فاروق النبهان** :"بالرغم من أنّ الإسلام وحد بين الكثير من الدول وثقافاتها وحطم جدار التباعد بتوحيده لعلاقاتها وبإتباعهم لنفس العقيدة، بفضل وحدة التوجيه التي جاء بها القرآن الكريم ووحدة المعايير التي تحكم السلوك الإنساني وكل هذا راجع للثقافة الواحدة ذات المصدر الرباني،إلا أن بعض العادات والخصائص تبقى ثابتة لأنها ترتبط بالجغرافيا أولا وترتبط بالقابليات المكتسبة وراثيا التي تفرض قبضتها على مسار تلك الشعوب من حيث الطبائع والعادات وقيّم السلوك ثانيا ؛ والمقصود أن رغم القوة الدينية التي وحدت ثقافة العالم الشرقي إلاّ أن هذا لم ينفي تشبث الشعوب بعاداتها وتقاليدها، ما جعل المستشرقين الإنجليز يرمون بسهامهم نحو هذه الحضارات لدراستها جغرافيا.

5-البحث عن الدين الإسلامي:

اهتمت هذه المدرسة بالحضارة الإسلامية في كل رقعة وجدت فيها من آسيا ،الهند والصين ،العراق وفلسطين.

6- طابع العزلة والنزوع عن الواقع:

ميّز طابع الهدوء المدرسة الإنجليزية و إخفاء طموحها وأهدافها تحت ستار العقلانية والرضوخ للأمر الواقع ،نجد في هذا المقام الدكتور **مجمد فاروق** يردد:"تستطيع الطبيعة الإنجليزية أن تحقق طموحها وأهدافها بذكاء ودهاء بفضل غموضها الفريد من نوعه وعدم انفعالها"؛ أيّ أنها تُظهر البحث السليم لكن الأمر المخفي منافي لما تُظهر تماما.

[1] ينظر: محمد فاروق النبهان: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره،د.ط،المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-ايسيسكو،ت:1433ه-2012م،ص:26

7-الاهتمام بالتراث الشرقي:

إذ يعتبر التراث الشرقي نقطة مهمة في أعين المستشرقين الإنجليز،ما دفع مكتبة المتحف البريطاني تُسقط أنظارها من ناحية وتضم مكتبات بعض القناصل الذين عملوا في بغداد،دمشق والقاهرة.

جمعوا كما هائلا من المخطوطات العربية، ومصاحف، معاجم، أوراق البُردي ومسجلات رسمية، ولازالت تلك المخطوطات في المتاحف البريطانية موجودة ليومنا هذا[1].

[1]ينظر: فاروق النبهان: الاستشراق:تعريفه،مدارسه،ثاره، المرجع السابق،ص:27

3-الاستشراق الألماني:

3-1الحركة والنشأة:

إنّ البدايات الأولى للدراسات الاستشراقية الألمانية لم تبدأ إلا بعد توغل الأتراك في قلب أوروبا ،من هنا فتحت لنفسها بابًا للأبحاث والدراسات في اللغة العربية والاستفسار في القرآن الكريم ودراسته دراسة علمية بطابع سياسي.

إنّ أول اتصال لألمانيا بالشرق يرجع على الحملة الصليبية الثانية عام(1147م-1149م) بعودة فرسانها وحجاجها من بيت المقدس ووصفهم لها ولحضاراتها إلى بلدهم،وبعد قيام المترجمين الألمان للكتب العربية في الأندلس إلى اللاّتينية.

إنّ الصلة الأولى بين ألمانيا والعالم العربي ترجع إلى معطيات دينية غرضها ترجمة الكتاب المقدس من اللغة الشرقية إلى اللغة اللاّتينية؛ حيث أن المسعى الأول والأخير للدراسات الاستشراقية الألمانية كان مفتاح مسعاه ديني محض[1].

استوجب على المستشرقين الألمان اللجوء على اقتناء الكتاب المقدس وجلب المخطوطات الشرقية العربية والعبرية لبناء دعامة في دراسة هذه اللغات وقواعد الشرق، وقد أطلق عليها شعار: **"مجموعة بوستلBustle** " الذي كان لها دورا فعالا ومفيد يخدم طموحات العديد من المستشرقين بل أضحت مرجعا مهما يتكون عليه في مشاريعهم وأبحاثهم خصوصا المتعلقة بقواعد اللغة العربية.

من بين المستفيدين من هذه المجموعة المستشرق **كريستمانChristman**بعد اطلاعه على عدة كتب **لبوستلBustle** ككتاب **النحو العربي**فأصبح**كريستمانChristman**بدوره مؤلفا لكتب تخصّ لتعليم اللغة العربية،مع السهر على إنشاء كراسي لها في كل من جامعة هاينبرج عام 1585م.

مع وصول مخطوطات **بوستل "مجموعة بوستل"** إلى مكتبة أمير بفالز هنا كنت الإنطلاقة للدراسات العربية في ألمانيا كاللغة أولية.

إنّ أول من تعامل مع مخطوطات **بوستل** هو المستشرق **ياكوب كريستمان ChristmanJacob (1554-1613م)** وهو تلميذ **يونيوس(1545-1602م)**الذي نال بدوره نصيبا من علوم اللغة العربية لترجمة الكتاب المقدس[2]؛ إذ نجد الأستاذ **ألبرت ديتريشAlbertDietrich** يُصرّح أن أول محاولة

[1]:ينظر.فاطمة فاتح:الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني:دراسة تحليلية نقدية،مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه،تحت إشراف د.عبد القادر عيساوي،ت:1437ه/2016م،ص:52

[2]ينظر:يوهان فوك:تاريخ حركة الاستشراق:الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين:نقله:عمر لطفي العالم،ط2،دار المدار الإسلامي،ت:2000م،ص:99

ألمانية لتدريس اللغة العربية كانت من قبل المستشرق **كريستمان**Christmanالمتوفى سنة 1613م،فقد اجتهد في مؤالفاته ومن بينها كُتيب لتعليم كتابة الحروف العربية، كما إنه أعدّها بنفسه للمطبعة ووضعها في قوالب من خشب[1].

في القرن الثامن عشر تعلم المستشرقون الألمان اللغات الشرقية بهولندا ن وعلموها بالجامعات الألمانية بعد عودتهم ،وأخرجوها من نطاق التوراة الذي ضرب بها زدحا من الزمن إلى ميدان الثقافة العامة، ومن أبرز هؤلاء المستشرقين: المستشرق **Reiske رايسكه**(1716-1774م) في جامعة ليبترج، والمستشرق **جوستاف** تبخسن (1734-1815م) في جامعة **روستوك**[2].

تأثر المستشرق **هردر**Herder**(1744-1803م)** بالشاعر**أوليرى**، فقد كان له نفس حلم أستاذه(**همان**) وهو زيارة البلاد العربية ورؤية أصل الحضارة في الشرق،ثم قّدم دراسات حول أصل وصحة اللغة العربية سنة(1771م)، مناديا فيها بضرورة فSهم الشعب ومعرفة طرق حياته وفيما تتمثل موسيقاه قبل الحكم عليه.

بدأ هذا المستشرق في جمع أصوات الشعر في أغانيهم **Stimmen der Volker in Lieder**، ظهرت الأشعار الشرقيةلديه عام1781م بمجلته **TeutshMerkur**،قدّم فيها دراسة عن العهد القديم بعنوان "من روح الشعر العبري" في (1782-1783م) **VomGeiste der hebraischen Poesie**،وضع فيها تصوره لخصائص الشعر العربي وكل ما يشمل لغته وطريقة حياتهم ومعيشتهم ،دينهم وحتى شعورهم،معبرا عليها بطريقة احترافية و بصورة مزهورة وقوية وباستعمال جملا رنانة تتميّز بالوصف الدقيق الرائع المؤثر على النفوس[3].

وفي القرن التاسع عشر قصد مستشرقون الألمان العلامة دي ساسي لتعليمهم اللغة العربية من نحو وصرف، بعدما أخذت فرنسا محل هولندا في الدراسات العربية وآدابها .

بفضل هذا العلامة(**دي ساسي**) المتمكن في اللغات الشرقية تخرّج على يديه عدة مؤلفين في اللغة العربية من أشهرهم:المستشرق **فلايشير**Flasher(1801-1880م)وايفالد**Ewald**(1803-1875م).

---

[1]:أ.د.صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما اسهموا به في الدراسات العربية،ج1،ط1،دار الكتاب الجديد،بيروت-لبنان-،ت:1978م،ص:7

[2] محمد يحي خراط:الاستشراق الألماني ،د.ط، دار الدراسات والبحوث،العدد:2010م،ص:66

[3]ينظر:د.محمد عوني عبد الرؤف:جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة،أعده لنشر وقدم له :د.إيمان السعيد جلال،ط1،المجلس الأعلى للثقافة-الجزيرة-القاهرة،ت2004م،ص:24

اعتنوا بالدّراسة للغة العربية في الجامعات الألمانية : جامعة **ليبرج** الذي درّس فيها **فلايشير** و**ايفالد** بجامعة **جوتنحين**Go down[1].

عبّر الدكتور **يحي خراط** عن هاتين الجامعتين بأنهما كانتا السبب الأساس في إخراج كبار المستشرقين المتمكنين في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، الذين بدورهم قدّموا الخدمة العظمى بتعليمهم لأبناء وطنهم،كما وضعوا فهارس للمخطوطات العربية في المكتبات الألمانية و نظموا المتاحف التي تُعنى بالحضارات الشرقية ،وأسسوا المطابع والجمعيات والمجلات المهتمة بالحضارة العربية الإسلامية بشكل خاص والشرقية بشكلٍ عام، وأسهموا في توسيع آفاق فهم تاريخ الشرق وحضاراته وفهم رموز لغاته البائدة والسائدة والمقارنة بين الحيّة منها، دون إهمالها لنشر التاريخ الإسلامي وتعريف العالم به المُحقق بالعربية والمترجم إلى اللغات الأوروبية الألمانية وغيرها[2].

رغم تأخر الألمان في دراسة اللغات الشرقية العربية والإسلامية مقارنة بغيرها من الدول الأوروبية كالدولة الفرنسية والروسية وغيرها؛إلا أنها حققت لطموحاتها المختصة بدارسة العلم الشرقي العربي والإسلامي بصفة خاصة؛ أيّ أن المستشرقين الألمان رغم هذا التأخر إلا أنهم لم يعتبره تعثر ولا نقطة فاشلة بالنسبة إليهم، بل وضعوا وضعوا بصمتهم من خلال إصرارهم واجتهادهم و قرّروا السفر إلى الأراضي الهولندية والفرنسية باعتبارها الدول التي تمكنت في دراسة اللغة العربية ، ما أكسبهم رصيدا لغويا مكنهم من البزوغ بعدة أعمال تخص العلم الشرقي بتاريخه ولغاته و حضاراته و أديانه، وترجمتها إلى اللغات الأوروبية .

القرن التاسع عشر هو عصر ازدهار وإنتاج خصب للاستشراق الألماني واستمر هذا التفوق والنجاح لغاية الحرب العالمية الثانية .

3-2:مميزات الاستشراق الألماني:

اختصّ الاستشراق الألماني بمزايا واضحة تختلف عن الاستشراق في الدول الأوروبية الأخرى ،والمتطلع لحركة الاستشراق يلحظ ذلك ،تتمثل هذه السّمات في:

الاستشراق الألماني لم يحمل في طياته مساع سياسية أو استعمارية أو دينية مثل باقي الدول الأوربية، فقد ورد عن الدكتور صلاح الدين المنجد أنّ الدراسات الألمانية لم تُتح لنفسها مسعى للاستعمار ولم تهتم بنشر الديانة المسيحية على حساب التشويه الديني ؛لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات

[1] محمد يحي خراط، المرجع السابق،ص:66
[2] المرجع نفسه،ص:66-67

المستشرقين الألمان وظلت مُحافظة على الأغلب على التجرد غالبا والروح العلمية [1]؛أي أنه يرى الطابع العلمي المحض في الدراسات الألمانية الخالي من الأهداف الخبيثة ،وإن وجد هناك بعض الانحراف فتكون هذه الظاهرة شاذة وقليلة تكادُ تنعدم ولا يمكن تعميمها على كل الدراسات.

1 -روح الاعجاب والتقدير:

امتازت الدّراسات الألمانية عن غيرها بروح الاعجاب والتقدير للحضارة الشرقية الإسلامية والعربية مبتعدة عن العداوة والبغضاء ،إلاّ أنّ هذا لم يمنع ظهور فئة منهم معارضة للروح العلمية متبنية لخلفيات سياسية وعقائدية معادية للمسلمين والعرب منهم: المستشرق **نولدكده**Noldekeوما جاء به عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم[2]، والمستشرق **فوللرز**Vullers(1880م) ورده عن التعاليم الإسلامية وتعقيبه عن القرآن الكريم.لكن رغم مجهودات هذه الفئة إلا أنهم لم يستطيعوا التغيير في آراء البقية الذين لبسوا ثوب الإنصاف والحب والتقدير للحضارات الشرقية،ولو توجها للناقد صلاح المنجد نجده يُردد بانعدام وجود مسشترقين من الألمان جعلوا دينهم عداء العرب والإسلام،وتعمدّوا الدّس والتشويه في دراساتهم،حيث رافقت دراساتهم روح الاعجاب والتقدير والانصاف.[3]

أكدّ لنا الناقد **صلاح المنجد** أن الدراسات الاستشراقية الألمانية ارتسمت على الصفة العلمية البحثة والتمعن في التعاليم الإسلامية والتمعن فيها بكل حب وصدق .

يقول **روديبارت**Rudi Paret :" إننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية؛بل نخصص سعينا للبحث عن الحقيقة الخالصة" [4] ؛مدعما رأيه بنشره لأفكار يصف فيها دراسات المستشرقين الألمان بأنها دراسات ذات مبتغى نبيل وهو التقدير الخالص للعالم الذي يمثل الإسلام ومظاهره المختلفة،وليس لتبيان ضعفه.

كما أنّ الدّكتور **فرتزشتيبات**Fritz steeppatأعلن عن عظمة الدين الإسلامي في مؤتمر المستشرقين الألمان المنعقد في برلين عام 1980م قائلا:"الإسلام دين العلم والثقافة والعدل والحضارة والتقدم، لكن المسلمين لم يتمسكوا به وبخصاله الحميدة، وهم مدعوون لأن يسلموا حتى يصلُح حالهم وتستقيم شؤونهم ويصبحوا قادرين على حمل المسؤولية والراية من جديد"[5]؛وهو هنا يُبيّن عظمة الإسلام التي تعود على الشعوب بالحضارة والثقافة والعدل أيّ يمثل المصدر الأساس للعلم والتطور.

إضافة إلى عدد هائل من المستشرقين الآخرين الذين برزو في هذا المجال ودعّموا العالم الشرقي والإسلامي من بينهم:

---

[1] ينظر:د. صلاح الدين المنجد:من عظمة الإستشراق الألماني ،ط1،دار الكتاب الجديد،بيروت-لبنان-،ت:1978م،ص:7

[2] المرجع نفسه،ص:7

[3] المرجع نفسه،ص:7-8

[4] د.ناصر بن محمد عثمان المنيع:آثار الإستشراق في الدراسات القرآنية (عرض وتحليل)،د.ط،العدد السادس،مركز البحوث والدراسات الإسلامية،ت:1430ه-2009م،ص:398

[5] المرجع السابق، ص:399

المستشرق **رايسكه**Reiske**الذي لقبَ** نفسه ب:"**شهيد الأدب العربي**" والمستشرقة المعاصرة **زيغرند هونكه**Siegrund Hunkeالتي أبدعت في كتابها حول الحضارة الإسلامية وألفت كتاب بعنوان:"**شمس الله تسطع على الغرب**" وغيرهم، كما نجد منهم من أسلم واعتنق الإسلام دينا له من أمثال **ريشر**Reischer الذي غير اسمه **لعثمان** بعد دخوله في الإسلام.

3-المكتبات:

إنّ المكتبات الألمانية من أغنى المكتبات بالمخطوطات والمصادر العربية والإسلامية،ويعتبر ذلك حافز يعود على الباحثين بالاجابية العلمية وقوة الشخصية التي تبعث الرزانة والحكمة للتدبر في الحضارات الشرقية أكثر من سواها.

4-الموضوعية:

يمتاز الاستشراق الألماني بالموضوعية والعمق والبعد عن الأمور السطحية والتدبر في الأهم؛أي في الأمور العلمية التي تخص العالم الشرقي من حضارة ودين ولغة...الخ

5-المنهج:

اتخذت المدرسة الألمانية معايير ومقاييس خاصة اتبعوها في بناء هيكل منهاجهم هي: العلمية ، التراكم المعرفي ، منهج التخصيص والمؤسساتية.

أعطى هذه المعايير منهاجا خاصا تَوّج المدرسة الألمانية بالعلمية والنزاهة المعرفية مع الدّقة البحثية التي شملت الدراسات اللغوية في تحقيق مخطوطات الحضارة العربية والإسلامية .

6 -المنهج العلمي الدقيق:

اتّسم رواد المدرسة الألمانية بالمنهج العلمي وهو منهاج ناذرا يُحتذى ، فقدكانت أعمالهم جماعية يُكمل بعضهم البعض و يُصحح كلّ منهم للآخر.

تظهر فيهم الحماسة وحبّ التطلع شهد لهم الدّكتور صلاح الدين المنجد بهذا.[1]

7- التأليف:

للحركة التأليف عند الاستشراق الألماني عظمة علمية باهرة الثراء اللغوي والفقهي والمعجمي، التي أولولها عناية واهتمام لا يوصف[2].

[1] ينظر: د. صلاح الدين المنجد: المرجع السابق،ص 11

[2] فاطمة فاتح:الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني،مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف:د. عبد القادر عيساوي،ت 2016م،ص 68-69

*جُذاذات وجُذاذ: ورقة صغيرة تُقيّد فيها المعلومات للحفظ.

من أبرز المؤلفات التي اشتهرت بها المدرسة الألمانية:

أ)-المعاجم:

أول من وضع معجما عربيّا لاتينيا كان يعقوب يوليوس **Yacop Julius في 1667م**، ويليه الألملني فرايتاغ **Freitag عام 1861م** ، كتب **تيودور نولدكه Theodor Noldeke** على هوامش نسخته ى من معجم فرايتاع الكثير من الاضافات التي يمكن أنْ يُكون منها معجما خاصا به.

اهتم جورج كريمو Geoege Cremo (1961م) ونشرها في سنة 1952-1954م.

كما حاول المستشرق فيشر Fisher (1949م) أن يضع الألوف من جذّاذات* لمعاجم اللغة العربية بعد إقامة عملية استخراجٍ لها من المصادر القديمة بعصورها المختلفة.

كل هذ المجهودات المبذولة كان الغرض منها الحصول على معجمٍ تاريخيّ دال على تطور معاني الألفاظ.

أتم فيشر عمله بعد أربعين عام تقريبا.

ب)-مؤلفات الثقافة الإسلامية:

لم يتوقف الألمانيون عند تأليف المعاجم اللغوية فحسب، بل اهتموا كذلك بالمؤلفات الدينية التي لاقت حظًّ وافرًا من النجاح ، ولازالت ليومنا تُعتبر من المراجع الثمينية التي يُقتدى بها.

المؤلف **رايسكه Raiske** وضع مؤلفا تاريخيا أصبح بدوره جزءً لا يتجزء من التاريخ العالمي.

قام المستشرق المستشرق فوك **Fock** بدراسات مختلفة من بينها:

- دراسات في اللغة العربية واللهجات والأساليب.

- ودور الرّواية والرّواة في الإسلام .

- شعر القبائل العربية الشمالية في العصر الجاهلي وغيرها من الدراسات.[1]

[1] صلاح الدين المنجد:المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسمهموا به في الدراسات العربية، ط1،ج1،دار الكتاب الجديد ،بيروت-لبنان-،ت1978م،ص11

3.1.خصائص الاستشراق الألماني:

لم تكن ألمانيا من الدول المستعمرة للبلدان العربية والإسلامية فجأت دراستها منصفة دقيقة.

هناك خصائص تميذز بها الاستشراق الألماني وضعها الباحثين العرب أهمها:

عدم خضوع الاسشتراق لغايات سياسية او دينية استعمارية ؛ لأنّ ألمانيا لم يكن من اهتماماتها نشر الديانة المسيحية ، غير أنّ الدّكتور ساسي سالم الحاج رأى أنّ هذه الخاصية لا أساس لها من الصحة ن فالاستشراق الألماني كان مسعاه تطبيق الاهداف ، والأزيد من ذلك كانت نشاته مبنية على هذا الغرض فقد درس التوارة واللغة العبرية اعتبارهما مدخلا لفهم الإسلام واللغة العربية، علاوة على ذلك ساهمت ألمانيا في الحروب الصليبية وبالخصوص الحملة الثانية، كما أنهم اهتموا بالأغراض السياسية.[1]

لم تتعفف ألمانيا عن استدمار دول العالم الشرقي والبلاد الإسلامية ، لكن الظروف العالمية كانت أقوى من رغباتها خاصة وأنّ بريطانيا كانت تُنافسها ، حاولت مرات عديدة تجنيد جيش من المستشرقين لتمهيد أرضية للاستلاء على الشرق عبر الحدود التركية.[2]

اعتنى الاستشراق الألماني بالدراسات الشرقية من ناحية الحقبة الزمنية القديمة لغاية صدر الإسلام،جاعلا من الآداب والفنون والآثار مكانة وعناية خاصة خالية من أيّ أغراض سياسية لكن لم تكن دائما خالية منها.

أنواع المستشرقين الألمان:

من المؤكد أنّ الدراسات تتغيّر عبر الزمن، وتطرأ عليها فروقات وتجديدات تميّز العصري عن الكلاسكي ، كذلك الحال بالنسبة للمستشرقين الألمان انقسموا بدورهم لصنفين:

أ)- المستشرق التقليدي:

وهو المتمكن ذوالمعرفة الشاملة الظاهرة في أعماله وإنتاجاته ، يُتقن اللغات الشرقية راجعا إلى مصادرها الأصلية.

يهتم بإبراو مظاهر التطور الحضاري للشرق الأدنى ، كانت الإدارة السياسية متكفلة ببحوثهم ورحلاتهم .[3]

[1] د.أمجد يوسف الجنابي :آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية،ط2،مركز التفسير للدراسات القرآنية –الرياض-،ت2015م،ص 50-51

[2] ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي : الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الإسلامية،ط1نج1، دار المدار الإسلامي-بيروت،ت 2001،ص 134

[3] أمجد يوسف الجنابيك المرجع نفسه،ص 52-53

ب)- المستشرق المعاصر:

لـه معرفـة تخصيصـية ، وهـو الباحـث فـي اللغـات الشـرقية عـن طريـق وسـيط ، مرتكـزا علـى أعمـال المستشرقين التقليدين أو على الترجمات.

يُركز اهتماماته على القضايا الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة .

أصبحت المؤسسات الاقتصادية او الأكاديمية هي المسؤلة عن تكاليفهم البحثية.

نتوصل في الأخير ألى مسار تطور الاستشراق الألماني الذي شكّل صنفين من المستشرقين، أولهما يُعدّ هو المؤسس وهو الأصل واصطلح عليه ب" المستشرق التقليدي"، والثاني جاء من بعده متتلمذا على كتابات المؤسس وأُطلق عليه اسم "المستشرق المعاصر"[1]

سمات الاستشراق الألماني:

من خلال ماسبق ذكره وُضعت سمات استفردت بها المدرسة الألمانية دون غيرها من المدارس الاروربية هي:

رغم تنوع الاستشراق الألماني وانقسامه لنوعين تقليدي ومعاصر، إلاّ أنّ موضوعات الدراسة فيه كانت متنوعة المجالات .

يختلف الاستشراق الحاضر عن التقليدي من حيث الدراسة، إذ أن خذا الأخير يهتم بالفقه واللغة والديانة الإسلامية أما الحديث يقصد بالبحث في مجال العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية.

لا تخلوا أعمال المستشرقين الألمان من الهدف التنصيري ،إذْ أقاموا رحلات للأرض الفلسطينية لكونها أرض الكتاب المقدّس، كما أنشؤ المعهد الإنجيلي فيها.

لم تكن كل أعمال الألمانيين خالية من الاستهداف الاستعماري عند تناولهم للدراسات المعاصرة.

تنوعت التخصصات في دراساتهم للعالم الشرقي ، انتجت من خلال تعاونهم مع المتخصصين للوصول إلى محاصيل علمية شاملة عن الشرق.

رغم التطور والعصرنة ،لا انّ الاستشراق الألماني التقليدي لا يزال هو الأساس المعتمد.[2]

[1] المرجع السابق، ص 54

[2] المرجع نفسه،ص 54

الفصل الثاني
المستشرقون الانجليز والشعر الجاهلي

الفصل الثاني: المستشرقون الانجليز والشعر الجاهلي

المبحث الأول:

1.1. أصول الشعر الجاهلي عند مرجليوث

2.1. الرّواة و الأشعار

3.1. الأصول العربية قبل الإسلام

4.1. لغة القرآن والشعر

5.1 .المنافسات الشعرية

2-/ النقد الموجه للقضية الشعرية عند لمرجليوث .

1.2.مكانة الشعر والشعراء في القرآن الكريم

2.2. أميّة الرسول وعلاقتها بالشعر

3.2.تاريخ ظهور الشعر الجاهلي

المبحث الثاني: لغة الشعر والقرآن عند المستشرق سان كلير تيسدال.

1.1..الشعر العربي القديم ولغة القرآن

2.1.تسمية المعلقات

2.النقد الموجه لتيسدال:

1.2.الرسول بالنحل

2.2.معارضة آراء تيسدال

1.اعترافات سان كلير تيسدال

أ)- من الناحية التاريخية والتأصيلية

ب)- من الناحية العروضية.

2-/ النقد الموجه له.

3/- انصاف المستشرق تشارلز ليل للشعر العربي القديم ونقد لرائد المدرسة الانجليزية مرجليوث

1.1 مصداقية تشارلز ليل

2.1 .الافتراءات على الرواة القدامى

3.1.عناية ليال بالشعر القديم

4.1..النحل وصحة الشعر

اشتغل الباحثون القدماء والمحدثون وكذا المستشرقون على موضوع الشعر الجاهلي بكل تفاصيله، وسنتوقف في هذا الفصل عند رؤى صموئيل مرجليوث وتشالز ليل و سان كلير تيسدال ونظرياتهم المعتمقة في هذه القضية متبنينجميع آرائه النقدية خاضعين في قواعدها دارسين لماهياتها.

1.1-صموئيل مرجليوث:David Samuel Margoliouth

وسنتحدث في نظريات مرجليوث ونتعمق فيها لنكشف ما رآه وما يريد الإمالة إليه، فقد نفى هذا المستشرق الإنجليزي الشعر الجاهلي واستحالة أن يكون هذا الشعر في العصر الجاهلي، وإنما هو في مرحلة تالية بعد ظهور الإسلام، وقد أوردها في كتاباته إذ كتب مقالا مفصلا نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو سنة 1925م،بعنوان أصول الشعر العربي" **THE ORIGINS OF ARABIC PORETRY**"، ونراه يستهله بالموقف القرآني من الشعر والشعراء ووصفهم بالغاوون[1].

مع إنكار سيد الخلق محمد **عليه الصلاة والسلام** ونفيه للشعر مبيّنا موقف أهل قريش من الدين الإسلامي، والرسالة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام من الصور القرآن المنزل،كما أنكروا أن يكون هذا وحيا بل ولقبوه بالشاعر المجنون والكاهن معقبا بالقول:" فان كان المقصود بالشعر نفي المعنى المفهوم منه في الأدب اللاحق على القرآن،فسنكون في مواجهة معضلة حقيقية: إن محمدا الذي لم يكن يعلم الشعر كان يدرك أن ما يوحى إليه لم يكن شعرا. بينما أهل مكة الذين يفترضوا أنهم كانوا يعرفون الشعر حين يسمعونه أويرونه ظنوا بأن هذا الوحي كان شعرا، وكان ينبغي أن يتوقع العكس."[2] ؛ ويقصد بها أنه من الأمر العجيب أن يتعرف الرسول عليه الصلاة والسلام على الوحي وأنه كلام سماوي منزل وليس بشعر وهو أُمّي ،وأهل العلم الشعر والعلم (قريش)أدركوا بأنه شعر وليس كلام سماوي.

ثمّ يتجه إلى تلك الكميات الهائلة من النقوش التي ترجع إلى ماقبل الإسلام وقد كتبت بلهجات متعددة، خالية من الشعر وتكون هذه النوعية خاصة بالنقوش على المقابر أن أغلب الأمم ومعظمها تعتمد على الشعر في هذه الكتابات، نأخذ على سبيل المثال: الأدب اللاتيني لمرثي الشيبيون **SCIPIOS**: وهي منظومة في بحر زُحَلْ*والنقوش اللودياوية التي اكتشفت حديثا نجد منها مجموعة منظومات شعرية، ما يؤكد استحالة أن تكون للعرب أدنى فكرة عن النظم والقافية، على الرغم منن تقدم حضارتهم في بعض النواحي فإن نصّ القرآن على إلزامية تعلم الشعر فمن الواضح أنه يشير للصنعة التي تستوجب العلم بالأبجدية " لأن القافية العربية تقوم في تكرار نفس المجموعة من الحروف الساكنة والعلم بنظام

[1] ينظر : عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين،ط1،ت:نوفمبر1979م،ص:88-89-09

[2] المرجع نفسه ،ص:88 و أكرم عبد الله محمد العوسجي: دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي (دراسة تحليلية)مذكر لنيل شهادة الدكتوراه،إشراف:د.المهداوي إيمان كمال مصطفى ، كلية الآداب واللغات ،الجامعة الإسلامية، بغداد-العراق-،ت 2009م ،ص:211

نحوي،لأنّ النظم يتوقف على الفارقة بين المقاطع الطويلة والقصيرة وارتباط بعض النهايات ببعض المعاني"[1].

وهذا يحدث إمكانية إشهاد القرآن الكريم إلى وجود بعض الكهان المعروفين بأنهم شعراء بالنظر إلى لغتهم الغامضة كما هي ألوان وأشكال الوحي ومثل هذا حدث في وحي دِلفي "**delfine**" الذي يبدأ: " إني أعلم عدد الرمل و مقاييس البحر**، والدقة المتجلية في أقوالهم تلبسهم ثوب الشك إلى حدّ يبرر وصفهم بما وصفهم القرآن.

ويستند إلى نظرة أبي تمام في الشعر على أنه يمثل أمجاد العرب الأوائل، ولم يحفظ منها إلا ما سجل في القصائد وأن هذه القصائد التي حافظت على ذكر المعارك وجلائل الأعمال، بل وسميت ملكا محدودا،وهذه العبارة ربما كان معناها أن القبيلة التي يظهر فيها أبرع الشعراء تسيطر على القبائل الأخرى إلى حد ما[2] ؛ تبعا لذلك فإن الشعراء ليسوا كهانا بل هم يسجلون الأحداث على حساب إمكانيات قرائحهم؛ فجعل مرجليوث أمر التوافق بين هذه النظرية وأقوال القرآن وموقفه العام هو بالأمر العسير، بل إنها تنطبق تمام المطابقة على ديوان أبي تمام نفسه الذي يتجلى فيه تخليد لكثير من المغامرات والأحداث ذات طابع تاريخي في أغلبها أو ترجمة ذاتية، كذكره على سبيل المثال زمن فتح العمورية، وما جمعه من شذرات الشعر العربي البارزة في الحماسة وعليه لا نرى أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون؛ بل على العكس يفترض أنهم يسجلون ما فعلوه في الواقع أو ما شاهدوه يُفعل،ويبدو أن أي عربي من عهد إسماعيل فصاعدا يفعل شيئا فإنه يخلد ذكراه في قصيدة- لكن مجموعة من القصائد -يخلد فيها التاريخ إما يؤلف أدبا لا يستحق أبدا أن يوصم بلغة الازدراء التي استخدمها القرآن، ووجود هذا الأدب تسبعده –كما سترى- مواضع أخرى في القرآن الكريم استبعدته استبعادا تاما .

مدعمًا رأيه هذا ذاكرا الأثريين المسلمين الذين بدؤا أعمالهم حوالي نهاية العصر الأموي، قد أدلوا وأقروا بوجود أدب قديم ، والقسم الأكبر منه كان قبل ظهور الإسلام ،لم يكتفوا بهذا فحسب بل ادعوا بتقديم حصص أكبر منه إلى الناس ما يدعوا إلى الظّن باعتباره سبب كافي لغرس بذرة الشك لدى بعضهم.

خصوصا بعد الإدلاء أنّ**الخليل بن أحمد الفراهيدي**:هو أول من وضع علم االعروض المصرح أن استمداده كان من القبائل العربية،الأمر الذي لم يتقبله مرجليوث بل زاد من شكه إذ قال:"بأن هذا قوبل

[1] ينظر:المرجع السابق ص:90 -91

- بحر زحل:ويسمى ببحر زُحل الشعري **"Nuerus satutrntusi":** وهوبحر لاتيني قديم يتصف بالخشونة والغلط.

**وحي دلفي: نسبة لمدينة دلف (دولفي) في إقليم قوقبس باليونان، وكانت مكانا مقدسا منذ الأف الثاني قبل الميلاد، وفيها معهد شهير باسم يولو،تتولى الكهانة فيه الكهنة هي القوثيا.

[2] المرجع السابق،ص:83

بعدم التصديق وأنه عبارة عن أوهام لا غير[1]،ويقول :" فإن أحد معاصريه ألف كتاب رام يثبت فيه أن هذا النظام كله وهم" [2]؛ فمن غير الواضح متى كانت بدايات نظم الشعر فبعضهم يرجعه إلى آدم والبعض الآخر يدعي تقديم قصائد إسماعيل.[3]

أما بالنسبة لعرب الجنوب فقد كتبوا نقوشا بلغاتهم ولهجاتهم وأنهم، وحسب ما قالوه وأنهم كتبوا أشعارهم بالغة العربية التي كتب بها القرآن، وحسب ما قولوه الأثريون*أن الأشعار التي كتبوها باللغة العربية نفسها التي كتب بها القرآن[4] .

يرى مرجليوث حول الآراء التي تدلي بإعطاء الأولوية للمهلهل في قصد القصائد الطوال وإلباسها ثوب الغزل، أمر لا صحة منه ودعوى إلى الكثير من النزعات في أكثر من ناحية أولا: وجود روايات وقصائد تبتدئ بالنسيب وزمانها راجع قبل زمان المهلهل.[5]

علاوة على ذلك من المعروف أن امرئ القيس كان أول الشعراء ما تؤكده معظم الروايات، مع العلم أن زمانه متأخر قليلا عن زمانه وقد تفشت هذه الظاهرة بين الشعراء كما هو الحال عند الأعشى إذ يُقال بأنه أول شاعر تكسب بشعره، بيد أن عبيد الأبرص كان سبقا من الأعشى وبوقت طويل وكان أستاذا في هذا اللون من الفن[6].

ثمّ إنّ عنترة العبسي لم يكن بمنأى عن هذا وكان زمانه أسبق قليلا، وقد ردها مرجليوث سبب إعطاء المهلهل المرتبة الأولى في قصد طوال القصائد راجع إلى معنى اسمه فمعنى المهلهل هو:"صانع النسيج الرقيق" ويقصد بالنسيج هنا " النسيج الشعري"؛ وبتفسير المعنى الدقيق لاسمه يقصد به الصانع، ما أدى بأنه أول شاعر انحرف عن جادة الصدق وبذلك ساهموا في بروز هذه الفكرة العجيبة.[7]

ثم بعد ذلك اتجه هذا المستشرق إلى التمعن في كيفية حفظ هذا الشعر وفي أمر بقائه راسخا طيلة هذه الفترة الزمنية الطويلة قبل الإسلام وبعد مجيئه قائلا:" وأول سؤال ينبغي أن نسأله هو : لو افترضنا

[1] المرجع السابق، ص:93
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص:93
[3] المرجع نفسه، ص:93
*الأثريون: يُقصد بهم الرواة الذين الذين رووا الشعر العربي السابق على الإسلام.
[4] المرجع نفسه،ص:93
[5]:المرجع نفسه، ص:93-94
[6] المرجع نفسه،ص:94
[7] ينظر: المرجع نفسه،ص:95

أن هذا الأدب صحيح، فكيف حُفظ؟لا بد أنه قد حُفظ إما شفاها، أو بالكتابة. والفرض الأول يبدوا أنه كان الرأي الذي أخذ به الرواة العرب، وإنْ لم يكن الرأي الذي أجمع عليه الكل".[1]

والابهام يشتد هنا كيف يعقل أن يكون ذلك؟، مع العلم بضياع الشعر بل معظم الشعر بعد مجيء الإسلام واعتناقه، وأن منهم من قُتل ومنهم من مات،فإن كانت أشعار الجاهلية الراسخة وأساسها الرواية الشفوية فالأكيد أن هذا الشعر قد نُسيّ، والذي بقى مرويا يُردُّ بعد ظهور القرآن حيث ازدرء من الشعراء ومن تبعهم.

أما القصائد التي حُفظت كتابة باللغة الحميرية، فإن هذا منافي لما جاء في القرآن الذي ينصّ على عدم معرفة العرب الكتابة، ولا يمتلكون كتابا يدرسون فيه، وقد استند للآيات المشيرة لذلك يقوله تعالى :

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ٣٧ ﴾ [٣٧ القَلَم]

وفي قوله : **﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤٧ ﴾[القَلَم ٤٧]**

أفلم يُؤتَ الوثنيون كتابا واليهود والنصارى ۜ ارى مَن أوتوا كتاب، الذي شكك فيه العرب فيهم ولم يصدقوا به هذا وارد في القرآن، فكيف والحال مع الشعر في أن يكون موجودا حقيقة،والسؤال المطروح: هل وجد كتاب فعلا؟ وكيف كُتبت المعلقات إذا؟وما شكل الكتابة التي دونت فيها تلك الأبيات في معلقة حلزة والأسطر التي وردت فيها موزعة بين الصدر والعجز.

2.1.الرّواة ونحل الشعر:

متجها فيما بعد إلى طرح مشكلة وضع الرواة وانتحالهم في الأشعار وعدم مصداقيتهم ،كحمادة الراوية الذي اكتشف زيفه لشعر –المفضل الضبي- ،يتهمه بإفساده لشعر إفسادا لا إصلاح معه وكيف يأخذ الشعر خاصة شعر المعلقات من رواة مشبوه فيهم كحمادة الذي وجه له اتّهام صريحا في كتاب الأغاني لم يكن حمادة وحده المتصف بالنحل فقط فهناك العديد من الشعراء من هذا القبيل كخلف الأحمر.[2]

كما عُرف أبو عمرو بن العلاء بالنحل أيضا، ذكر أن الخليفة المهدي دعى حمادة والمفضل الضبي وسألهما عن تفسير بيت لزهير يبدأ قصيدته بقوله: (دَعْ ذَا)؛ ففسر المفضل بصعوبة بقدر ما استطاع ، أما حمادة فقال بأن القصيدة لا تبتدأ بهذا البيت ؛ بل تسبقه بثلاثة أبيات رواها فلم طلبوا منه القسم على أنها منسوبة لقصيدة زهير أقر بأنه هو من افتعل هذه الأبيات ، ومع ذلك فهي موجودة في نشراتنا" [3] ؛فرغم ذلك فإن شعراء الكوفة ضلوا متمسكين بشعر حمادة وقد روى ياقوت عن النحاس المتوفى (231ه) أن

[1] المرجع السابق،ص:96
[2] المرجع نفسه،ص:99
[3] المرجع نفسه،ص:103

المعلقات السبع جمعها حمادة يقول مرجليوث:" بودنا لو كان اكتشافها قد تم على يد شخص آخر ادعى إلى الثقة والاحترام".[1]

يُعزّز صموئيل صحة أقواله برأي الجمّاعين الأوائل للشعر على أنهم:" كانوا- مثل حمادة- في الغالب أشخاص ذوي وازع ضعيف في انتحال الشعر. وقد سُئل أحدهم وهو - وكان معاصرا لحمادة وجَنّاد*- عن أي سند روى بعض أشعار نسبها إلى امرئ القيس، قال إنه رواها عن سنده هو وهذا في نظره كاف"[2].

والجماع الكبير أبو عمرو الشيباني متوفى (205هـ) وجد انه يملك صندوقا يحتوي على كتب تزن بضعة أرطال فقط ، فلما تعجب أحدهم عن ضالتها اجاب بأنها تعد كبيرة من حيث كونها مجموعة صحيحة، بل ان هده المجموعة الصغيرة نفسها لم تكن خالية من المنحولات ، فكتاب الأغاني احتوى على قصيدة طويلة يبدو أنها لشاعر جاهلي، وصرح بأن من الواضح أنها منتحلة في العصر الإسلامي[3].

في نظر مرجليوث يبدو له أن القرن الثالث هجري لم يكن أفضل وأحسن من القرن الذي قبله باعتباره القرن الذي ظهرت فيه روايات المنحولة المشار إليها من طرف العلماء اللغة أيضا ، ومن أشهرهم المبرد الذي وردت عنه أزيد من شاهد شعري التي وصفها في مواضيع معينة لمعاني اللغة أو النحو غلى الرغم من أنه كان يتمتع بسمعة علمية بين معاصريه، الخبر الوارد عن الشاعر مجنون بني عمر متجهين إلى قبيلته لسؤال الرواة عنه فلم يكن هناك من يعرفه وهناك حكايات كثيرة من هذا القبيل ترد أو هي من صُنع الوضّاعين المخترعين لتلك الحكايات، مثل ما يروى عن يزيد بن المفرغ الذي اخترع حكاية الملك الحميري تبع وما نسب إليه من قصائد وما جاء عن صاحب السير ابن إسحاق كذلك أو ما عرف عن الشاعر نُصيب الذي بدأ الشعر بنظمه ونسبه إلى أفراد من قبائل ضمرة بن بكر عبد المناف وخزاعة فلما نالت الإعجاب استشعر نصيب لموهبته الشعرية [4].

انتهى مرجليوث إلى أن عملية انتحال الشعر وصناعته لم تكن محصورة على الرواة أو الشعراء وعلماء اللغة فحسب بل تجاوزتهم إلى عظماء العرب وهم الخلفاء بأنفسم ودورهم في تشجيع على إقامة الشعر المنحول وجزاء العطاء لمن يستحسنون شعره أوصنيعة ذلك ، فالمهدي قد كافأ كل من المفضل الضبي وحمادة بجائزة سنية .[5]

---

[1] المرجع السابق،ص 103
[2] المرجع نفسه،ص 104
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:105
[4] المرجع نفسه،ص:107
[5] :المرجع السابق:ص:107

رغم وجود هذه الظاهرة إلاّ أنّ مرجليوث يرى أن هناك رواة صادقون ثقاة لم ينتحلوا الشعر رغم تفشي هدا العيب يقول صموئيل في هذا:" إنه على الرغم من وجود الاغراءات فكانوا ذوي نزعة نقدية الأمر الذي يمكن الإقرار بأنهم لم يصنعوا الشعر".[1]

ولكن السؤال المطروح: ما هي مصادرهم المعتمدة عليها التي تثبت أن هذا الشعر صحيح حقا؟ لا بد من وجود نظائر لذلك الشعر وما يُثبت صحته، وعند مجيء الإسلام قضى لما جاء على لسان الشعراء الوثنيين واشتدت مواقف العداوة بينهما، والشعراء أنفسهم كانوا وثنيين الأمر الذي جعل مرجليوث سائلا: من هم الأشخاص الذين حفظوا في ذاكرتهم ونقلوا إلى غيرهم تلك المؤلفات التي تنتسب إلى شريعة قضى عليها الإسلام؟ فيقول:"ونستطيع أن نلتمس الشعور بهذه الصعوبة في الحل الذي قيل أن حماد الراوية قدمه،وهو أن القصائد بقيت مدفونة طوال السنوات التي كانت فيها الحماسة للإسلام في أوجها، ثم استخرجت من دفائنها بما أن فترات هذه الحماسة أخذت بعض الفتور. والتفسير الآخر هو أن الشعراء لم يكونوا ألسنة أحوال الوثنية، لقد كانوا مسلمين في كل شيء إلا في كونهم لم يسموا مسلمين"[2]،ويقول بعد ذلك:" يواجهنا انتباهنا إلى البيئة الباطنة إذ وجدنا في هذه القصائد ملامح تثير الدهشة على الأقل. إن شعراء غالبية الأمم لا يشكون أبدا في ديانتهم، والعرب المسجلون على النقوش كلهم صرحاء في هذا الموضوع، فمعظم النقوش تذكر واحدا أو أكثر من الآلهة ومن الأمور المتعلقة بعبادتهم"[3]؛ فرأي مرجليوث في هذه المسألة يفنّد فكرة أن العرب كانوا نصارى قبل ظهور الإسلام، واهتماماته بما كرسه **المزرباني** كان ضئيلا من حيث الشعراء الجاهلين وديانتهم، وكان النصارى يذكرون ديانتهم في أشعارهم وقد قال في ذلك:" والنصارى أينما كانوا فمعهم كتبهم المقدسة ،ولغتهم وفكرهم متأثرين كثيرا بعبارات الأناجيل ورسائل الرسل الحواريين والمزامير، وشعرهم يتخذ في الغالب-شكل الأناشيد لكن في الشعر الجاهلي المزعوم هناك فقر شديد في الاشارات إلى كتب النصارى المقدسة والنظم المسيحية حتى عند أولئك الشعراء الذين يفترض أنهم ازدهروا في بلاط الأمراء والملوك والنصارى.وصاحب الأغاني- هو رجل خبير- يستنتج أن شاعرا معينا ازدهر حوالي نهاية القرن الأول الهجري لابد أنه كان نصرانيا لأنه يقسم بالإنجيل والرهبان والإيمان، ويقول-بحق- إن هذه أقسام نصرانية"[4] .

كشف صموئيل عن كثرة القسم في الأشعار الجاهلية وعن شيوعها في دواوينهم بصفة رهيبة تكاد لا تخلوا من التربع على نقوش قصائدهم ما نجده عند عبيد ابن الأبرص يقول بلغة القرآن:

[1] ينظر:المرجع السابق: ص:108
[2] المرجع نفسه،ص:109
[3] المرجع نفسه:ص:110
[4] المرجع نفسه،ص:111

حلفْتُ بالله إنّ الله ذو نِعَم

لمن يشاء وذو عفوٍ وَتَصْفاح[1]

و آراؤهم وأقوالهم تستبق أقوال القرآن في أدق تفاصيلها تقريبا كما جاءت في أقوالهم:" والله يقبض الدنيا ويبسطها"، والله يُدعى لمكافأة المحسنين وجمع من تفرقوا وأوامر الله هي التي تنفذ ،ويُدعى الله ليبارك في ماء الآبار وهو ربُّ النّاس ،وأحيانا يستبدل اسم الرحمان مكان اسم الله كما هي الحال في القرآن تماما. [2]

والحقيقة الحتمية أن الشعراء الجاهليين يُنتسبون إلى دين واحد من دون شك وهو الإسلام لاغير، والأكيد من هذا هو أن العرب كانوا على معرفة أمور عدة وردت في القران ما يثبت بل يؤكد بعدم معرفتها قبل أن ينيرها عليهم القران، فالنابغة الذبياني كان يعلم بقصة سيدنا نوح عليه السلام ،في حين أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرفها لا هو ولا أي أحد من قومه مستشهدا بأحد أبياته القائلة:

فألفَيتُ الأمَانةَ لَمْ تَخُنهَا

كَذلِكَ كَانَ نُوحٌ لاَيَخُونُ[3]

فالأمانة هنا يقصد بها صفة الأمين وهي الصفة التي يصف بها القرآن نوح عليه السلام.[4]

يتضح من خلال ديوان عنترة العبسي أنه كان على علم ودراية بما نزل به القرآن وبما يختص به الإسلام، ففي عباراته لمخاطبة ملك الفرس **"أنوشرون"** المتوفى حوالي (ت580م) دعاه بأنه قبلة القُصّاد، وهذا المصطلح إسلامي يقصد به اتجاه القبلة أو قبلة الصلاة، وصاحب الأغاني يدهشنا بوجود مسجد قبل الإسلام ذو قبلة والشاعر نفسه يعرف الصلاة وكيفية السجود والركوع وقبل مجيء الإسلام أيضا، كما يعرف حجر المقام وهو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم الخليل عليه السلام، كذلك يعرف الأسماء القرآنية للنار جحيم ويقصد بها جهنم واستخدامه للعبارات القرآنية ما جعله يقول متأكدا:" ومنا هنا فليس ثم من سبب لشك في أن حياته كانت بعد ظهور الإسلام"[5] ؛ فالعبارات القرآنية الموجودة في الأشعار الجاهلية جعلت مرجليوث يتأكد من أنها أشعار كانت بعد ظهور الإسلام لا قبل.

---

[1] عبيد الأبرص: الديوان شرح:الدكتور عمر فاروق الطبَّاع،قصيدة: حلفت باللهِ،قافية الحاء، دار القلم،بيروت-لبنان،د.ط،د.ت ،،ص:27

[2] عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه ، ص:111

[3] النابغة الذبياني: الديوان تحقيق:عباس عبد الساتر، قصيدة :أتيتك عاريا،قافية :النون،ج:1،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط3،ت:1996م،ص:73

[4] ينظر : عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي،المرجع نفسه،: 113

[5] المرجع السابق،ص: 114

لم يتوقف هذا المستشرق عند هذا الحد من استطراد للأمثلة والأدلة؛ بل ثمة خط ثان للبيئة الباطنة وهو اللغة قائلا:"فكل هذه القصائد نظمت بلغة القرآن..." [1].

4.1.لغة القرآن والشعر:

فإذا افترضنا أن الإسلام قد دخل على قبائل شبه الجزيرة العربية فوحد لغتهم لأنه زودهم بنموذج لسلامة اللغة لا نزاع فيه وهو القرآن...لكن من الصعب أن نتصور وجود لغة مشتركة قبل مجيء الإسلام بهذا العامل الموحد،هذه اللغة تختلف عن لغة النقوش وانتشرت في كل أرجاء شبه الجزية العربية، فلا بد من وجود اختلاف بين القبائل أو على الأقل مجموعات القبائل-اختلافات واضحة في النحو والألفاظ والمجموعة التي جمعها **الأبشيخو** تبدأ بشعراء الجنوب الجزية العربية، ولغتها هي لغة القرآن، وفي داخل جنوبي الجزيرة العربية نفسها جاءت النقوش بلهجات عديدة، بعضها قريب العهد بزمان النبي،وهي لا تفهم إلا بصعوبة، لأن العون الذي تقدمه العربية الكلاسيكية ضئيل بالنسبة إليها"[2]؛مرجليوث هنا بصدد التأكيد من استحالة وجود لغة واحدة بين العرب جميعا لا سيما قبل ظهور الإسلام، فكل هذه الأمور تلوح في بحر من الأخطاء والخروج منه أمر صعب بالنسبة لهذا المستشرق.

حتى نسبة الأشعار التي رويت باللغة العربية الكلاسيكية لشعراء اليمن في الجاهلية فهو أمر خاطئ؛لعدم وجود دليل واحد يوحي لوجود شاعر في جنوب الجزيرة العربية،وإن وجد فأشعاره تكون بلغته ، وهنا دليل على سوء النية واضح وضوح الشمس وبارز بأدلة قطعية،فالأفكار الإسلامية المتجلية في البيئة الوثنية هو ارتياب شديد بعينه[3].

يتابع مرجليوث مشواره ونظريته تقول:" ليس من المستحيل أن تكون لغة الحجاز هي لغة البلاط في الحيرة، لكن يعوزنا الدليل على هذا خارج نطاق "القصائد القديمة".إن فلوات شاسعة تفصل بين الإقليمين-الحجاز والحيرة- والمسلمون الذين يرون قصائد من كل أجزاء شبه الجزيرة العربية منظومة بنفس اللهجة ، يبدو أنهم يفعلون ذلك على غرار أدبائهم على أن يجعلوا الكثيرين أو معظم هؤلاء الشعراء من المؤمنين بعبادة الله وحده لا شريك له..."[4]؛يدحض مرجليوث برأيه هذا أن لا يكون لذلك التباعد الجغرافي أثره في عدم توحد الشعر والشعراء في لغتهم وفي نظمهم ويقول:" أنهم يسقطون على الأزمات الماضية الظواهر التي يألفونها ويعرفونها"[5].

---

[1] المرجع نفسه،ص:118

[2] المرجع نفسه، ص:118-119/و ينظر:أكرم محمد العوسجي المرجع السابق، ص: 218-219

[3] ينظر::المرجع نفسه، ص:121

[4] المرجع نفسه، ص،121

[5] المرجع السابق،ص: 122

قبيل من هذا أبصره مرجليوث ضاربا لنا مثالا على ذلك أسقطه على عمر بن كلثوم التغلبي في معلقته التي يقر فيها بشربه للخمر في بعلبك ودمشق وقاصرين، فأما الخمر التي اشتاق لاحتسائها هي خمر **الأندرينا**، وقد قيل أن هذين الموضعين الأخيرين هما بجوار حلب ومما لاشك فيه أنه قد حظي بفرصة التّرحال لتلك الأماكن المتعددة في حياته الممتدة إلى مائة وخمسين عاما، والأكيد أن هده الأماكن امتدت بها الدولة الإسلامية الأولى والأجدر بذكرها في عصرها لا أن يرجع الشاعر بها إلى حوالي 500ميلادية.[1]

أمّا البيئة الثّالثة عند مرجليوث التي وضعها في خط ثالث وتخص محتوى القصائد قائلا:" إذا كانت القصائد تبدأ عادة بالغزل لأن القرآن يقول:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥** ﴾ **[الشُّعَرَاء : ٢٢٥]**

وإذا كانوا يمضون بعد ذلك إلى وصف أسفارهم وركائزهم لأن القرآن يقول ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ** ﴾ **٢٢٤ [الشُّعَرَاء]** .قصد القرآن ذم الشعراء وجعلهم ومن يتبعهم غاوون ولا يجب الأخذ بما يقولوه لأنهم ﴿ **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٢٢٦** ﴾ **[الشُّعَرَاء : ٢٢٦]**

فإننا لا نستطيع أن نقتفي إلى المنبع هذا الرّتوب ،المدعوا إليه من طرف بعض النقاد القائلون:" أن كل ما يهم في القصائد كان هو اللغة، لأنها جميعا تكرر نفس المعاني"[2].

وجودت نماذج سابقة معترف بها والبحث عليها راجع لعهد آدم، فالقصائد عرفت بمعرفة رائعة بتشريح الجمل أو الفرس أو بذكر طبائع الحيوان ومنها من استهلها الشعراء بالأطلال والنسيب وذكر المحبوبة و التّرحال في الصحراء[3].

لكن لم يكن أحد من الشّعراء قد أنتج ما يُفتخر به ويُضرب به المثل الأعلى في الأخلاق والإصلاح وما جاء في لسانه القائل:" لكننا لا نستطيع أن نذكر بالدقة شاعرا كلاسكيا كان إنتاجه أساسا للتربية، وكان نموذجه مثالا ينبغي على طالبي فن الشعر أن يتخذوه. فلو كان قد وجد شاعر أو الشعراء كلاسيكيون من هذا النوع، لأتى القرآن على ذكرهم، لأنهم سيكونون المصدر المعتمد للأفكار الشائعة"[4].

[1] أكرم العوسجي،المرجع السابق، ص:122
[2] المرجع نفسه ،ص:220
[3] ينظر: المرجع نفسه،ص:220
[4] عبد الرحمن بدوي: المرجع نفسه ص: 123

مضيفا إمكانية اختراع الكل شعرا مفتعلا ما رُسم على شفتيه القائلتين:"وإذا كان ما يرويه الراوي شيئا يتخذ شكل الحوار،أي سلسلة فيها يرد الشاعر على الشاعر،فان احتمال أن يكون الكل مخترعا يصير احتمالا قويا جدا، لأننا لا نستطيع أن نغزوا إلى الشعراء المتنافسين أنهم عملوا على المحافظة على أعمال بعضهم البعض، فيحتاج الأمر إلى تدخل لطرف ثالث، بينما هذا إذا افترضنا أن الكل صدر عن عقل واحد، فإن لدينا –على الأقل- شيئا أمامنا بسيط وسهل المقارنة والتناظر"[1]؛قاصدا بهذا أن كل الرواة يستطيعون اختراع وتزييف في الأشعار خصوصا وأن الشعراء متعددين،والرواة كذلك.

5.1.المنافسات الشعر:

سالكا فيما بعد الطريق الذي يقوده لتلك المنافسة أو المساجلة الشعرية بين النابغة الجعدي والعجاج الأخطل ما وجد في مؤله الأغاني، والأخبار القائلة أن النابغة ناهز عمر الثمانين بعد المائة هي أخيار مخترعة، مثل ما ورد عن شعراء عاشوا في الأرض وعمروا فيها طويلا، فلو كان الشعر الجاهلي مشكوكا فيه لأسباب خارجية وباطنية على حد سواء فبدياته هل ستكون في تاريخ الآثار التي ترجع لما قبل الإسلام في معظمها؟ وكله أنشئ بعد الإسلام؟ و ما هو إلى تنمية للأساليب الكامنة في القرآن ؟ وهذه مسألة في بالغ التعقيد في نظر مرجليوث جعلت ذهنه يتعجب.[2]

يرى بخصوص الموسيقى والغناء فإن القران لم يشير إليها أبدا، وجل ما وردت فيه لفظة " ترتيل" ورتل ويستحيل أن يقصد بها يغني أو معناه الغناء، لأنها صفة الوجود الإلهي أي القران والأرجح أن يكون معناها قريبا إلى رتّب و المزامير ، وفي الواقع فإن كتاب الأغاني يذكر تواريخ إدخال الموسيقى في العصر الأموي،وإن دخلت الموسيقى إلى هذا الشعر هل يتصور أن الوزن الشعري كان موجودا عند العرب بالشكل المنتظم وحسب الترتيب الأكثر إعتيادا لنشوء عند صموئيل مرجليوث هو الرقص فالموسيقى فالشعر؛لأن تحرر الشعر في قالب الموسيقى عملية طويلة جدا، بغض الأوزان الشعرية العربية توحي بالرقص أو بالموسيقى أو كليهما[3].

فالقرآن يحتوي على مبادئ أولية لنثر المسجوع وللوزن من شأنه أن يفسر نمو كليهما حينما أدخلت نظرية ممارسة الموسيقى وإسقاط الفن على العصر الجاهلي، وهذا لن يكون أمر مبهما بما أن لغة القرآن أضحت لغة البلاط، وبقيام البلاط وظهوره أصبحت مهنة الشاعر هي البلاط، فوجدت مدائح رؤية للخليفة العباسي الثاني في بحر الرجز، وهذا البحر هو وسط بين الشعر والنثر، والرواية تؤكد أن أول من نظم

[1] المرجع السابق، ص:123
[2] المرجع نفسه،ص:125
[3] المرجع نفسه، ص: 127

أكثر من بيتين في هذا الوزن هو والد هذا الشاعر علما أن أقل البحور فنية هو بحر الرجز، والغريب في الأمر أن توجد قصائد طويلة قد نظمت في الوزن الأصعب وفي العصر الأقدم.[1]

[1] ينظر:المرجع السابق،ص:127

2 :نقد آراء مرجليوث:

1.2.الشعر والشعراء في القرآن:

بعد الانصات لهذا المستشرق الانجليزي " صموئيل مرجليوث" والخضوع في نظرياته نظرية نظرية محاولين التطرق إليها خطوة خطوة، وبعد إفراغ كل ما في جوفه وجعبته الآن جاء دورنا ليس في محاولة الرد بل للرد عليه، لأننا والحمد لله نمتلك كبار العلماء وأعظم النقاد وأشهر الأدباء، مستندين عليهم، مُنيرين سبيلنا للكشف عن إبهامات مرجليوث ،والتي استهلها بالموقف القرآني الذي يصف الشعراء **بالغاوين** مستندا على الآيات الكريمة التي قال فيها ﷺ:"ترد أو هي من صُنع الوضاعين المخترعين لتلك الحكايات، مثل ما يروى عن يزيد بن المفرغ الذي إخترع حكاية الملك الحميري تبع وما نسب إليه من قصائد وما جاء عن صاحب السير ابن إسحاق كذلك أو ما عرف عن الشاعر نُصيب الذي بدأ الشعر بنظمه ونسبه الى أفراد من قبائل ضمرة بن بكر عبد المناف وخزاعة فلما نالت الإعجاب استشعر نصيب لموهبته الشعرية قال عزّوجل:" ﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٢٢٦**﴾ [**الشُّعَرَاء : ٢٢٤-٢٢٦**]

صحيح هذا قوله عزّ وجل لكن مرجليوث لا يحق له تفسير القرآن كما يحلوا له ؛لأن القرآن الكريم بحر واسع المعاني بعيد النظر دقيق الأحكام ،وتعالى عندما قال هذه الآيات لم يقلها متوقفا ، بل على مرجليوث المتابعة لما هو آتٍ بعدها قائلا المولى عزوجل:﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧**﴾ [**الشُّعَرَاء : ٢٢٧**]

ومن يتدبر في هذه الآيات العظيمة وتفسيرها يدرك أن الله عزّوجل وصف الشعراء بالغاوون لكن هل قصد كل الشعراء؟وماذا قصد بالغاوون بالتدقيق؟

توجهنا إلى تفسير القرآن لدى كبار المختصين في علم القرآن وتفسير آياته المباركة،أخذنا على رأسهم تفسير الطبري للآيات الكريمة أولا: ﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ٢٢٤**﴾ [**الشُّعَرَاء : ٢٢٤**]

حدثني علي، قال : ثنا أبو صالح،قال:ثني معاوية ، عن عليّ، عن ابن عباس قال: هم الكفار الذين يتبعهم ضلال الجن والإنس[1].

[1] الطبري أبي جعفر محمد بن جرير:جامع البيان في تأويل القرآن،رقم:26841، ج18-19 من القرآن الكريم،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،المجلد:09،ت:1971م،ص:489

حدثنا الحسن،قال: أخبرنا عبد الرزاق،قال:اخبرنا معمر، عن قتادة،في قوله: ﴿ **...يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ ﴾ ٢٢٤الشُّعَرَاء : [**قال:بيت٢٢٤ **]**بعهم الشّياطين[1].

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال فيه ما قال الله جلّ ثناؤه في هذه الآية العظيمة قاصدًا بها:" إنّ الشعراء المشركين يتبعهم غواة الناس،ومردة الشياطين ﴿ **...يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُنَ ٢٢٤ ﴾ [الشُّعَرَاء ٢٢٤]**

فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض؛ بل على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية.

وذلك أنّ الله عمّ بقوله:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥ ﴾ الشُّعَرَاء : [٢٢٥]**

يقول تعالى في ذكره: الم ترى يا محمد أنهم؛ ويعني بذلك **الشعراء،** أنهم في كل وادٍ يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحقّ، وطريق الرشاد، وقصد السبيل، وهذا مثل ضربه الله لهم في إفتنائهم في الوجوه التي يفتنون فيها بير حقّ، فيمدحون بالباطل قومًا ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور[2].

كما حدثني علي قال: ثنا أبوصالح، قال: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس﴿ **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٢٢٦ ﴾ [٢٢٦ الشُّعَرَاء]**

يقول أي أكثر قولهم كذب ،وعني بذلك الشعراء المشركين[3]

ثني حجاج، عن ابن جُريح، حدثنا الحسن قال:أحبرنا عبد الرزاق قال:أحبرنا معمر، عن قتادة في قوله:" في كل واد يهيمون" قال: يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل،في قوله:ً ﴿ **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٢٢٦ ﴾ [الشُّعَرَاء : ٢٢٦]**

يقول: إن أكثر قِيلهم باطل وكذب.[4]

وجاء في تفسير ابن كثير للآية:﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُنَ ٢٢٤ ﴾ [الشُّعَرَاء : ٢٢٤]**

[1]:المرجع السابق، رقم:26836، ص:489
[2] المرجع نفسه،رقم:26840،ص:489
[3]المرجع نفسه :ص: 376
[4] المرجع نفسه:ص: 376

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضُلال الإنس والجن،وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال عكرمة كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فِئات من الناس ولهذا فِئات من الناس فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة[1].

وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث ابن الهاد عن يَحْنس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال:"بينما نحن نسير مع الرسول ﷺ بالعرج إذ عرض ر الشاعر يُنشد فقال النبي عليه الصلاة والسلام:" خذوا الشيطان-أو-أمسكوا الشيطان لأنْ يمتلئ جوه أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرًا".

الآية الكريمة: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥** ﴾ **[الشُّعَرَاء : ٢٢٥]**

قال بن طلحة عن ابن عباس في كل واد يخوضون.

وقال الضحاك عن ابن عباس في كلّ فنّ من الكلام وكذا قال مُجاهد وغيره.

كما قال الحسن البصري- قد- والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتيمة فلان ومرة في مديحة فلان وقال قتادة: الشاعر يمدح قوما بباطل ويُذم قوما بباطل[2].

والآية العظيمة التي جاءت على لسان المولى:"﴿ **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٢٢٥** ﴾ **[الشُّعَرَاء ٢٢٥]**

ذكر محمد بن اسحاق بن اسحاق بن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في **"كتاب الفُكاهة"** أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على مَيْسَان -من أرض البصرة- وكان يقول الشعر:

أَلَا هَلْ أَتضى الحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَا

بِميْسَانَ، ويُسْقَى فِي زُجاج وَحَنْتَم

إِذَا شِئْتُ غنَّتني دهاقِينُ قَرْيــَةٍ

وَرَقَّاصَـــةٌ تَحْــدُو عَلَى مَنْســـمِ

فإنْ كُنْتَ نديماني فبالأكبَرِ اِسْقِنِي

[1] ابن كثير عماد الدين أبي الفداء الدِّمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد فيصل العجماوي، محمد السيد رشاد ، عللي احمد عبد الباقي،سورة الشعراء، الآية :224،مؤسسة قرطبة، جيزة ،ط1،ت:1421ه-2000م،ص:384

[2] المرجع نفسه، ص:385

وَلاَ تَسْتقنـــي بـالأصْغـرِ المُتَثَلــّمِ

لُعَلَ أميرَ المُؤمِنيَنَ يَسُوءُه

تَنَادُمُنـــا ، بالجَوسَـــقِ المُتَهـــدِّم[1]

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رد إليه:" بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ" حمّ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم"[2].

قال عمر ابن الخطاب: وأيمُ الله يسوؤني فقد عزلتك، فلما قدم على عمر قال له: والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني، فقال عمر:" أظّن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملا أبدأ وقد قلت ما قُلت.

بالتدبر والإمعان في هذه الآيات العظيمة القوية والدقيقة، ومن خلال استنادنا إلى المفسيرين يتجلى لنا موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء، فقد صنف من الشعراء صنفين الصنف الأول: هو الصنف المتبع لهواه المشركين الذين يهيمون في كل وادٍ وإتباعهم لشهواتهم وإطلاق العنان عليها، المنصتين إلى أنفسهم والنفس أمَّارةٌ بالسوء، والشعراء الذين يفترون على الله الكذب، ويظلمون بالحسن أو القبح بالباطل فيقولون مالا يفعلون[3] ؛ هذا الصنف الذي ذمه الله عزّ وجل وحرم عليهم قول الشعر ووعدهم بالعذاب الأليم وحذر منهم ومن أتباعهم لأن أشعارهم كاذبة تتصف بالضلال والإضلال، زيادة على هذا فإنهم يلبسون شعرهم طابع الإغراء والغواية متبعين أهواء النفس مبتعدين كل البعد عن الحق وقوله ونأي الصدق[4].

أما الصنف الثاني المستثنى في الآيات الكريمة قال تعالى:" ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧** ﴾ **[الشُّعَرَاء : ٢٢٧]**

بعد أداة **"إلاّ"** تتضح صفات التي تسموا بهذا الصنف من الشعراء وترقى به إلى المنزلة الذهبية التي تليق بأصناف شعراء راقون،فضلاء غير كاذبون متمتعين بالايمان متمسكين به واتخاذه رمزا لأشعارهم ووساما لحفظهم من الزّلل والضلال والغواية التي تولهم لواد الفتن والكره و اتهام الناس

[1]، المرجع السابق: ،ص:385-386

[2] المرجع نفسه،ص:386

[3] د. بسيوني عبد الفتاح فيود : قراءة في النقد القديم،د.ط،مؤسسة المختار للطباعة والنشر،جامعة الأزهر،ت2010،ص:55

[4]المرجع نفسه،ص:386-387

والأقوام بالباطل،مع الارتكاز على العمل الصالح الذي يُنوّر الدّرب وبذلك يكون قد أشاع عليه نور السبيل الموصل إلى المولى ، ونصرة الحق دوما مهما كلف الثمن ومع الدفاع عليه بشتى الطرق دون الاغفال عن ذكر الله للطمأنة القلوب.[1]

حتى سيد الخلق عليه الصلاة والسلام لديه موقف من الشعر، والدليل على موقفه وارد من خلال الآحاديث النبوية نستشهد منها: حدثنا عبيد الله بن موسى: أخبرنا حنظلة، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:" **لأن يمتلئ جَوفُ أَحَدِكُمْ قَيحًا خَيرًا مِنْ أنْ يَمتَلِئَ شِعًرا**"[2].

ففي هذا الحديث الشريف دلالة على تفضيل الرسول ﷺ لأن يمتلئ جوف المرء قيحا حتى يريه *، خيرًا وأحسن من أن يمتلئ شعرًا أو يقول شعرًا[3].

وفي التفسير الدقيق لهذا الحديث:حدثنا عمر بن حفص: حدثنا أبي:حدثنا الأعمش قال: سمعت أبا صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"لأن لما نشأت بُغضت إلي الأوتان وبُغض إلي الشعر"، وصفة البغض والكره لدى سيد الخلق في الحديثين متجلية .

وبالمقابل نجد أحاديث أخرى تمدح الشعر منها قوله ﷺ: حدثنا اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزّهري قال: اخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن:أن مروان بن الحكم أخبره: أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره: أن أبي بن كعب أخبره:إن الرسول ﷺ قال:" **إن مِنْ الشّعرِ لِحِكَمَة**"[4]، وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام:" **إن من الشعر لحكما وإنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحرًا**"[5] ؛فالرسول عليه الصلاة والسلام هنا أيضا صنف الشعراء لصنفين:

الصنف المُبغض إليه:

والمراد منه هو الشعر الذي حذر منه وذمّه القرآن الكريم وهو الذي يدعوا إلى الفاحشة والرذائل ويزيف الموبقات الخارج على تعاليم الإسلام وقيمه النبيلة، مزكيا للعصبية مفرقا بين الأمة، مفترين على الله كذبا[6].

---

[1] ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيدو:المرجع السابق، ص: 55

[2] نجاح القتري لصحيح البخاري:للامام: أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الرومي الخفي: المعرو: يوسف أفندي زاده، إشراف : عبد الحفيظ محمدعلي بيضون،: في الأدب،ترقيم الكتاب:محمد فؤاد عبد الباقي ،ج4، د.ط، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان،ت 2021م،ص 409

- يريه:أي يبتلعه

[3] بسيوني عبد الفتاح فيود: المرجع السابق،ص:56

[4] صحيح البخاري: المصدر نفسه، رقم:5793-5794

[5] المصدر نفسه ، في الطب،رقم:51

[6] ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيدو،المرجع السابق،ص: 56

أمّا الصنف الثاني:

فهو الصنف الممدوح والذي مدحه سيد الخلق عليه الصلاة والسلام وحث عليه وهو يخص به الشعر الدّاعي إلى الحق الذي ينص على الصدق وقوله،الشعر الذي يحمل في طيات أسطره حكمة هو الشعر الذي ذُكر في سورة الشعراء بعد أداة الاستثناء .

وبهذا تتضح لنا الرؤية الصحيحة لموقف الله عزّ وجل ورسوله الصادق حول الشعر والشعراء، مردين بهذه الأدلة القاطعة على آراء صموئيل المفنّدة في هذا الموضوع والمشككة فيه.

2.2 .أميّة الرسول ﷺ:

متطرقين إلى نقطة أخرى في خضم الموضوع المبهم المتولد لدى هذا المستشرق عن كيفية تعرف الرسول عليه السلام على الشعر رغم أميته؟ وأهل قريش وهم أهل العلم والدّراية به قالوا بأنه شعر[1].

أولا وقبل كل شيء نحن لا ننكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أميا ، بل نؤكد ذلك مفتخرين به ،وهذا ما جاء في القرآن الكريم لقوله :﴿**ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧**﴾ **[الأَعْرَاف : ١٥٧]**

سنفسر معنى كلمة القرآن **الكريم** في قوله تعالى وماذا كان القَصد منها، قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية:في قوله تعالى:"**الأميّ**"هو منسوب إلى الأمة الأمية، التي هي على أصل ولادتها، لم تتعلم الكتابة ولا القراءة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان نبيكم عليه الصلاة و السلام أميًا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب،لقوله تعالى:" وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك" والمقصود هنا واضح أن الأميّ: من لا يعرف القراءة والكتابة والحساب.[2]

متجهين إلى تفسير ابن كثير في هذه الآية الكريمة يقول:أي قد لبث في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمر لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يحين لا القراءة ولا الكتابة دائما إلى يوم الدين ، بل كان

[1] القرطبي:أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري القرطبي: مُختصر تفسير القُرطبي : اختصره وخرّج حديثه: الشيخ عرفان حَوّنة ،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ج2،د.ت،ص:239

[2] القرطبي:المرجع السابق،ص 239

له كُتابا يكتبون من يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم وهذا بارز في الآيات السابقة القائلة:" وما كنت تتلوا..." أي ما كنت تقرأ، واستعملت أداة النفي لتأكيد الأمر "لا تخطه بيمينك" تأكيد كذلك.

والحكمة سبحان الله تكمن هنا فلو لم يكن أميا لاتهمه بعض الجهلة من الناس والافتراء عليه بالقول:بأنه تعلم هذا من الكتب الأولى الصادرة من قبله المأخوذة من الأنبياء الأولين وذكرهم الله تعالى في قول:﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ٤٨** ﴾ **[العَنكَبُوت :**

ورغم هذا كله وعلمهم بأميته إلا أنهم اتهموه:في الآية الكريمة قال سبحانه وتعالى﴿ **وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا٥٧** ﴾ **[الفُرْقَان : ٥٧]**

وقد ردّ عليهم عزوجل في قوله:" ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢** ﴾ **[الجُمُعَة : ٢]**

وفي تفسير القرطبي الأميون الذين لا يكتبون فكذلك كانت قريش.

قال الماوردي: فإن قيل ما وجه الامتنان في أن بعث نبيا أميّا؟ فالجواب في ثلاث أوجه:

- لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء.

- لمشاكلة حالة لأحوالهم فيكون أقرب لموافقتهم.

- لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه مادعى إليه الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها.

وهنا تكمن سرّ أميته ومعجزته الحقيقة تكمن فيها لدلالة على صدقه مما استعنا به من التفاسير.

لكن لم يرد أي تفسير يقول أن الرسول ﷺ كان أمي لا يعرف الشعر أو لم يمن يسمع الشعر أو لم يحبه، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يسمع الشعر ويقول شعرا وهدا متجلي في حديثه الشريف حينما قال:" أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد: ألا ما خلى الله باطل"[1].

وفي حديث آخر حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد،عن سلمة بن الأكوع قال:" خرجنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى خيبر فسرنا ليلا،وقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع:ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ قال: وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدوا بالقوم يقول:

للّهُمَ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اِهْتَدَيْنَا

[1]صحيح البخاري: في الأدب ، المصدر السابق، رقم 3628

وَلا تَصَدقْنَا وَلَاصَلَيْنَا

فَاغْفِر فِداءاكَ مَا اقْتَفَيْنَا

وَثَبت الأقدام إن لا قينا

وَأَلْقَيْنَ فِداءَاكَ مَا اقْتَفَيْنَا

إنا إذا اصبح بنا أتيما

وهنا دليل سكينة قاطع على سماع أشرف الخلق وسيدهم للشعر ، وسنداعم أكثر فالرسول ﷺ عن شريح قال: قالت عائشة: " هل كان الرسول صلى الله وسلم ، يتمثل بالشعر؟قالت: كان يتمثل من شعر ابن رواحة.[1]

علاوة على هذا كله فإنه عليه الصلاة والسلام كان يُنسب إليه قول الشعروالدليل عليه في صحيح البخاري جاء فيه: حدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس ، سمعت جندبا يقول: بينما النبي عليه الصلاة والسلام يمشي أصابه حجر ، فعثر، فدميت إصبعه، فقال:"

هَلْ أنْتَ إلَّا أَصَبعٌ دَمَيْتَ

وَفْي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقيْتَ"[2]

وقيلَ هذا مِنَ الرّجزِ الموزون الذي يقعُ في النادِرِ ويَجري على لِسانهِ ﷺ مِن غير قَصدٍ أو حكايةٍ، فليس هو كالشّعرِ، وقيلَ:"هذا مِن شعرِ عَبدِ الله بن رواحة.

ومن هذا المنطلق بعد التأكيد الجازم بعلمية الرسول عليه الصلاة والسلام والإنصات له والإعجاب به تارة وذمه تارة أخرى حسب نوعيته ، تعرف عليه الصلاة والسلام على القرآن وانبهر في سرّ بلاغته وفصاحته يقول في ذلك:" أن وجه إعجازه هو أن قارئه لا يملهه، وسامعه لا يمجه، بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة وطلاوة، لا يزال غضًا طريًا، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد، ويعادى إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته

[1] المصدر نفسه، رقم:2345
[2] المصدر السابق، رقم: 2648

في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك"[1]؛ وفيها إشهادٌ على قوة البلاغة القرآنية التي لا تُمل وكلما قُرئ يزيدنا ذلك حبا ومتعة وتمعن في ألفاظه البراقة التي لم يأتي بها ولن يأتي بها أي كتاب.

وحكى أيضا ابن المقفع- وكان أفصح أهل وقته-نظم كلاما وجعله مفصلا، وسماه سورًا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى :﴿ **وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤**﴾ **[هُود : ٤٤]**

رجع فمحى ما عمل وقال:" أشهد أن هذه لا يعارض أبدا وما هو من كلام البشر"[2]؛ معلنا عجزه أمام هذا الكلام البليغ الفصيح ،رغم قوة فصاحة ابن المقفع وتمييزه على أبناء عصره، إلا أنه رفع الراية البيضاء أمام كلام الله تبارك وتعالى.

وقال أبو عيسى الرماني:" فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ماهو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة،ومنها ماهو في الوسط ،بين أعلى طبقة وأدنى طبقة،فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليست البلاغة إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ ولآخر عيي، ولا بلاغة أيضا بتحقيق اللفظ غلى المعنى وهو غث مستكره،ونافر متكلف"، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ،فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفخم، فهذا معجز للمفخم خاصة، كما أن ذلك معجز للكافة"[3]؛ فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أسكتت البلغاء وتحدت الشعراء فأعجزتهم في قوله عزوجل:" ﴿**فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤**﴾ **[الطُّور : ٣٤]** فعجزوا ثم سهل عليهم فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور قائلا ذوالجلال والإكرام: ﴿ **أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ** ﴾ **١٣ [هُود : ١٣]**

فأسهل عليهم التحدي مرة أخرى بأن يأتوا بسورة واحدة مستعنين بمن أحبوا من الأنصار وأفصح الشعراء وأبلغ البلغاء وأعظم الأدباء فعجزوا أيضا ما ورد في الآية الشريفة:﴿ **وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا**

[1] أحمد بن محمد القسطلاني :المواهب اللدونية بتحقيق: صالح احمد الشامي منح المحمدية ،ط2،الكتب الإسلامي ، بيروت-لبنان،ج2،ت:1425ه/2004م،ص:513

[2] المصدر نفسه، ص:246

[3] خلف الله أحمد وعبد الوهاب قايد: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط،بالقاهرة--مصر،ت:1393ه-1973م ص: -196-197

نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٣ ﴾ [البَقَرَة : ٢٣]

فهذه المعجزة القيمة العظيمة ومهما حاول اللسان على تفخيمها عجز لأنها أكثر فخامة وأكثر رفعة، ما عسى أن نقول على كلام تحدى الإنس والجن وأعجزهم واسكتهم فلم يستطيعوا لا بعشر سور ولا حتى سورة أو آية من هذا القول المشع نورا ومفيد أدبا والمعطي حكما ، المنقوش بين دفتي المصحف الشريف فقد قال الجليل:﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ١٧ ﴾ [الإِسْرَاء : ١٧]**

فكيف لا يستغرب أعظم الخلق وسيدهم من سرّ هذه البلاغة والقوة الكامنة فيه، ولم يكن الرسول ﷺ وحده من تعرف على الوحي بأنه كلام الله بل حتى عمر بن الخطاب لما قال لأخته أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه فقالت: إنّك رجسٌ وإنه :﴿ **لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾ [الوَاقِعَة : ٧٩]**

فقام وتوضأ، وأخذ الكتاب قارئ لسورة طه حتى انتهى للآية: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤ ﴾ [طه : ١٤]**

فقال عمر رضي الله عنه :أشهد أنك رسول الله، وقال: أخرج يا رسول الله"[1]

كما أن أبا عبيدة ذكر: أن أعرابيا سَمِع رجلا يقرأ قوله سبحانه تعالى ﴿ **فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٤ ﴾ [الحِجْر : ٩٤]**

فسجد وقال:سجدت لفصاحته"، وسمع أخر يقرأ أيضا لقوله تعالى: " ﴿ **فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٠ ﴾ [يُوسُف : ٨٠]** قال:" أشهد أن مخلوقا لايقدر على مثل هذا الكلام[2]

وما أوردنا من الأدلة المبرهنة من أقوال الشعراء البلغاء والصحابة الكرام والمفسرين العظماء فإن الأمر لا ينتهي هنا، فقد توسع فيه علماؤنا وأدباؤنا وغاصوا في بحر الواسع متحدين أمواجه وإن كانت هائجة لأن لدينا البراهين العظيمة في القرآن العظيم والرجل الكريم عليه الصلاة والسلام الذي اتهموه

[1] ينظر:أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق: زينب ابراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط3،،ت:1048ه - 1973م،ص:21 ، وفي مرويات عمر بن الخطاب،ص:6

[2] الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني:المواهب اللذوية بالمنح المحمدية :شرح:مؤمن بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،ج2،بيروت-لبنان-،1971م،ص198

بالشاعر المجنون والكاهن ،ولكن الله أغلق أفواههم وأبطل اتهماهم في قوله عز وجل: "﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٠ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١** ﴾ **[الأَعْرَاف : ٢٩ -٣١]**

وقال أيضا:﴿**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣٧**﴾ **[الصَّافَّات : ٣٦ - ٣٧]**

وقال الملك القدو س أيضا: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٣** ﴾ **[الحَاقَّة : - -٤٣]**

وقوله كذلك:" وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرءانٌ مبين"

ما ترك الله جلّ جلاله أكثر حتى نقوله فقد دافع عن رسوله الصادق عليه الصلاة والسلام في القرآن والقرآن يفسر نفسه لإسكات المشركين الذين يريدون اتهام نبيه الشريف ولإطاحة بقوله المجيد ولكن لن يستطيعوا ذلك لأن القرآن المبين محفوظ في لوح عند الله قائلا المولى:"﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩**﴾ **[الحِجْر : ٩]**

ليس هذا فحسب بل لو تطلع هذا المستشرق على الإنجيل لوجد فيه حديث سيدنا عيسى عليه السلام على الرسول الأمي كما قال إسحاق بن بشير: وأنبأنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، ومقاتل قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال:"أوحى الله إلى عيسى بن مريم: "يا عيسى جد في أمري ولا تهن... بلغ من بين يديك أني الحق القائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج وهي العمامة-والمدرعة والنعلين والهراوة-وهي القضيب-الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخذين، جعد الرأس، الكث اللحية،المقرون الحاجبين،الأقنى الأنف،المفلج الثنايا،البادي العنفقة الذي كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه،له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ليس على بطنه شعر ولا على صدره شعر غيره، شأن الكف والقدم، وإذا إلتفت التفتوا جميعا و'ذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب، غرقه في وجهه كالؤلؤ وريح المسك ينفح منه ولم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة ، الطيب الريح،نكاح النساء ذا النسل القليل،إنما نسله من مباركة،لها بيت -يعني في الجنة- من قصب لا نصب فيه ولا صخب، تكفله ياعيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك،له منها فرخان

مستشهدان وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن ودينه الإسلام، و أنا السلام،طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه".[1]

وعليه نكون قد أوصلنا قوله جلّ جلاله وقول الحكماء والأنبياء والشعراء البلغاء إلى ان الرسول ذو الشأن العظيم ليس بمجنون أو شاعرٍ حاشاه الله بل جاءنا بالكتاب المعجز بالإشارات والأسرار العجيبة والدلالات اللطيفة البليغة، فهو الكتاب الذي لا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا لا تفنى معجزاته، ولا تتوب أعين الأتقياء من الارتواء منه ولا تكف أذن السامعين من الإصغاء له، فهو مورد العلماء الذي لا ينضب والمصدر الأصيل للإحياء والحياة.[2]

وبهذا نكون قد احرقنا صفحة التشويه ومحاولة التغليط في نبوة الرسول واتهام الله عزّوجل بذمه لشعراء والشعر والتحريف في كلامه العظيم.

ثمّ ينته مرجليوث إلى أنَّ الشعر الجاهلي لاوجوده له ، وأنّ الخلفاء وعظماء العرب شجعوا على انتحال متمثلا بالخليفة المهدي كما أسلفنا الذّكر عليه في آرائه، وبهذا فإنه قد كذب ودحض فكرة وجود شعر جاهلي وإن هذا الشعر بعد مجيء الإسلام، وهذا الأمر غير صحيح ـفإن وقفنا على النقد الأدبي عند القدامي النحاة وكبار اللغويين والرواة في أواخر القرن الأول، المهتمين بجمع مفردات اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي، وإقامة المفاضلة بين الشعراء الجاهليين والإسلاميين؛ والمفاضلة كانت مبنية على أساس غزارة الإنتاج وكثرته والجودة، واضعين **طبقة الجاهليين** وهم:امرؤ القيس،والنابغة والأعشى وتسمى طبقتهم بالطبقة الأولى من هذا العصر، أما **الطبقة الأولى** من الإسلاميين تضم كل من: جرير، الفرزدق ،الأخطل.

قد ربطوا الشاعر ببيئته، مبررين أثر البيئات العربية البارزة في الشعر والشعراء، مبينين أن الشاعر عند تحوله من بيئته إلى بيئة أخرى، و ترحاله إلى المدن واختلاطه مع سكان الحضر، يتغير لسانه ويفتر شعرا...

كما أنّهم لم يُغفلوا النظر عن ظاهرة الوضع الذي اعترت الشعر متطرقين إلى أسبابه، وقد عملت مدارسهم وعهدتهم، وعلمتهم مذاهب الشعراء مع تزويدهم بالبيئات العربية وإحاطتهم بالتاريخ الأدبي للكشف عن الشعر المنحول ورفضه وعدم قبوله؛ أي ظاهرة الانتحال انتبه إليها العرب منذ القدم وتفطنوا لها .

[1] ابن كثير القرشي :قصص الأنبياء: بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها، وضع حواشيه: محمد عبد القادر شاهين ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،د.ط،د.ت،ص: 382

[2] ينظر: جملات عيد محمود أبو ناصر:لفظة القرآن الكريم: دراسة موضوعية، لنيل شهادة الماجستر،تحت إشراف: د.رياض محمود جابر قاسم،الجامعة الإسلامية-غزة،فلسطين، ت: 2011، ص: 07

القرن الثاني امتدادا- لنقد النحاة اللغويين والرواة- فقد ألفت كتب لجمع الشعر الجاهلي للحفاظ عليه والإسلامي كذلك،وترتيبهم لأصحابهم وتصنيفهم ضمن طبقات، مثل كتاب " جمهرة أشعار العرب"لأبي زيد القرشي ولعله أقدم ما وصل إلينا، وكتاب " الطبقات فحول الشعر"لمحمد بن سلام الجمحي الغنّي عن التعريف،وقد التمسنا آرأه حول الشعر الجاهلي وقضية الشك فيه مبينين حكمه على الشعراء المشكوك بشعرهم وصحته، و منتحلو الشعر كخلف وحمادة وقيام كبار الأدباء على تمحيصه وتوثيقه.

أمّا الصيغة اللغوية في الشعر الجاهلي مثل اللغة التي جاء بها القرآن وكانت في العصر الإسلامي، هذا الأمر واضح وطبيعي لأن لغة القرآن هي اللغة العربية الفصحى التي سادت في العصر الجاهلي، والشعراء كانوا ينظمون بها في فاتحة هذا العصر متخلين عن لهجاتهم المحلية، وهي كانت لهجة قريش آنذاك فكان الشعراء ينظمون بهذه اللهجة لأسباب دينية واقتصادية وسياسية، كما هو الحال في وقتنا الحالي وفي عصرنا هذا فالعرب تختلف لهجاتهم والاختلاف واضح لكن لغتهم الفصحى والأصلية هي اللغة العربية، لم يكن شعرا إلا ونظموه باللغة الفصحى طبعا.[1]

أما بالنسبة لعدم إجلاء وبيان اللغة الحميرية في الشعر الجاهلي فهذا ليس بالأمر الغريب، لأنها وببساطة ليست لغتهم،وقال في ذلك أبو عمروا بن العلاء:" مالسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"[2] .

ويسعنا القول أن تعريب الجنوبيين قد بدأ منذ عهود مبكرة جدا وفي إدلاء مرجليوث:على أن النقوش المكتشفة للمماليك الجاهلية المتحضرة خاصة اليمنية أنها غير دالة على وجود أي نشاط شعري فيها،هذا لا يعقل لأن هؤلاء البدو غير متحضرين نظموا شعرا لن يستطع أهل الحضر تضمينه لأنهم كانوا أفصح وأبلغ منهم[3].

بينما في القسم الذي تناول فيه مرجليوث أن الشعراء كانوا ينظمون أشعارا وألفاظهم كانت مثل ألفاظ القرآن الكريم هذا الأمر صحيح ولم ينكره العرب وقد تطرق إليه العديد من النقاد والأدباء على رأسهم زيد القرشي في مقدمة كتابه الجمهرة القيمة مستهلا قسمه الأول بهذا الموضوع، ضاربا لنا أمثلة على ذلك منها قول امرؤ القيس:

قِفاَ فَاسأَطَ الأطلالَ عن أمِّ مالِكِ

[1] ينظر:شوقي ضيف: المرجع السابق، ص:176
[2] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر ، المصدر نفسه،ص: 11
[3] المصدر السابق،ص:11

وهل تخْبرُ الطلال غير التّهالُكِ[1]

مثل ما جاء في قوله **تعالى** ﴿ **وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ٨٢** ﴾ **[يُوسُف :] ٨٢**

ومنها قول زهير:

بأرض فَلاةٍ لا يُسَدُّ وصيدُهاَ*

على و معروفي بها غيرُ مُنْكَرِ[2]

وقوله عزوجل:" ﴿ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ١٨** ﴾ **[الكَهْف : ١٨]**

وقوله أيضا ﴿ **عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ٢٠** ﴾ **[البَلَد :٢٠]**

3.1.تاريخ ظهور الشعر العربي:

أمّا بالنسبة إلى تحديد بروز الشعر الجاهلي فقد حدده العلماء بحوالي مائة وخمسين سنة أي بحوالي قرن ونصف قبل الميلاد، ونسبية رجوعه إلى آدم عليه السلام معلومة غير موثق فيها ،واعتبرت أساطير أولين وقد أدرك ذلك القرشي- فقد قال:" فالله أعلم أكان ذلك أم لا"؛ويعني أنه رغم قدم الشعر الجاهلي إلا أنه يبقى تراثا خالدا في الثقافة العربية،خاصة أنه مثل أهم مكوناتها الثقافية والرمزية ولا يزال يردد ويحفظ إلى حد الآن[3].

ولم يُغيب الشعر الجاهلي عن الدرس الأكاديمي ولم يكف الكتّاب عن دراسته وتفسيره وتخليله، أما القارئ لتلك الأبيات والقصائد الذهبية فإنه يطرب أذن السامع ويؤثر في الملتقي لجمالياته وفصاحته.

صموئيل نكر تمثيل الشعر الجاهلي للحياة العربية القديمة ؛أمرٌ لا صحة من وجوده، فقد قال الدكتور ناصر الأسد:"والشعر عندهم كما هو معروف متداول، في الذروة العليا من القيمة والخطر،إذ هو

[1] امرؤ القيس: الديوان ضبطه وحققه: مصطفى عبد الشافعي،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط5،ت:1425ه-2004م، ،ص:109

[2] أبي زيد محمد أبي الخطاب القرشي:جمهرة أشعار العرب، د.ط،شرح وتحقيق: علي فاغور، دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان،ت:1971م،ص:21

[3] ينظر:مذكرناصر القحطاني:رواية الشعر:قراءة في مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،بحث منشور بمجلة االأثر،جامعة الحدود الشمالية،المملكة العربية السعودية،ت:2016/09/26،ص:01

ديوان أمجادهم و أحسابهم، وسجل مفاخرهم ومآثرهم"[1]؛ فالشعر لمكانته العظيمة فهو ديوان العرب لأنه يحفظ كل أمورهم دقيقها وجليلها ، صغيرها وكبيرها، فمن المستحيل أن لا تظهر الحياة الجاهلية بين أسطر القصائد.

ومن خلال هذه الأهمية التي اكتسبها الشعر الجاهلي احتفى به المخيال الجمعي والذاكرة الجماعية نظرا لمكانته الرمزية في حياة العرب الجاهلية والإسلامية.

فالشعراء الجاهليون كانوا يمثلون أحوال بيئتهم بل كانوا ألسنة أحوال قبائلهم، واعتبره النقاد المهد الأول للثقافة العربية ولو تطلع هذا المسترق في المعلقات فقط لأدرك تمام الإدراك بأن الأشعار الجاهلية كانت مرآة قبائلهم ما نجده في لامية الشنفرى وحقده على قبيلته لظلمهم له وتفضيل لحياة الصعلكة على العيش في قبيلته قال:

أَقِيمُوا،بَنِي أُمّي صُدُور مَطِيكُم

فَإنِي إلى قَومٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمّتِ الحَاجَاتُ وَاللّيلُ مُقمِرٌ

وَشُدَّتْ لِطَيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحَلُ[2]

حتى عنترة العبسي تجلت صفاته وأحواله وأحاسيسه وتربعت على لسان قصائده نأخذ منها أبيات:

لَئن أَكْ أسودًا فَالمِسك لَونِي

وَمَا لِسَوادِ جِلدِي مِنْ دَواءِ

وكمْ يَبْعُدُ الفَحْشَاءُ عَنّي

كَبُعْدِ الأرْضِ عَنْ جوّ السماءِ[3]

دليل على سواد بشرة عنترة رغم سواد لونه إلا أنه كان مفتخرا بنفسه لأنه كان شريف وفارسا وبطل مغوار، فريدا من نوعه.

[1] ناصر الدين الأسد:مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، مرجع السابق ،ص:109

[2] الشنفرى لاميته، الديوان تحقيق:إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،ط3،ت: 1417ه-1996م،ص:58

[3] عنترة: الديوان شرح وتحقيق:محمد معروف الساعدي،ط3،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان،ت:1971،ص:08

فأشعار عنترة حافلة بالأحداث والوقائع الجاهلية يقول في ذلك محمد علي الصبَّاح:" تُعد رواية عنترة من أعظم الروايات العربية وأطولها، لكثرة ما حشّد فيها من الحوادث، وما صوّر في ثناياها من وقائع وأحداث جاءت في أسطر أشعاره"[1]؛ فشعر عنترة حافل بالحوادث التاريخية وتظهر فيه الحياة الجاهلية والعقلية والسياسية التي تتخذها القبائل الجاهلية قانونا لها ما نجده في أبياته التالية:

أنَا الهَجينُ عَنترَه كُلُّ اِمرئٍ يَحْمِيحِرهْ

أَسْودهُ و أحْمَرهْ وَالشَّعَراتِ المُشْعَرَهْ[2]

قال عنترة هذه الأبيات بعدما صاح أبوه قائلا:" كُرّ يا عنتره" فأجابه على النداء:" لا يحسن العبد الكُرَّ إلا الحلاب والصر"،وفي تلك اللحظة لم يجد بدلا من أن يمنحه اعتباره فصاح به:" كُرَّ وأنت حرّ"،فكرّ عنترة وراح ينشد هذه الأبيات من شدة فرحه لأنه كان أسودا وابن الأمة، ونظرا لمسألة النسب أبى عمه مالك أن يزوجه بابنته عبلة لنسبه إلى أمه الأمة ولسواده أيضا؛ والطبقية بارزة أشعار العرب ما تعكس حياتهم وظروف معيشتهم وعقلياتهم.[3]

فأشعار عنترة ذكرت بطولته ورجولته، فصاحته وكرمه،ونجده وعفته، وحبه وإباؤه وما تبع ذلك من وصف لعادات وتقاليد عربية خالصة وفي نظر أحمد حسن الزيادة هي إلياذة العرب.[4]

وهناك نقطة أخرى حساسة لدى هذا المستشرق تخص رواية الشفوية لشعر و عدم تدوينه، توحي هذه الأخيرة بالشك والإبهام حول طريقة حفظه، فعلا وجدت رواية الشعر وحُفظ ووصل إلينا عن طريقها، لكن هذا لا يعني أن كل العرب الجاهليين لم يكونوا يتقنون الكتابة، فقد وجدت نقوش مختلفة تشهد بذلك، نلتمس في شعر الشعراء ما يوجب بوجود الكتابة وكتاب الرسوم على الديار ونقشها قول مرقش الأكبر:

الدَّارُ قَفْرٌوَ الرُّسُومُ كَمَا

رَقَّشَ فِي الأَدِيمِ قَلَمْ[5]

ويقال بأنه كان يحسن الكتابة ، وأنه كتب الرحال قصيدة نسبها إليه يكشف فيها عن وقوعه أسيرا في يد بعض العرب[6].

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا

---

[1] محمد علي الصباح: عنترة بن الشداد حياته وشعره،د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،د.ت ،ص:89
[2] ديوانه: تحقيق:محمد سعيد مولوي،د.ط، المكتب الإسلامي ،ت:1964م،ص:330
[3] محمد علي الصباح:عنترة بن الشداد حياته وشعره،المرجع السابق،ص:91
[4] المرجع نفسه،ص:91
[5] المرقشين: الديوان تحقيق:كارين صادر ،ط1،دار صادر،،بيروت-لبنان،د.ت،ص:67
[6] المصدر نفسه،ص:67

بمنًى* تأبَّد* غَوْلُها فَرِجَامُهَا*

فَمَدافعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا

خَلقًا كمَاالوُحِيَّ* سِلامُهـــــا

وقال أيضا:

وجلا السُّيولُ عنْ الطُّلُولِ* كأنّها

زُبرٌ* تُجِدُّ مُتُونَها أقْلامُهَا*[1]

حلى الأخنس بن الشهاب الثغلبي يقول:

لابنة حطان بن عوف منازل

كما رقش العنوان في الرق كاتب[2]

ما يوضح الرؤية ويؤكد وجود الكتابة ومعرفة الكثيرين من العرب الجاهليين لها،بل وجود فريقا منهم يتقن الكتاب كما يقول الرواة لمعرفتهم بالكتابة الفارسية على نحو ما حدثونا عن لقيط بن يعمر الإيادي وعدي بن زيد العبادى،ومن دون شك أن شيوع الكتابة كانت لدى أهل الحضر بالخصوص تجليها كان في مكة التاجرة.[3]

حتى السيرة النبوية يرِدُ ما يبعد الشكوك عن وجود هذه الأخيرة، فالرسول ﷺ جعل فداء الأسرى القرشيين الكاتبين في بدر أن يعلم الأسير منهم عشرة من الصبيان المسلمين القراءة والكتابة[4]،وإن تم

---

[1] المصدر السابق،ص:165
*منى:جبل أحمر عظيم وهو قريب من طخفقة في بلاد غْي وكلاب
*تأبّد: توحش
*الرجام:وهو جبل بنواحي طخفقة وفي أصله ماء عذب لبني جعفر أي لقوم لبيد
*الوحي:جمع وحي وهي الكتابة
*الطُّلول: مابقي من لآثار الديار
*الزُّبر:جمع زبور وهو الكتاب

*تجد متونها أقلامها:أي تعيد عليها الكتابة بعد أن درست
[2] الأخنس بن الشهاب الثغلبي: الديوان شرح عدنان محمود عبيدات،إتحاد الجمعيات العربية،المجلد4،ت:1428ه/2007م،ص:117
[3] ينظر:شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، المرجع السابق،ص:139
[4] المرجع نفسه، ص:139

التعمق في استخدام الشعراء لبعض القوافي النادرة لا لوحظ أن الشاعر الجاهلي كان يركز على ملاحظة العين أكثر من ملاحظة الأذن[1].

الحقيقة أنّنا لانملك أي دليل مادي يقر بأنّ الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم رغم إدراكهم لها ،بسبب صعوبة وسائلها من حجارة وجلود وعظام وسعف النحل، تعسر على الشعراء حفظ أشعارهم ودواوينهم .

وعليه فإن العرب اتخذوا الرواية الشفوية سبيلا لحفظ أشعارهم دون الاغفال عن مصدرها وتوثيقه وتصحيحه،فعن المختار بن أبي عبيد حوالي سنة 67ه –قيل له :"إن تحت القصر كنزا ، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة"[2].

ويقوا ابن سلام كذلك:" قد كان عند النعمان بن المنذر منه- من شعر العرب في الجاهلية-ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح هو وأهل بيته به، فصادر ذلك إلى مروان،أوصار منه".[3]

حتى الأحاديث النبوية كانت معتمدة على الرواية الشفوية لغاية نهاية القرن الأول للهجرة.

فرواية الشعر في هذا العصر كانت هي الأداة ومفتاح السبيل لحفظه ونشره وذيوعه أيضا، وقد كانت الأشعار بين أحضان طبقة تحترفها احترافا طبقة الشعراء أنفسهم، فكل شاعر يريد الشروع في نظم الشعر وصوغه يلزم شاعرا أقوى منهم، فيظل يروي له حتى ينفتق لسانه، ويسيل عليه ينبوع الفن ويشيع مرآة الإلهام نورا في وجهه، ويتدفق فائض الفن عليه، ونصّ صاحب الأغاني على سلسلة من هؤلاء الشعراء الرواة أخذا بعضهم على بعض،وقد استهلها بأوس بن حجر التميمي، فعنه أخذ الشعر ورواه حتى أجاد نظمه زهير بن أبي سلمى المزني، وكان له راويتان كعب ابنه والحطيئة، وعن الحطيئة تلقن الشعر ورواه هُدبة بن خشرم الُعذرى، وعن هدبة أخذ جميل صاحبه بثينة وعن جميل أخذ كثير صاحب عزَّة[4].

نظرا للمكانة المرموقة والعالية لشعر فإن الله ورسوله لم يحرمانه ولم يمنعانه وكبار العلماء والمفسرين المتمعنين في علوم القرآن يحدثون على معرفة الشعر وإدراكه بل وجعلوه شرطا أساسيا لفهم القران وتفسيره يجب على المفسر الغوص فيه قال الشافعي:"لا يحلّ لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ويكون بصيرا باللغة،

[1] المرجع السابق،ص: 139
[2] ينظر: اميل بديع يعقوب :موسوعة علوم اللغة العربية ، باب السين ، د.ط: دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان ،ت:1971م،ج5،ص:606
[3] ابن سلام:طقات فحول الشعراء، ،ص:23
[4] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص:142

وبصيرا بالشعر"[1]؛ فإدعاء مرجليوث بأن الله ﷻ استبعد وجود الأدب أمر لا أساس له من الصحة، لذا لا بد له من الامعان في الأحاديث النبوية وفي الآيات القرآنية واللجوء إلى المفسيرين المتفقهين بدلا من تفسيره القرآن الكريم حسب فهمه وكما يحلو له ؛لأن القرآن العظيم بحر من الإعجاز والبلاغة والخوض في أعماقه ليس بالأمر الهين.

لم يكتفي هذا المستشرق بهذا التحريف فحسب بل اتجه إلى اتهام الخلفاء الراشدين على رأسهم الخليفة المهدي بتشجيعه لحمادة والمفضل الضبي وتتويجهم بجوائز أيضا، وهذا الأمر مبالغ فيه والكلام فيه دون الجزم والدليل القاطع يكون إفتراء وإدعاء، فقد استند على صاحب الأغاني وحجته ضعيفة لأن هناك علماء مختلفون في هذا، فمنهم كم يقول أن حمادة وافته المنية في 155ه مانجده عند ابن خلكان وابن النديم، والياقوت يقول توفى في سنة 156ه، المر مختلف فيه حتى في ولادته اختلفت وتعددت الآراء:فعند ابن النديم في 75ه وعند الياقوت وابن خلكان يقولان في سنة 95ه ، علما أن الخليفة المهدي تولى الخلافة سنة 158ه[2].

والذي يستنتج من الأمر أن حمادة الراوية لم يدرك الخليفة المهدي، فلا نستطيع أن نرجح ما جاء في الأغاني على باقي الروايات التي تقف بحياة حمادة قبل عصر الخليفة، بل أغلب الظن ترجيحا بين العلماء والنقاد هو أن حمادة لم يدرك عصر المهدي،كما جاء عند الأدباء الدين أسلفنا عليهم الذكر حول تحديد منيته.

وكان خلفاء بني أمية يقدمون حمادة وليؤثرونه،فكثيرا ماكانوا يستحضرونه لينشد لهم وليسألوه فكان يُفد عليهم، فيقطعون ويجزلون صلته،ويروى أنه كان منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك في خلافته،فأسخط هذا هشاما وولي عهده، فلما تولى هذا الخلافة خاف حماد على نفسه،فلزم بيته لا يبرحه،ولكن هشاما لم يلبث أن استدعاه إلى دمشق ليسأله؟فلما أجابه وأنشده أجازه وأحسن صلته،وهذه القصة مروية في أكثر من مرجع ودونها أضخم الكتب على رأسهم الأغاني نفسه، وفي نزهة الألباب و تحفة المجالس لسيوطي وغيرهم،إلا أن مرجليوث لم يتحدث عن هذا قط رغم إطلاعه على الأغاني الأمر الذي يزيدنا إبهاما؟[3]

وفي حديثه عن **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ووضعه لعلم العروض مستهزئا به وبقدراته متهما إيّاه بالأوهام والتوهم، يتضح لنا أن مرجليوث يفتري على أكبر علماء العرب وأشهرهم، ولوس جأنا لوصف **الخليل الفراهيدي** لعجزت الألسن وأجحفت الأحرف وجفت الأقلام ، ولكن سنحاول وإن أجحفنا أن نبين

[1] ينظر:" عبد الخطيب البغدادي: الفقه و المتفقه، تصحيح وتعليق: اسماعيل الأنصاري، د: دار الكتب العلمية ، البلد: بيروت، ج:2،ت:1980،ص: 15

[2] ينظر: عبد الرحمن بدوي:المرجع السابق ، ص:136

[3] ينظر: المرجع السابق،ص:136

هذه الشخصية العظيمة وأعمالها الأعظم، فقد أقبل إلى المدينة البصرة و"هي عاصمة النحو العربي "العلم الذي يعرف به أحوال أواخر الكلام إعرابا وبناءا وقبلة الكثير من أئمة اللغة العربية وعلماء التفسير والحديث، وموئل طالبي العلم، ومسكن للكثير من أهل الفصاحة العربية وآدابها .

وفي أحضان الدولة الإسلامية أشرقت العلوم في أعين الخليل وتولّع بها وسارت في عروقه دروب العلم،فحضر حلقة من حلقات القارئ " عاصم بن أبي النجود " في الكوفة وأخذ عن ابن كثير في مكة، ثم تعلم اللغة العربية من الإعراب من أهل الفصاحة والبلاغة في الحجاز وتهامة وهم أصحاب البدو ومن الصحراء العلماء تخرج على يده أكبر العلماء والفصحاء من سيبويه وكان تلميذا له،واضعا أول معجم في اللغة العربية واسماه "العين"،وكان يدعوا الله عزّوجل أن يوفقه في أن يضع علم العروض كاملا،وحادثة النحاس معروفة منها استطاع أن يضبط أوزان الشعر جاعلا إيّاها في خمسة عشر بحرا يجري عليها النظم[1] إلى يومنا هذا ن السؤال المطروح هنا: كيف لعبقري مثل الخليل يتهمه مستشرق ؟ ومهما تمعن في التراث العربي فإن إمعانه غير كاف،ومهما توغل في الأدب والقصائد فإنه يبقى عاجزا على الحكم الدقيق الذي يتوصل إليه أدباء ونقاد العرب[2].

ولو تطرقنا إلى تفسيره للمهلهل أيضا ولما تحصل عليه من أولوية إلباس القصيدة العربية ثوب الغزل الذي أرجعه إلى معنى اسمه مع العلم بالاختلاف الظاهر بين العلماء والنقاد في تفسيره،يقول ابن سلام:" وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو اظطرابه واختلافه"[3]، كما جاء في النقائض:" إنما سمي بالمهلهل لأنه هلهل الشعر، يعني سلسل فيه، كما يُقال: ثوب مهلهل إذا كان خفيفا".

أمّا في لسان العرب لأبن منظور فقال: " ثوب هلهل رديء النسج...ومهلهل اسم سمي بذلك لرداءة شعره، وقيل لأنه أول من أرق الشعر"[4].

وهو عدي بن ربيعة بن الحارث بن هبيرة ،من بني جشم من ثغلب،أبو ليلى المهلهل:شاعر من أبطال العرب في الجاهلية خال امرئ القيس،قيل: لقب بالمهلهل لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه وكان أفصح الناس لسانا.[5]

نلحظ أنّ مرجليوث يلف ويدور ثم يعود إلى غرس الشّك في الوازع الديني حينما رأى أن الشعراء الجاهليين يتحدثون بالقسم والسجود كما هو الحال عند عنترة بذكر القبلة وأن هذا لم يكن قبل مجيء

[1] ينظر:المرجع نفسه،ص: 136-137
[2] سناء شعلان: الخليل بن أحمد الفراهيدي،سلسلة الذين أضاؤا الدرب،نادي الجسرة الثقافي و الاجتماعي،ص:03
[3] ابن سلام الجمحي:طبقات فحول الشعراء، محمود محمد شاكر، المرجع السابق،ص:39
[4] عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق ، في الهامش، ص :95
[5] كامل سليم جاسم الجبوري:معجم شعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،د.ت،ج3، ص: 376

الإسلام ما أكد له أنه من الشعراء مسلمون ولم يكن شاعرا قبل الإسلام، لو صحيح أن هذا المستشرق قد اطلع وأمعن ولو قليلا في القرآن الكريم لما كان له لُبس ولا إبهام في هذه النقطة بالذات،لما؟ لأن أول مخلوق في الأرض سيدنا آدم عليه السلام وطلب الله القدوس من الملائكة السجود له فسجدوا إلا إبليس وكان من الخاسرين ن وهذا راسخ في القرآن ومنقوش بين أسطره فقد قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ [البَقَرَة : ٣٤]

وفيما يخصّ قبلة الصلاة ففي العصر الجاهلي كانوا يصلون للأصنام وللآلهة من أشهرها:"هوبل وسويع واللات و العزى".

حدثنا أبو الحسن بن عُليلٍ قال: حدثنا بن صباح قال: أخبرنا أبو المنذر قال:أخبرني أبي قال:" جاء قرن فعظموهم أشدَّ تعظيما من القرن الأول"[1]؛ أي عظموا الأصنام أكثر من القرن الأول الذي صُنعت فيه على جسم سيدنا آدم عليه السلام، ثم جاء القرن الثالث فقالوا:" ما عظّم أولونا الأصنام إلاّ وهم يرجون شفاعتهم فعبدوهم وعظّموا أمرهم واشتدّ كفرهم بالله"[2]؛أي طغوا في عبادتهم للأصنام والذبح لهم قربا حتى نسوا دينهم الذي أتى به سيدنا آدم عليه السلام.

2- المستشرق وليام سان كلير تيسدال:

2-1الشعر العربي القديم ولغة القرآن:

وليام سان كلير تيسدال من المستشرقين الذين ساروا وراء المنهج الاسقاطي، فقد ربط بين بين اللغة الشعرية واللغة القرآنية؛إذ يرى بأنّ الشعر الجاهلي هو نفسه القرآن الكريم وأنّ هذا الأخير مقتبس منه.

يرى بأن هناك تأثيرا كبيرا بين بعض الآيات القرآنية والشعر العربي القديم وخير دليل على ذلك أبيات امرؤالقيس:

دَنَتْ اَلْسَّاعَةُ وَانْشَقّ الْقَمَرْ

[1]ابن الكلبي: الأصنام، ص:51
[2]المصدر نفسه، ص:51

عَنْ غَزَالْ صَادِقَ قَلْبِي وَنَفَرْ

أَحُورٌ قَدْ حَرت فِي أَوْصَافِهِ

نَاعس الطّرفَ بِعَيّنهِ حَورْ[1]

مَرَّ يَومُ الْعِيدِ فِي زِينَتِهِ

فَرَمَانِي فَتَعَاطَى فَعَقَرْ

بِسِهَامٍ مِن الْحَاظِ فَاتِك

فَتَرَكَنِي كَهْشِمِ المُحْتَضِرْ

وَإِذَّا مَا غَابَ عَنّي سَاعة

كَانَتْ السَّاعةُ أَدْهَى وأَمَرْ

كتب الحسن على وجنته

بِسَحيفِ الْمِسّكِ سَطرًا مُختصَرْ

عَادةً الأَقمَار تَسْرِي فِي الدُّجى

فَرأَيّتُ الليّلَ يَسْرِي بالقَمَرْ

بالضُّحى والليّل مِن طَرته

فِرقَة ذّا النُّورِ كَمْ شيء زَهَرْ

قُلتُ إذّا شَقّ الْعذّرُ

خُدهُ دَنَّت السَّاعَةُ وَانْشَقّ القَمَرْ[2]

يدعي تيسدال أنه وجد هذه الأبيات في طبعة حجرية من المعلقات تحصل عليها في بلاد فارس،يقول بأنه وجد في نهاية المجلد بعض من قصائد امرئ القيس لكنها غيرموجودة في ديوانه فنقل لنا هذه الأبيات منها:

[1] سان كلير تيسدال:المصادر الأصلية للقرآن الكريم: ترجمة: عادل جاسم،ط1،منشورات الجمل-بغداد-بيروت-ت:2013،ص41

[2] المرجع السابق،ص43

أَقَبلُوَالعُشَّاق مِنْ خَلْفِهِ

كَأنّهُمْ مِن كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُون

وَجَاءَ يَومُ الْعِيدِ فِي زِينَتِهِ

لِمِثْلِ ذّا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونْ[1]

إذن هذه الأبيات واضحة وضوح الشمس أنها وجدت في القرآن ولا يمكن لأحد انكار تربعها على صفحاته ،فهي موجودة في سورة القمر ﴿ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١** ﴾ **[القَمَر : ١-]**

﴿ **إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةُۢ بَيْنَهُمْۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ٢٨ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩** ﴾ **[القَمَر : ٢٨ -٢٩]**

وفي سورة الضحى ﴿ **وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢** ﴾ **[الضُّحَى : ١ - ٢]**

سورة الأنبياء والصافات آية الكريمة **:** ﴿ **لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ٦١** ﴾ **[الصَّافَّات : ٦١]**

مع الاختلاف الطفيف والبسيط في اللفظ لا في المعنى.

توجد علاقة وطيدة بين هذه الأبيات والآيات سابقة الذكر ما يودع بنا الشك أن محمدا نحل هذه الأبيات من الشاعر امرئ القيس،الذي كان زمانه سابق عنه،ونسبها إلى الله جاعلا إيّاها وحي منه

كان للعرب في العهد القديم من الزمن العديد من الطقوس الدينية وعبادة الله الواحد الأحد المتجلية في أفكارهم و مماراساتهم، يقول أن القبائل كانت إذا ذمّت أحدا نعتته ب"**عدّو الله**"، إذ كان بالنسبة لهم أشنع ما يمكن أن ينعت بها المرء في حين كانوا إذا اتفق القبائل فيما ينهم وعقدوا تحالفات تعاهدوا بإعطاء القسم على اسم الجلالة "**الله، اللهم**".

والعرب في عهد "هيرودوت" عُرفوا بعبادة إلهين من جنس ذكر وأنثى المسمين:"**OpotadAYalt**وباللغة العربية :**أوريات** و **ألإلات**" وبالبابلية "**أللاتو Allatu**

بالتاكيد ذكرت اللات في القرآن أيضا.

نجد في سفر أيوب ما يثبت أن عبادة الشمس والقمر والكواكب والسماء دخلت بلاد العرب في فترة مبكرة ما توحي به الأبيات التالية:

لهم شيمتٌ لمْ يُعْطيها اللهُ غيرهم

[1] المرجع نفسه،ص42

من الجُودِ والأحْلام غيرمَوَازِبِ

محلَّتهم ذاتُ ا لإلهِ ودينهِم

قويُمَ فما يَرجون غير العواقب

ألمْ ترى أنّ الله أَعطَاكَ سورة

ترى كل مَلكِدونها بذب

بانك شمسٌ والمُلوكُ كواكبٌ

إذا اطلعت لم يبدُ منْهُنّ كَوكَبُ[1]

من خلال ما تقدّم يتضح أن المصدر الأول للإسلام يمكن تحديده في المعتقدات الدينية والأعراف القديمة بل وحتى تلك الممارسات التي دأب عليها العرب وبقيت راسخة فيهم إلى أن جاء محمد و حفظها وتبنّاها فأدخلها إلى دينه.[2]

فالشّعر الجاهلي بالنسبة لهذا المستشرق ذكر كل ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام.

عُرف محمد في الشرق بالانتحال والسرقة الشعرية خصوصا من الشاعر امرؤ القيس الشاعر العربي القديم.

صرّح تيسدال أنه قرأ عن فاطمة بنت الرسول ﷺ أنها كانت تتلوا القرآن بالضبط سورة القمر الآيةُ ﴿ **ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١** ﴾ **[القَمَر : ١]**

فسمعتها ابنت امرؤ القيس وانبهرت قائلت:**"هذا بيتٌ من أبيات أبي الشعرية سرقها أبّاك ونسبها إليه"**

2.1.سبب تسمية المعلقات:

أمّا بالنسبة لتسمية القصائد بالمعلقات لأنها كانت المتميزة منها لفظا ،قولا وبلاغة تعلق على جدار الكعبة أمرٌ غير صحيح،لم تكن هذه هي سبب التسمية والباحث في المراجع سيكتشف إنكار الأمر ومدى صحته.

[1] ينظر: وليان سان كلير تيسدال:المصادر الأصلية للقرآن: ترجمة : عادل جاسم،المرجع السابق،ص42
[2] المرجع نفسه،ص41

من المصادر التي يعتبرها **تيسدال** مفيدة نوعا ما وتفي بالغرض هو الرجوع إلى أبي جعفر إسماعيل النّحاس توفي(338م)،جاء فيه أن العرب قديما كانوا يجتمعون في سوق عكاظ ويُلقون أشعارهم، والملك كان يستمع إليهم وفي الأخير يختار أجمل القصائد ويأمر بتعليقها وتثبيتها في خزانته الشخصية.[1]

أما المصدر الأول فلم يأتي به أحدٌ من الرّواة سابقا لكي نعتمد على صحته،فحمادة الرّاوية مثلا لما تفطن لزهد الناس في الشعر راج يجمع القصائد السبع ويُوهم بأنها من المشهورات الشعرية حتى أصبحت تسمى:**"القصائد المشهورة"**، و داعمه السيوطي مضيفا عليها أنها كانت تعلق على جدار الكعبة.[2]

لم يكتفي محمد بالانتحال من الموروث الشعر العربي القديم؛بل ذهب إلى الاستعارة من المصادر المسيحية، والقليل القليل من العهد الجديد وهذا معترف به،يضرب لنا المستشرق وليام مثال على صحة رأيه فيقول:" إنّ ما قاله محمد بشكل غير مباشر أنّ يسُوع ولد من غير أب بشري، وأنه مبعوثٌ من الله وجاء بالعديد من المعجزات،وعدد من الحواريين ، وأنه قد صعد إلى السّماء،إلاّ أن أضاف إنكار ربوبية المسيح وموته،وجاء بغيير كبير في العقائد الأساسية للديانة المسيحية، وجرف في الإنجيل بغية أخذ مكانته،وليُسطر على عقول البشر ويهيمن عليهم بحجة أنه آخر الأنبياء وأصدقهم.[3]

وهناك دليل آخر قاطع على كلامي مأخوذ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه حينما قال:"انّم محمدا أخذ هذا القول:"أعددّتُ لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"،ونسبه على أنه وجيٌّ من الله علاوة على ذلك نفس هذه العبارات والكلمات اقتبسها من "كورنثوس الأول الثاني يقول: ما لم ترَ عينٌ ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على بالِ إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه."[4]

يُنهي هذا المستشرق كلامه بختام جامع مانع لنظريته حول التراث العربي أنه تراث منتحل،متشبع بالسرقات الشعرية ومن الديانة المسيحية والعقائد الهرطقية* التي تشكلت على إثرها المصادر الأصلية للديانة المسيحية[5].

[1] المرجع السابق ،ص43
[2] المرجع نفسه،ص43
[3]: المرجع نفسه،ص181
[4] المرجع السابق،،ص182
[5] المرجع نفسه ،ص183

2/-النقد الموجه له:

1.2.انتحال الرسول ﷺ:

إنّ المستشرق وليان سان كلير تيسدال يرى أنّ محمدا ﷺ قد انتحل وسرق أبيات قديمة ومن أشعار امرئ القيس ونسبها إلى القرآن على أنه مقدّس ،ولكن المتأمل في كلامه يلحظ مدى شدة تمسكه بتحريف القرآن أو نفيه إن صحّ التعبير.

لم يكن تيسدال الوحيد الذي تبنى هذه القضية من الجانب التعصبي فقد سار على نهجه العديد من المستشرقين مدعمين ومساهمين في نشر الآراء والمقولات تخص القرآن وبشريته،نافين المصدر الرّباني ، أول من نستشهد به المستشرق **نيلسونNilson**قائلا وفي وحي محمد ﷺ**:"** إنّه يُخالجُني الشّك في أنّ

القرآن من تأليف محمد ؛أيّ أنّه فيض من نفسه لا غيث من السّماء وإنّه من قريحة الشاعر لا وحي سمائي، فقد خُيل لمحمد بأنّه وحي رباني ، دون أن ننسى أنّه من أفصح العرب كما وصلنا"[1].

هذا وقد جاء على لسان المستشرق **ويلزWillz** في القرآن وبشريته أنه:"قد أملى محمد كتابا من الأوامر والقصص اسمه القرآن ، زاعما بأنّه أوحى إليه من عند الله ، وإذا نظرنا إلى هذا القرآن من الناحية الأبية والفلسفية كان غير جدير بنسبه لله"[2]؛ قاصدا ويلز بأنّ القرآن ليس كلام ربّاني وإنما هو كلام بشري حاله حال الشعر أو النثر أو أي نوع من الكتابات الأدبية.

ذهب **جورج سيلSale. G** أيضا لهذه النقطة في مقدمة كتابه عن ترجمة القرآن قائلا:" إما أنْ يكون القرآن من تأليف محمد وهو المخترع الرئيسي له ،وهوأمر لا يقبل الجدل وإنْ كان من المرجّح من المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة."[3]؛إذْ من البداهة أنّ الرسول ﷺ هو واضع القرآن لا غيره .

ويأتي **جورج مونتيه** مؤكدا على زعم الأولون الطاعنين في القرآن والمشككين في أوهيته قائلا بصريح العبارة:" إنَّ القرآن من تأليف محمد"[4]؛ إلا أنّ هذه المقولات والأقوال تخلوا من الحجة المقنعة والدليل العلمي ، فهي عبارة عن رسومات ونقوش على الرمال ؛حيث أنَّ البحث العلمي لا بُد أنْ لا يخلوا من البراهين العلمية المنطقية.

3.2.معارضة تيسدال:

مثل ما وُجدت أراء مؤيدة للتعصبية تيسدال ،وُجدت أيضا أراء عربية و استشراقية مناقضة له تمام التناقض بالأدلة والحجة العلمية من بينها:

أ)-أراء استشراقية:

من أبرز المستشرقين المعارضين لسان كلير تيسدال في رد مصدر القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم وانتسابه للشعر المستشرق **د.ميلرDr.Miller** الذي قال وأفاض في الوحي الرّباني الآتي عن طريق محمد عليه السلام مُرددا:"لا يُوجد كتاب من الكتب السّماوية والدينية المُقدسة تتكلم بنفس الأسلوب الذي جاء به القرآن،كلّ الكتب الأخرى عبارة عن مجموعة من المعلومات التي تُخبرك منْ أين

[1] د.محمد أمين حسن محمد بن عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع،الأردن،ت2004م،ص211
[2] المرجع نفسه،ص214
[3] المرجع نفسه،ص 215
[4] د.إبراهيم عوض: المستشرقون و القرآن،ترجمة مونتيه: دراسة ترجمات مفر من المستشرقين الفرنسسين للقرآن وأداتهم ،ط1،مكتبة زهراء الشرق –القاهرة-مصر، ت 1423ه

أتت المعلومات على سبيل المثال:(الانجيل المُحرّف) عندما يناقش قصص القدماء يقول لك: الملك فلان عاش هنا، وهذا القائل قُتِل هنا في معركة معينة وكان شخصٌ آخر له عدد كذا من الأولاد ويذكر أسماءهم فلان وفلانة...الخ، ويُخبرك إذا كنت تريد المزيد من المعلومات فعليك الرُّجوع إلى بعض الكتب المُخصصة بالذّكر لأنَّ هذه المعلومات مستمدة من هذه المراجع في الأصل(...)، بعكس القرآن الذي يمدُّ القارئ بالمعلومات ثمّ يَعلمُك بأنّها معلومات جديدة لم يكن محمد ﷺ يعلمها لا هو ولا قومه،بالرّغم من ذلك لم يتفوهوا ب:هذا ليس بالشيء الجديد ، بل نحن نعرفُه، أبدًا لم يحدث أنْ قالوا من ذلك ولم يقولوا نحن نعلم من أين جاء محمد بهذه المعلومات ، أيضا لم يحدُث مثل هذا ، ولكن الذّي حدث أنّ ما مِنْ أحدٍ تجرّأ تكذيبه أو حتى الرّد عليه؛ لأنّها فعلاً معلومات جديدة كُليًّا وليست من عقلِ بشر ولكنّها من الله الذّي يعلم الغيب في الماضي الحاضر والمستقبل."[1]؛ وفي هذا ردٌّ عنيف من مستشرق ناطقٍ بإنصاف كلمة الحق التي سعى تيسدال وأمثاله تشويهها.

ذكر د.ميلر التحدّي الذي جاء به عليه الصلاة والسلام عن طريق الله عزّوجل بأنْ يأتوا بمثل القرآن ولو آية واحدة فعجزوا، بالرّغم من وجود كبار الشّعراء و الفصحاء إلا أنّ الرّسالة الرّبانية اسكتت فاهم ، و ذكرتُ سابقا ردّت فعل الشاعر الجاهلي لبيد عندما سمع أوائل سورة البقرة المعلقة على جدار الكعبة.

لم يكن **د.ميلر Dr.Miller** المستشرق الوحيد الذي ردّ عليه، هناك أيضا المستشرق **ليون Leon**الذي قال في هذا:" حسْبُ القرآن جلالاً ومجدًا أنّ لأربعة عشر قرنًا التي مرّت عليه لم يستطيع أنْ تُحقق ولو لبعض الشيء في الذّي لا يزال غضًّا كأنّ عهدها بالنّزولِ أمس"[2]؛ حيث أنَّ هذا المستشرق عبّر عن عظمة القرآن الذي أتى به سيد الخلق ﷺ ، إذْ أعجز كل الشعراء في الزمن القديم أيّ **"زمن الشعراء** "هوزمن الفصاحةّ ، نظرًا لتلك القوة البلاغية والجمال الأسلوبي ، علاوة على ذلك لا ننسى أنَّ الناطق به كان أميًّا .

لسلامة الأفكار ومنطقياتها دعمه عدد من المستشرقين من بينهم المستشرق **هانزهينرش Hans Heinrich(1886م-2956م)** قائلا:" وليس للقرآن مثيلٌ من قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي"[3]؛ هنا صرّح **هينرش Heinrich**بالعظمة القرآنية التي ليس لها مثيل ولا منازع قديما ولا حديثا بل بالعكس هي المنبع الذي انبثقت منه كلَّ العلوم وازدهرت.

[1] د.ميلر:السلام البكاري ود. الصديق بوعلام، د.محمد عابد الجابري: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم (رؤية نقدي)،ط1،منشورات الاختلاف، دار الأمل –الرباط،ت1430ه-2003م،ص343

[2] المرجع نفسه،ص343

[3] هانز هينرش شيدر، المرجع السابق،ص343

في هذا نفيٌ لما جاء به تيسدال والأمر من ذلك أراد أنْ يرُدّ القرآن إلى سرقة محمد من شاعر جاهلي مشهور؛ في حين أعجز القرآن نفسه العظماء من الشعراء في عصره والعصور التي تلته .

وقف الدّكتور محمد الجابري على مقولات تيسدال وأمثاله الطاعنة في مصداقية القرآن الكريم قائلا فيهم:" و أمَّا ما ادّعاه من آراء المستشرقين في أصلها إشاذة في تصوّرها ،فأقل ما فيها الإجحاف والشَّطط و الإبعاد عن قول الجمهور وأتباع الشواذّ من الأحكام في الأمور الهامة"[1]؛ إذْ أنَّ محمد الجابري يصف المستشرقين من أمثال تيسدال بالإجحاف والشّطط وهذا أقل مايستحق مثل هؤلاء المُدّعين على الرسول الكريم.

ولو أردنا الإفاضة أكثر لتوجّهنا إلى فضيلة الدّكتور إبراهيم عوض الذّي فصّل في هذا الموضوع بالذّات أكثر من سواه معبرًا:" أنَّ هناك أمرٌ يصعب جدّا بل يستحيل على من يتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه واضع القرآن ومؤلفه، من دون أيّ تعليل أو تبرير يُرضي العقول المتجوّدة الباحثة عن الحقيقة ؛ألاوهو **الروح الإلهي**الذّي يسود هذا الكلام المقدّس من مقدمته إلى منتهاه"[2]؛ يوجه إبراهيم عوض رسالة تنطبق على الفكر الذّي حاول سان كلير إيصاله إلى العقول الباحثة في الموروث العربي القديم ، جاعلين منه نافذةً تُدخل بريق التشكيك بطريقةٍ غير مباشرة للعالم الشرقي الإسلامي وغير الإسلامي ، لكن حججه اتّسمت بالضعف فيستحيل لباحثٍ فطن أنْ يقتنع بمثل هذه الأكاذيب و المغاليط المقصود بها اتّهام الرسول عليه الصلاة والسلام بها.

رفع الدّكتور إبراهيم عوض لواء التحدّي أمام المتعصبين للإسلام والمتّهمين للرسوله العظيم بالشّاعر قائلا:" افتح القرآن على آية صفحة تشاء، واقرأ واسأل نفسك:" أهذا كلام بشر؟"، إنَّ ما يكتُبه الشر يخرج من تحت أيديهم حاملاً الطابع البشري :فتجدهم يذكرون أفراح البشر وأحزانهم ، ومسراتهم وآلامهم ورضاهم وضيقهم ونشاطهم ومللهم، ومبالغاتهم وادعاءاتهم وأخطائهم ، وهذا ما جاء في أشعار الشعراء الجاهليين مثل امرؤ القيس والسؤال هنا: هل ترى مثل هذه الأمور في الكلام الذي جاء به محمد ﷺ أيّ في القرآن؟"[3].

رغم مرارة اليُتم التي ذاقها عليه الصلاة والسلام من الأب ثمّ من الأم وهو في عمر الزُّهور لم يذكرها في كلامه الرّباني،علاوة على ذلك فالقرآن الكريم استغرق تنزيله ثلاثًا وعشرين سنة،إلاّ أنّه لم يذكر معاناته و أحاسيسه فيه، فلو كان من تأليفه فستخونه القدرة الحتمية من إخفائها .

---

[1] د.إبراهيم عوض: مصادر القرآن "دراسات لشبهات المستشرقين والمتبدئين حول الوحي المحمدي، د.ط، د.ن،ت 2006م،ص124

[2] ينظر: المرجع نفسه،ص124-125

[3] إبراهيم عوض: المرجع السابق،ص125

أكّد الدّكتور إبراهيم عوض هذا في كلامه الموّجه للمتعصبين:" فهل فيه ولو نَبْسة واحدة عن صاحب الرّسالة المتّهم مِنْ قِبلِ أعدائه بأنَّه صاحب القرآنِ أو سرده لمشاعر اليُتم وما تُخلفهُ في النفوس ،ومن عاشها يستطيع تفهمها"[1].

فرضًا أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام لم يُرد أنْ يُعبر عن مشاعره المتعلقة بوالديه في القرآن، هل كان يستطيع كتم حزنه البليغ الذي أصابه بعد وفاة زوجته وشريكة حياته السيّدة خديجة رضي الله عنها،المرأة التي كانت السّند والحبيبة والصديقة في أصعب الظروف التي عاشها ومرّ بها ، وفي نفس السنة توفي عمه أبوطالب؛ إذْ انتابه عليه الصلاة والسلام الحزن البليغ لفقدانه خصوصًا لعدم قدرته في اقناعه الدخول في دين الله الواحد الأحد ،وقد سمى هذا العام **"بعام الحزن"**، وكلُّ هذا لم يُذكر في القرآن الكريم يقول هنا د. إبراهيم عوض:" فلن تجد إشارة مُجرّد إشارة ، من قريب أو من بعيد ،إلى **"عام الحزن"** هذا وكأنّهُ لم يفقِد خديجة وكان موتها لم يكن ركنا انهدام في جدار مقاومة الكفر والطغيان، علمًا أنَّ عليه السلام لم يذكُر خديجة إلاّ بالخير بعد موتها ، حتى كانت عائشة رضي الله عنها تغارُ منها أشدّ الغيّرة"[2]؛ هذا فيما يخصّ انتساب القرآن الكريم للتأليف البشري المحمدي.

تناقض وتضارب الأفكار و الافتراءات لدى تيسدال لم يقف عند هذا الحدّ بل تجاوزه وتعداه فيما يلي:

قال أنّ أبيات منسوبة إلى امرئ القيس وفي الوقت نفسه يقول بأنّها غير موجودة في ديوانه وهي أيضا مشكوك في صحتها؛أي أنّ هذه الأبيات غير موجودة أساسًا ومصداقية وجودها أمر مبهم غير متفق عليه لانعدام وجود مصدرموثوق لها.

من المستشرقين المعاصرين الذين وقفوا ضدّ الرأيّ التعصبي الذيّ سُهر على إلباس لقرآن الثوب الشعري المستشرق **يوخن كاتزJochen Katz** حيث ألف مقالة بعنوان:**"هل انتحل محمدًا امرئ القيس؟Did Mouhamed phagiarize ImrauLQais?.**

ذهب يوخن إلى أنّ من الخطأ النّظر إلى اتّهام النبي بالسّرقة منْ امرئ القيس مؤكدًا أنّ الحقيقة الحتمية للتشابه بين تلك الأبيات والآيات القرآنية لا بُدّ أنْ يكون له تفسيرٌ آخر،وهي في الأخير مجرّد

[1]: المرجع نفسه،،ص126
[2]ينظر: المرجع نفسه،ص126

فرضية لا أكثر؛ لذا يذهب إلى أنّ اتهام الرسول بالسرقة من خلال فرضية لا يمكن إثباتها بأيّ طريقة إنّه لمن الخطأ الفادح ؛ وعليه يجب إسقاطهذه الفرضية بالكلية، لأنّنا في غنى عن ملء الكتب بالتكّهنات.[1]

تتضح التعصّبية لدى تيسدال من خلال كلامه الذي ينصّ على أنّ الإسلام دين مقتبس من الديانات والثقافات السابقة، إلا أنّ الإطار العلمي الأكاديمي البحث يضعه في قالب ضيق تبرز فيه الأدلة العلمية والبراهين حول هذا الموضوع بالذّات.

أمّا بالنسبة للقصة التي زعم بدراستها قائلا:"وقرأت في هذا المجال أن فاطمة بنت محمد ﷺ كانت تردد أبيات لامرئ القيس على أنها آيات من القرآن الكريم،تلفيق هذه القصة أو الأكذوبة أمر واضح وضوح الشمس لا يستدعى التمعن في صحته؛ لأن وبكل بساطة امرؤ القيس كان زمانه سباقا على زمان الرسول عليه الصلاة والسلام،فالرسول ولد عام الفيل 570م في حين امرئ القيس توفي سنة 540م.

هذا دليل قاطع على أنَّه مستشرق مؤلف، يفتري ويُنشأ قصص تاريخية وقرائن عقلية لا وجود لها على أرض الواقع.

المتأمل في أقواله وآرائه يجد أنه يُعطي الحجة ويدعي الافتراء ثم يقدّم الرّد عليها، الحالة التي رأيناها بخصوص نسبة الآيات الكريمة للأبيات الشعرية الجاهلية لمرئ القيس وفي ذات الوقت يشك في مصدرية وحقيقة وجودها من أساسه.

وفي نفس السّياق نجد رفض **يوخن Jochen** للقصة التي يعتبرها من تأليفهومحتواها تلاوة فاطمة الزهراء لآيات الأولى من سورة القمر وسماع ابنت امرؤالقيس لها وتعرّفها على أنّها لأبيها على أساس الرواية الخاطئة ؛ في نجد امرؤالقيس قد وافته المنيّة قبل الرسول ﷺ.

إنْ كان تيسدال يُقدم الفرضيات من دون براهين أو أدلة علمية ،ناشرا إيّاها على أنّها حقائق ،نجد المستشرق **يوخن كاتز Jochen Katz**يدّرس نفس القصص ويُبينها قائلا:" في الأخير إنّها مسألة ذات وجوهٍ عدّة ،مُقرًّا في النهاية بصعوبة إثباتها، تنتهي بفروض مؤداها:أمَّا أنْ يكون القرآن قد أُخذ من القصيدة، أو أنَّ هناك شخصًا آخر غير امرئ القيس كانت له الجرأة وقام باقتباسها.

وفي كلا الحالتين تبقى مجرّد وجهات نظر وافتراضات لا إثبات لها.[2]

[1]ينظر: د.محمود كيسانه:لغة القرآن في منظور الاستشراق-دراساة تقويمية نقدية-،ط1،العد 10،العتيبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية-العراق-نت1442ه/2021م، ص88-89

[2]ينظر :المرجع السابق، لغة القرآن،ص89

نلخُص أنّ المستشرق الإنجليزي وليام تيسدال يبحث عن الفرص للطعن في القرآن والتشكيك في مصدره عن طريق دراسة اللغة الشعرية القديمة.

أمر مهم لا يجب تجاوزه هو أن المستشرق لما أطلق الفرية ،أطلقها معتمدا على كتاب **"فيض القدير"** شرح **"الجامع الصغير لمحمد المناوي "**، إذ نجده تائها مترددا بين موقفين:

موقف إدعاء الفرية متمنيا الوصول إلى تصديقها ونشرها على أرض الواقع.

وموقفه العلمي يضع بينه وبين فريته حاجزا يصعب تجاوزه وتجاهله؛ فهو هنا يتعامل مع هذه القضية بجانبين مختلفين:

جانب شخصي تعصبي :يرى فيه أنّ الإسلام مُقتبس من الديانات والثقافات السابقة.

وجانب علمي:يضعه أمام أدلة تاريخية وشواهد عقلية تمنعه من تصديق افتراءاته[1]، ويرُد على نفسه قائلا:"ومن ناحية أخرى فإنه من المعتاد جدّا في الشعر العربي، وحتى في العصر الحديث يوجد الاقتباس من القرآن ووضعها في طابع فلسفي أو ديني،كما انه من الصعب أن نتخيل محمد يُغامر بالسرقة من شاعر معروف كامرئ القيس"[2].

3.2.اعترافات تيسدال:

في الأخير لم يبقى لهذا المستشرق خيار ،فوجد نفسه أمام إلزامية البّوح بكلمة الصدق والاعتراف بالغلط وإسقاط عن سيد الخلق عليه الصلاة والسلام قائلا:"فإن ميزان الاحتمال يميل بالتأكيد إلى افتراض أن محمدا بريئٌ من تهمة الانتحال المتهوّر التي اتُّهم بها"[3]

أشار كاتز إلى نقطة مهمة وهي أنَّ المستشرق سان كلير أصدر كتابين الأول كان حول:المصادر الأصلية للقرآن، والثاني لم يُطبع أصلاً على الرغم من كونه أكثر شمولاً فقد جاء في 287صفحة ، في حين الأول 102 صفحة،مُستنتجًا السبب عام صدوره وطباعته وهو أنَّ تيسدال تدارك أخطاءه وغيّر رأيه في كتابه الأخير.[4]

وعليه لا بُدّ من كشف السّر وراء تهافت المستشرقين حول دراسة هذه القضية من عدّة جوانب : تاريخية، عروضية وعقلية.

---

[1]ينظر:لغة القرآن،المرجع نفسه،ص85
[2]المرجع نفسه،ص87
[3] المرجع السابق،ص88
[4]ينظر: المرجع نفسه ص،89

أ)- من الناحية التاريخية والتأصيلية:

أول ما يجب الإشارة أليه في هذه القضية هو الرّد على سان كلير تيسدال وغيره من المستشرقين .

أولا: كان الدّكتور **عبد الرؤوف المناوي** سبّقًا لهذه القضية على تيسدال وذكرها في --**فيض القدير**- لكنه كان مادحًا للقرآن لا قادحًا فيه حيث قال:"وقد تكلّم امرؤالقيس بالقرآن قبل أنْ ينزل ،فقال:

يَتَمَنى المَرءُ فِي الصَّيفِ الشّتَا

فَإذَّا جَاءَ الشِّتا أنْكَره

فهُو لاَيَرْضَى بِحَالٍ وَاحدٍ قُتِلَ الإنسَان مَا أَكْفَره.

وقال:

اقْتربَت السَّاعةُ وَانشقّ القَمَرْ

مِن غَزالِ صَادَ قَلبِي وَنَفرْ[1]

لكن بعودتنا لديوان امرئ القيس فلن نجد لهذه الأبيات أثر يُذكر أو مدّون ، ما يزيدنا ثقةً بأنَّها عبارة عن أبيات منحولة ومنسوبة إليه زورًا؛ فمن سابع المستحيلات أنْ يكون ديوان شعري أجمع عليه المحققون واجتهدوا في جمعه باعتبار السّجل الثري الحامل لأشعار كل شاعر أنْ يخلوَ من هذه الأبياتْ؟!!

هذا ويفتح أمامنا الدّكتور **محمد الكيساني** بابًا للتساؤل حول هذه القضية قائلا:"إذا كانت هذه القضية- أبيات امرئ لقيس صحيحة فلماذا لم نسمع أنَّ قريشا ذكرتها أو أثارت ضجة حولها؟! فقد اتهموا سيّد الخلق عليه الصلاة والسلام بكل نقيصة، فما الذي منعهم مِنَ التّمسكِ بهذه الأبيات إذا أنّها تُعتبر الدّليل القاطع على عملية السّرقة و الاقتباس؟!

لما كلْ هذا لم يحدث ؟ لأنَّ القضية كلّها من أساسها محض افتراءٍ ، لم يكنْ لهذه الأبيات من وجود في الجاهلية وقبل مجيء الإسلام ،ما يقوي الزّعم بانتحالها ؛بهدف تشويه الدّين وإظهاره بصورة الدّين المسروق.[2]

عُرف العرب في الجاهلية بالفصاحة وقوة البلاغة والبيان، حتى معلقاتهم الشعرية كانت تُعلّق على جدار الكعبة لجمال أسلوبها وروعة بيانها وبلاغتها، فكانت المُعجزة الإلهية التي أتى بها محمد ﷺ :"**القرآن**" مُعجزة لغةٍ وبلاغة ؛جاءت بما برع فيه العرب تحديًّا لهم بأنْ يأتوا ولو بآيةٍ من مثله، فلم يستغلوا هذه

[1]:د.عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير،شرح:الجامع الصغير،ط2،دار المعارف،ج2،ت:1391ه-1972م،ص 187
[2]ينظر: لغة القرآن، المرجع السابق،ص 90

الحجة ليردّوا بها هذا التحدي ، وهو خيرُ دليلٍ وبرهان على السرقة من الأشعار الأولين؟يقول في هذا الصدد الدّكتور محمد كيسانه:" ما الذيّ يجعلهم يُبارزون المسلمين بالسيّف فيقع منهم القتِيل والأسير وكان أمامهم هذه الأبيات؟ هذا كله يُوصلنا إلى حقيقة واحدة ألا وأنَّ هذه الأبيات لا وجود لها ولو كانت لاستغلتها قريش في حربها المُستعمرة ضدّ الرسول ﷺ"[1].

إذا أردنا أنْ نُضيف الأدلة الحمية لهذه القضية دومًا، هناك من الأمور اللافتة للنظر مثل فضيلة الشيخ **الباقلاني** الذي أفرد فصلا كاملاً في هذا الموضوع بعنوان:" **الفرق بين الشعر والقرآن**" في كتابه "**إعجاز القرآن**"؛إلاّ أنه لم يذكُر ولو إشارة واحدة من قريب أومن بعيد هذه الأبيات بدون إهمال عصره فهو ابن القرن الرابع عشر الهجري[2]؛ ما يعني أنَّ هذه الأبيات ليست لإمرئ القيس، ولو كانت له أكيد كان سيتحدثُ عليها ويدرُسها، والأمر الثاني والأهم هو أنَّ هذه الأبيات منحولة أيّ نُحِلت بعد القرن الرابع عشر الهجري ، فلو كانت قبل ذلك أكيد الباقلاني سيُشير إليها أيضًا لم يفعل، ما يمحو الفكرة والتفكير في هذه القضية وانتساب الأبيات لإمرئ القيس هي أُكذوبة لا أكثر.

ولو عدنا لطه حسين نجده تفطن لهذه القضية" قضية انتحال في شعر امرئ القيس" مُشيرًا إليها في فصلٍ كامل في كتابه:"**في الشعر الجاهلي**" تحت عنوان:"**قصص وتاريخ**"قائلاً:" إنّ أكثر ما يتم تناقله من أشعار لامرئ القيس إنما هي منحولة، مضيفًا إليها طابع الاختلاف البيئي للشاعر فهو يتنافى تمامًا ومكان نشأتهن وحتى على المستوى اللغوي فامرؤ القيس يُجيدُ لغة اليمن"[3].

فالبيتان:

يتَمنَى المَرءُ فِي الصَّيف الشِّتا

فَإذَا جَاءَ الشِّتا أنْكَره

فَهُو لاَيَرضَى بِحالٍ وَاحِد

قُتل الإنْسَانُ مَا أكْفَرَه[4]

منسوبان في عدّة مراجع لامرئ القيس ن فقد نسبها المناوي وتبعه في ذلك بعض المستشرقين ، في حين نجدهما منسوبان لشاعرٍ آخر يُدعى : **يحيى بن صاعد (ت515ه)**، وقد ذكر **أحمد بن يوسف التيفاشي**هذه البيتن في كتابه **:" سرور النفس بمدارك الحواس الخمس"**[1].

---

[1]لغة القرآن: المرجع نفسه،ص91
[2]المرجع نفسه،ص 91
[3]ينظر: د,طه حسين : في الشعر الجاهلي،ط2،دار المعارف للطاعة والنشر-سوسة-تونس-،ت1998م،ص 154
[4]العلامة المناوي: المرجع السابق ،ص 187

الدّكتور عبد الرؤوف المنّاوي في كتابه القيّم بعض من الأبيات التي نُسبت لامرئ القيس من أشهرها:

إذَا زُلزلتْ الأرضُ زلزّالهَا

وأخرجت الأرضُ أثقالهَا

تقُومُ الأثَامُ عَلَى رُسّلها

ليومِ الْحِسَابِ تَرَى حَالَها

يُحاسبُهَا مَلكٌ عَادِل

فَإمَّاعَليهَا وَإمَّا لَهَا

نُسبت هذه الأبيات لامرئ القيس وهي في حقيقة الأمر منسوبة للشاعرة الخنساء[2]؛ موجودة في ديوانها وبالضبط في قصيدة: "ألا ما لعينيك أم مالها تقول فيها:

أَبَعدَ اِبنِ عَمرٍ ومِنْ آلالشَرِيدِ

حَلَّتْ بِهِ الأرضُ أثْقَالها

فَخَرَّ الشَّوامِخُمِنْ قَتلِــهِ

زُلزلتْ الأرضُ زلزّالهَا[3]

والخنساء من المُعجبين جدًّا بكلام الله جلّ جلاله ومتأثرةٌ به لدرجة الاقتباس منه، خصوصًا بالآيات التي تُذكر فيها السّاعة ويوم القيامة.

من البديهيات أنَ الشاعر قديما كان يُلام بسرقته من شاعرٍ آخر أو سابقًا عنه، فلو كانت هذه الأبيات لامرئ القيس فعلاً لِيمت الخنساء ورُميت بالسّرقة الشعرية، وهي من الأمور المعروفة بالنسبة لشاعرة معروفة كالخنساء وتُعتبر من الغباء الوقوعُ فيها، علاوةً عن ذلك لم يرِّد أيُّ مصدر أو مرجع يذكر أنَّها وجهٌ لهذا الذّمْ؛ إنّما عُرفت الشاعرة الخنساء بتأثرها الشديد بكلام الله تعالى وبالقرآن العظيم ، هذا ما أكده

[1]ينظر:أحمد يوسف التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: تحقيق: إحسان عباس،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت-،ت 1980م،ص 239

[2]ينظر:عبد الرؤوف المناوي :فيض القدير، المرجع السابق،ص187

[3]ديوان الخنساء:شرح: حمد وطباش،ط2،دار المعارف بيروت،ت1425ه،ص 100-101

الدّكتور ابن داوود الظاهري الأصفهاني (ت227ه) ؛حيث أشار إلى قضية استعانة الشعر بالقرآن الكريم وتأثرهم به ، إذ ذكر عدّة شعراء وأسماءهم وكانت الخنساء من ضمنهم مستشهدًا بالبيتين السابقين[1].

أشعار امرئ القيس كانت منارة اهتمام المُحقيقين منذ القدم، فقد اهتموا بجمع أشعاره وتحقيقها ونشرها في أكثر من نُسخة من أهمها: نسخة الأعلم الشمنتريّ و نُسخة الطوسي،السكريّ و البطليوسي وغيرها من النُّسخ كلّها خالية من الأبيات التي ذكرها تيسدال ومن تابعه.

وعليه فالمستشرق سان كلير تيسدال كان يريد استهداف الدّين الإسلامي والتشّكيكِ في مصداقيته مُحاولاً إتّباع درب الديانات والتيارات الأخرى التي كانت ولا زالت تُحاول النيّل من الإسلام ،وخلق تهمة الانتحال في القرآن ونسبه لأشعار الشُّعراء الجاهليين على رأسهم الشاعر امرؤ القيس، حتى يُوهموا بأنَّ القرآن مأخوذٌ منه ومن بعض شعراء الجاهلية.

ذكر ابن الأصبع (ت654ه) كلَّ هذه الأمور في كتابه الموسوم:**"تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر"** قائلا:**"** هناك أبياتٌ تُنسبُ لامرئ القيس خطأً ، وانّه كلام وضعه بعض الزنادقة وامرئ القيس لم يصح أنّ تلفظ بها"[2]؛ فكلُّ هذه الأمور و التُّهم كانت مُدّبرة ومُلفقة بل ومُتعمدة غرضها إيصال التُّهم لسيّد الخلق ﷺ وبالوحي الذي نوّر به الأجيال، يُضيف و يُوضح الدّكتور محمد كيسانه الأمر أكثر في قوله:" ومِنْ ثمَّ فإنَّ التّوثيق العلمي يقودنا إلى أنَّ هذه البيات ليست لامرئ القيس؛فإنْ كان للمستشرقين ومَنْ ولاهم من المُلّحدين و مُدّعي التنوير التوثيق فاليأتوا بالأدلة القاطعة ، وأتحداهم إنْ كان لهم مايُثبت ويُؤكد هذه الوقائع الدّالة على أنّها أشعار امرئ القيس وليس بكلام الله، فا ليُطلعوُا عليها ،أمَّ إنْ عجزوا ولم يفعلوا ،ولن يفعلوا ، فإنَّ هذا دليل على تهافت قضيتهم وعدم ثبوتها أمام النقد العلمي السّديد"[3].

وبهذا القول الوجيّز الضّام لكلِّ ما ورد من قضايا وآراء التي دارت حولها نختم هذا الجانب منَ الموضوع ؛ مع العلم أنّنا لو أردنا المزيد من الأدّلة لأضفنا، لكن نظرًا لوضوح الأمر و بداهته توقفنا عند هذا الحدّ.

ب)- من النّاحية العروضية:

[1] ينظر: ابن داوود الظاهري الأصفهاني، الزهراء،فصل :ما استعانة به الشعراء من كلام الله،د.ط،المكتبة الشاملة الحديثة،د.ت،ص234

[2] ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثران إعجازالقرآن ، تحقيق: د.مهدي علام،د.طان ،لجنة إحياء التراث ، القاهرة-،ت 1963م،ص 468

[3] لغة القرآن، المرجع السّابق،ص 93

منَ الأوائل الذين تفطنوا لهذه الأبيات وبأنّها مُجرّد أبيات يعتريها الخطأ على مستوى العروض ؛حتى قام المستشرق الانجليزي وليام جيمس بتوجيه رسالة لسان كلير يُعلمه فيها بأنَّ هذه الأبيات يُوجد بها خطأ في الوزن الشعري في البيت الأول .

نُحاول اكتشاف الخطأ إنْ وُجد فعلاً:

دَنَتِ السَّاعة وانْشقّ القمر

الكتابة العروضية:

دَنَتِ سْسَاعة وانْشْقْقَ لْقَمر

/// 0/0// /0/0/0/0//

فَعِلاَتُن فَعِلاَتُن فَاعِلاَتُنْ (بحر الرمل)

وله روايةٌ آخرى:

اِقْتَرَبتْ السَّاعةُ وَانْشقَّ القَمَرَ

ما يعني بأنَّ الوزن هنا سيتغيّر وينكسر، وهذا من الخطأ الفادح الذيّ يستحيل أنْ يقع فيه شاعر زمانه امرئ لقيس .

الشطر الثاني من البيت الأول:

مِنْ غزالٍ صَادق قَلْبِي وَنَفَرْ

الكتابة العروضية:

مِنْ غَزَالِنْ صَادق قَلْبيِ وَنَفَرْ

0///0/0///0/0/0//0/

فاعلاتن فاعلاتن فعلن (بحر الرمل)

الشطر الأول من البيت الثاني:

مَرَّ بِي يَومَ العِيدِ فِي زِينَتهٍ

الكتابة العروضية:

مَرْرَ بيْ يَوْمَ لْعيد في زِيْنتِنْ

0//0/ 0/ /0/0/0/0//0/

فاعلاتن مستفعلن فاعلاً (بحر الخفيف)

إلاَّ أنَّ هذا البيت ورد بصيغة أخرى مقبولة نوعًا ما وهي:

مَرّ يَومَ العِيدِ بيِ فِي زِينَتِهِ

مَرْرَ يَوم لْعِيدِ بِيْ فِيْ زِينتِهِ

0//0/0/0//0/0/0//0/

فَاعِلاتُنْ فَاعِلاَتُن فَاعِلاً

الشطر الثاني من البيت الثاني:

فَرَمَاني فَتَعَاطى فَعَقَرْ

فَرَمَاني فَتَعَاطى فَعَقَرْ

0///0/0///0/0///

فَعِلاَتُنْ فَعِلَاتُنْ فَعِلُنْ (بحر الرمل)

ومنْ ثمَّ نلحظُ التضارب في الشطرين الأوليين للبيتين ،إذْ يُعتبرُ هذا الخطأ من الأخطاء الفادحة التي لا تُغتفرُ للشاعر ،كيف لشاعر مثل امرئ لقيس أنْ يقع فيه؟

أمَّا من ناحية الأوزان فنرى أنَّ البيتين منْ بحر الرمل ، إلاَّ أنَّ الشطر الأول من البيت الثاني من البحر الخفيف .

في إحدى الروايات وردّت لفظة **"اقترب"** في الشطر الأول من البيت الأول والخطأ هنا أكثر فداحةً.[1]

من بديهيات الشعر العربي القديم أنَّ القصيدة الشعرية تلتزم ببحرٍ واحد مهما طالت أبياتُها.

ومِنْ هنا أيضًا نتأكد مُجددًا أنَّ هذه الأبيات ليست لامرئ القيس وإنما هي أشعار منحولة.

ج)- من الناحية المضمونية(المضمون):

[1] ينظر: لغة القرآن، المرجع السابق،ص97

إذا نظرنا إلى هذه الأبيات من ناحية المضمون فنجدها أبياتًا ضعيفة في الأسلوب وفي المعنى، إضافةً إلى عدم اتفاق أبياتها مع مضمون بيئة الشاعر وتختلف تمامًا والبيئة الجاهلية ، كانت الأبيات سابقة الذّكر من أقوى الأدّلة على انتحالها فكلمة" الساعة" مثلاً تفتحُ باب من التساؤلات و الاستفهام ، هل كان الشاعر هنا يقصد بها يوم القيامة وهذا الاحتمال فيه منَ التعجب والخطأ ما يستبعده؛ لأنَّ العرب في الجاهلية لم يكونوا مؤمنين بالقيامة واليوم الآخر إلاَّ القلّة القليلة التي كانت على ديانة إبراهيم عليه السلام كزيد بن نوفل .

هناك احتمال آخر لذكر الساعة وهو ربما كان يقصد بها موعد اللقاء بالحبيبة أو معشوقته، لكن هذا غير منطقي أيضا إذ أنّ الشاعر الجاهلي كان يتفنّنُ عند لقائه بحبيبته في وصفها ووصف جمالها ، ومن العبارات المتداولة آنذاك التشبيه "بالقمر والبدر" وليش بالانشقاق القمر وانفلاقه ،ما نجده عند شعراء العرب من بينهم عنتره بن شداد قائلا في وصف حبيبته عبلة:

وَبَدتْ فَقُلتُ البَدرُ ليْلةَ ثَملةِ

قَدْ قَلَّتْهُ نُجومُها الجَوراءُ

بَسَمتْ قَلاحَ ضِياءُ لُؤلُؤِ

فيهِ لِداءِ العَاشقينَ شِفاءُ[1]

ويتفنّن ربيعة بن مقروم الضبي في وصف حبيبته قائلا:

دَارٌ لِسُعْدى إذْ سعادُ كأنّها

رَشأٌ غزيرُ الطَّرفِ رَخْصُ المُفْضل

شمّاءُ واضحة الغُوارِضِ طَفْلةٌ

كَالبَدرِ مِنَ خَلَلِ السَّحابِ المُنْجلي[2]

ويقول الشاعر الأسود بن يعفر النهشلي :

وَلبيضُ تمشيِ كالبدْرِ وكالدُّمى

وَنوَاعِمٌ يَمشينَ بالإرْقَاءِ[1]

[1]ديوان عنتره العبسي: شرح: الخطيب التبريزي ،قدم له: مجيد طراد،ط1،دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان،ص21

[2]ديوان ربيعة بن المفروم الضبي: تحقيق:نووري حمودي القيس ،د.طن العدد 11،مجلة كلية الآداب واللغات-بغداد-،ت1986م،ص 81

3/ المستشرق تشارلز جيمس ليالCharles James Lyal(1845-1920م):

1.1.مصداقية جيمس:

أشار جيمس إلى المستشرق الانجليزي صموئيل مرجليوث في مقدمته للمفضليات في جزئها الثاني الذي أصدره سنة 1918م، وردّ عليه وعلى مقالته الخاصة بصحة الشعر العربي **The Origen of Arabic Portry** ،المنشورة بالمجلة الآسيوية عام 1916م،وإلى ما أورده في :"معلمة الدين والأخلاق" وكذلك ما جاء به في كتابه "محمد" سنة 1905م.

استهّل تشارلز جيمس موضوع صحة الشعر العربي القديم بمناقشة ما كتبه عن حماد الراوية وخلف الأحمر وما كُتب عليهما في قضية رواية الشعر الجاهلي وصحته،بعد التطرّق لسيرتهما ومناقشة الرّوايات التي تُنسب إليهما.

[1]ديوان الأسود بن يعفر النهشلي:تحقيق: نوري حمودي،ط1،مطبعة الجمهورية –بغداد-،ت1970م،ص29

أول ما ابتدء به جيمس هو مناقشة الخبر الذّي ورد من تجريح المفضل الضبي لحمادة الرّاوية في قوله:"وقد سُلِّط على الشعر من حمادة الرّاوية ما أفسده فلا يصلح أبدًا، فقيل له:وكيف ذلك؟ أيُخطئ في روايته أم يُلحن ؟ قال: ليته كان كذلك ،فإنَّ أهل العلم يرّدون المخطئ للصواب ،لا،ولكنّه رجلٌ عالمٌ بلغات العرب وأشعارها ومدرك لمذهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزالُ يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويُحمّل ذلك عنه في الآفاق، نتخلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالم ناقد وأين ذلك؟!".

يُعلق جيمس عن هذا الخبر وناقله-وهو أبو الفرج الأصفهاني-وصاحب الحديث –المفضل الضبي- أنّه سُند الخبر لثلاثة رواة وهم محمد بن خلف عن أحمد بن الحارث الحرَّاز عن ابن الأعرابي، مفترضا أنّ أحد هؤلاء قد حرّف هذا الخبر وزاد فيه ما زاد ؛لأننا لو سلمنا بهذا الخبر وبصحة انتسابه للمفضل فلا بُدّ لنا أنْ نتوله لشيء في غاية الأهمية وهو أنّ حماد كان معاصرًا للمفضل وربما كان يصغُره سنًّا ، علاوة على ذلك فإنّ المفضل كان من أعلى النّاس بالشعر وأقدرهم على تمييّز صحيحه من زائفه ومنحوله[1].

2.1.الادعاءات على الرواة:

أمّا الدّاعية حول أنّ الرّواة القدامى من العرب هم الذين يزعمون أنّ حمادا المسؤول عن إفساد الشعر المأخوذ من عندهم،يذكر ليال أنّ هذه الدّاعية لو افترضنا صحتها بأنّ حمادة هو المفسد والمنتحل للشعر الجاهلي ؛فإننا ننتهي إلى أنّ ما أضافه حماد يرتقي للغة الشاعر الحقيقي الأصيل المتمكن من إيصال أحاسيسه وعاطفته بنفس ميزة الشعراء الأصليين ، وبهذا يكون قد حقق شُبهًا في لغة الشعر ومذاهبه بحيث يستحيل التمييّز بينه وبين الشاعر الأصلي، والسؤال المطروح هنا: إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أنْ يُعرف أنّ هذه الأشعار موضوعة ومنحولة؟ إذا لم يكن منْ يُعرف القصيدة الأصلية من الأساس؟! ومن يستطيع ذلك غير المفضل الضبي ؟

ثمّ يتجه جيمس إلى خبرٍ آخر عن المفضل وحماد الذي يصف لنا الطريقة الحقيقية التي زعم الرّواة فيها أنّ حماد من أفسد الشعر القديم، وما ورد عن أبي الفرج الأصفهاني عن جماعة من الرّواة: أنّهم قالوا بأنَّهم كانوا مجتمعين عند أمير المؤمنين "المهدي بعيسابات" ،إذْ خرج بعض أصحاب الحاجب داعيا حماد والمفضل الضبي للرّواية فدخل،مكث مليًا ، وعندما خرج مع حماد والفضل إلينا كانت ملامح الغمّ والانكسار بادية في وجه حماد والعكس على وجه المفضل؛ أيّ كانت البهجة والفرحة والنشاط مطبوعة على وجهه، ثمّ خرج بعدهم الخادم قائلا: يا معشر من حضر منْ أهل العلم :إنّ أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حمادًا الشاعر بعشرين ألف دراهم لجودة شعره، وأبطل روايته لزيادته في أشعار النّاس ما ليس

[1] د.ناصر الدين الأسد:مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ،ط1،دار الجيل، بيروت-لبنان-ت 368،ص368

منها،ووصل المفضل بخمسين ألفًا لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أنْ يسمع شعرا جيدا مُحدثا: فليستمع لحماد، ومن أراد روايةً صحيحة فليأخذها عن المُفضل"[1].

ذكر أبو الفرج سبب هذا الحكم مفصلا ما جرى في حضرة المهدي من زيادة حمادة لبيتين قبل مطلع قصيدة زهير :

دَعْ ذَا وَعَدَّ القَوْلَ في هَرَمِ

كان رأي تشارلز في هذه الحادثة أنّها عبارة قصة تكشف لنا خلافة المهدي؛ من خلال تصريحات الرّواة القائلة بأنّهم كانوا عند أمير المؤمنين وينتهي به الشّك بأنّ حماد الرّاوي قد وافته المنية عام 158ه،وهي نفس السنة التي تولى فيها المهدي منصب الخلافة ؛ استنادا إلى أراء ابن خَلكان الذي ذكر أنّ وفاة حمادة كانت عام 155ه، وابن النديم في كتابه **"الفهرست"** قال بأنه توفي في سنة156ه.

علاوة على ذلك لا يرى جيمس أنّ تلك الإضافة التي أُضيفت لمطلع قصيدة زهير ليس فيها ما يُثبت ويؤكد صحة إضافتها وعدم انتسابها لزهير ؛لأنّ هناك مئات القصائد لشعراء تبتدئ بنفس المقدمة.[2]

ثمّ يتجه المستشرق جيمس إلى قص الحادثة المشهورة لحماد ، حيث كان يمدح بلال بن أبي بُرْدَة في قصيدة سائلا بلال عن هذا الشعر لذي الرّمة قائلا: كيف ترى هذا الشعر؟قال: بأنّه شعرٌ جيد إلاّ أنّه ليس لحماد، ثمّ اعترف حماد بأنه شعرٌ انتحله لنفسه وهو شعرٌ قديم[3] ؛ وعليه يُعلق ليال على كل هذه الأحداث بقولٍ جامع يُؤكد لنا فيه أنّ كل هذه الأحداث والقصص التي وصلت إلينا تحملُ في طياتها دلالات واضحة تنفي إفساد ووضع حماد للشعر العربي القديم ، والشعر الذيّ حمله وجمعه المفضل الضبي بأنّه منحول.

يُلخص تشارلز ليال كل المعلومات الخاصة بالشعر وبسيرة خلف واتهامه بالنّحلِ والتزييف قائلا:" إنّه من الخطأ العظيم أنْ نُعدّ هذين الرجلين – حمادًا وخلفًا- النموذجين المثاليين وهما من المحترفين الذين تولوا مسؤولية رواية أشعار القبائل رغم أنّهما من أصل فارسي، اختاروهم رواة القبائل ليكونوا القدوة لهم والوسيلة المثالية التي تمكنهم من الحفاظ على موروثهم الشعري في صدور الأمة العربية ".

3.1.عناية ليال بالشعر:

[1] ينظر: المرجع السابق، ص:369
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص370
[3] ناصر الدين الأسد:المرجع السابق،ص370

إذن فقد أعطى جيمس عناية فائقة للشعر العربي القديم والتحريفات التي أرادت المساس به، من بينهم المستشرق الإنجليزي صموئيل مرجليوث وادعاءاته، فقد ردّ عليه ابن بلده وعن آرائه قائلا له:"إذا ذهبنا كما ذهب أحد العلماء المحدثين*، إلى أنّ جميع الشعر العربي القديم هو عبارة عن نحلٍ ووضعٍ وتزييف لا أساس له من الوجود، مستدلا على القصص التي قدمنا نماذج منها ، فهو بالنسبة لتشارلز ليال ليس أكثر من مذهب مخالف لجميع وجوه هذه القضية واحتمالاتها.

إنّ حماد وخلف كانا يحاكيان أسلوبا للنظم الذي قد قُرّر واتخذ صورته النهائية قبل الإسلام بزمن طويل، وساروا على نهجه معظم الشعراء وكان أغلبهم وثنين.

شاع اعتماده وكثُّر استخدامه وسُجِّل بالكتابة في القرن الأول من الهجرة مثل: جرير والفرزدق وذي الرّمة، والأخطل ..،وقال في هذا:" لم أذكر إلاّ الذين خلّفوا لنا تُراثا شعريا كبيرًا"؛ أي أن جيمس استشهد بكبار الشعراء وأشهرهم لتكون حجته قوية وفي الصميم.

كانت الطبقة الأخيرة من الشعراء تنظم الشعر والعلماء يشرعون بجمعه وتدوينه ؛ فلا يمكن للسرقة الشعرية أن يكون لها محل في هذا العصر، ولا حتى الشّك في احتمالية وجود شعر منحول أو موضوع ؛ بما أنّ عملية التدوين والكتابة كانت قائمة.[1]

أمّا في العصر الجاهلي فلربما يكون قد حاكاه حماد وخلف، لكن المحاكاة نفسها تدل على وجود أصل يحَاكى.

وفيما يخصّ الموروث الشعري العربي الذي وصل ووضع بين أيدينا جُزِم بأنه محرّف ولم يبق على أصله ، فذلك أمر لا يُقرُّه الفهم السليم على ضوء هذه الظروف"[2]؛ لم يترك جيمس شيء ولم يذهب إليه ، فقد تطرق لكل القضايا الخاصة بالشعر العربي القديم وخصوصا الجاهلي منه ، وأعطى وجهة نظره التي كانت خاصة بالإطار البحثي في الموضوع نفسه.

4.1 .النّحل و صحة الشعر الجاهلي:

لم يتوقف ليال عند هذا الحدّ ؛ بل عاد وتناول موضوع صحة الشعر الجاهلي واستمرّ في الرّد على صموئيل مرجليوث، حيث استفتح مقدمته لديوان عبيد ابن الأبرص بمقولة مفصلة جاء في مضمونها:" بأنّ الاستنتاجات المأخوذة من هذه القصص وما جاء فيها عن حماد وخلف لا ينبغي أنْ تصُبَّ الشعر القديم في آنية الوضع والنّحلْ؛ بل ينبغي علينا وضع هذا الشعر موضوع البحث الدقيق، مهتدين بما تقدمه تلك

[1] المرجع نفسه،ص371
[2] ينظر: المرجع السابق، ص371

الرّوايات من أدلة التي وصلتنا من ذلك الزّمن، مع طول النظر والإمعان في مواضيع القصائد وأسلوبها والصفات الشخصية فيها وما يُميّزها، لنرى بعد ذلك الزيادات الدخيلة و إنْ وُجدت أصلا، و أنّ تلك القصائد التي مسها البعض من التغييّر في ترتيب الأبيات وتقديم بيت وتأخير الآخر، أو أنّها موضوعة ومنحولة حقا"[1].

كما تحدث أيضا عن موضوع النحل وصحة الشعر العربي القديم قائلا:" أما موضوع صحة هذا الشعر فأمر من الطبيعي أنْ يختلف فيه النّاس ،إذ من المؤكد أنّ شعر الأعراب في الجاهلية العربية لم ينتقل بالكتابة، بل بالرّواية،لأنّ القبائل كانت تعدّ القصائد التي تسجل انتصاراتها أغلى ما تملك ، فكانت ترويها جيلا بعد جيل ، وكانت هذه المعلومة عامة ومشتركة بين القبائل ، وكانت كلّ قبيلة تحُّط مسؤولية الحفاظ على مدخورها الشعري على الرّاوي الذي يعيه ذاكرته ،وكان يُعتنى بالذاكرة –في العصور التي يستخدم فيها الكتابة إلا في المدن ولأغراض خاصة-عناية كبيرة ، بحيث كانت تمتاز بالقدرة على الاستيعاب منها في العصر الحديث، ولا أجد الغرابة في أنْ تُتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاث.

كما أنّه من الطبيعي أن يشُّك المرء أنَّ هذه القصائد اعتراها بعض التغيير أثناء تَناقُلها فقد تُستبدل بعض الكلمات المترادفة بغيرها، وقد يُؤديّ عدم تثبت الذاكرة إلى تبديل العبارات التي نسيها، وهذا أمرٌ بديهي وواقع في كل مكان وزمان ؛ غير أنّنا حين نفحص القصائد ذاتها نجد فيها من الشّخصية الفريدة ما يكفي للاستدلال على أنّ القصائد في أغلبها من نظم الشعراء المنسوبة إليهم،مثلا : المعلقات السّبع كلُّها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة ، تعرض لنا سبع شخصيات متميّز عن بعضها من بعض كلَّ التمييّز، ونجد الأمر نفسه في القصائد الثلاث الباقية المنسوبة للنابغة والأعشى وعبيد،التي عدّها بعض النقاد من المعلقات.

تركت هذه الشخصيات كامرئ القيس (أصحاب المعلقات) طابعها على شعرهم من جموح الخيال أنْ نظنّ أنّ معظم القصائد المنسوبة إليهم مصنوعة في عصرٍ متأخر، صنعها علماء عاشوا في ظروف مغايرة تمام المغايرة وفي حياة شديدة الاختلاف عن حياة الأعراب في الصحراء العربية.

والسبب الثاني الذي يؤكد أن الشعر صحيح في جملته وليس منحولا، هو أنّ شعر القرن الأول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي ونفترض سبقه عليه: فقد استمر شعراء هذا القرن كالفرزدق وذي الرّمة يتّبعون تقاليد الشعراء الجاهليين من غير أنْ تكون بينهم فجوة؛فضلا عن أنّهم ذكروهم ف شعرهم، فقد استعملوا ذخيرتهم الشعرية مرارًا وتكرارًا متناولين موضوعات نفسها بالأسلوب نفسه محسّنين ومحوّرين ومقتبسين ، ولكنهم ظلوا متقيّدين بنفس التقاليد.

[1] المرجع نفسه، ص372

لا يوجد أدنى شك بأنّه قد وصلنا شعر هؤلاء صحيح، فقد عاشوا في عصرٍ عمَّ فيه استخدام الكتابة ودوّنت بها أشعارهم ، وإنْ كانت الرّواية لا تزال أداة نشره بين الجمهور.

والسّبب الثالث والأخير هو أنّ الشعر القديم تميّز بكثرة الألفاظ والتي كانت غريبة على العلماء الذين تصدروا عرض هذا الشعر على محك النقد، كانت تنتمي إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم وكانت غير مستعملة في زمن الكتابة القصائد وتدوين الدّواوين."[1]

لا بُدّ منْ أنْ ينتبه كلّ من اتصل بالشروح القديمة وعرفها (وهي من المعاجم التي جُمعت منها المعاجم الكبيرة فيما بعد) إلى أنّ الشُّراح –الذين اختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرًا- توصلوا إلى شرح الصعوبات بمقابلة عبارة بأخرى، وبالجدل والنقاش ، لا بالرّجوع إلى لغة الخطاب التي لم تعد تحوى الألفاظ التي يبحثون عن معناها ويريدون الوصول إليها.

تعتمدُ المعاجم كلَّ الاعتماد على الشعر القديم وعلى القرآن الكريم والحديث الشريف."[2]

لم يخرج المستشرق الانجليزي تشارلز جيمس ليال عن إطار العلمي البحث ، ولم يُخالف ما ذهب إليه النُّقاد العرب القدامى ؛ بل راح مُدعما لآرائهم بعد طول البحث والتمحيص .

كما نلحظُ بأنّه لم يُدخل الدين الإسلامي ولا القرآن الكريم بالشعر العربي القديم كما فعل الآخرون من المتنمرين على الحضارة العربية و الإسلامية.

لم تكن دراسته حاملة لأهداف سياسية ولا اجتماعية أو دينية ؛ حيث حافظ على الإطار العلمي الأكاديمي المحض.

[1] المرجع السابق،ص373
[2] المرجع نفسه،ص373-374

المستشرقون الألمان والشعر الجاهلي

المبحث الأول: آراء الألمان في الشعر الجاهلي

1/-المستشرق تيودور نولدكه" من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم.

1.1.نشأة الشعر العربي القديم

2.1.تحديد الفترات الزمانية للبدايات ونهاية الشعر العربي القيم.

3.1.القصائد العربية

4.1.قضيةالانتحال

5.1.خرافة المعلومات

2/- مناقشة آراء تيودور نولدكه

1.2.الأوليات الشعرية

2.2.الأفكار المفردة

3.2.دواعي النحل

4.2.الثراء اللغوي

5.2.الشذرات الشعرية

6.2.التصريع في الشعر الجاهلي

7.2.المعلقات السبع

8.2.قضاء الدين على الشعر الجاهلي

المبحث الثاني:برونليشBernelich

1.1.الرّواية الشفوية

2.1.الرّواية الشعرية الصحيحة

3.1.اختلاف اللهجات العربية القديمة

4.1. الشعر الجاهلي والديانات السابقة

2/- مناقشة أراء برونيلش

1.2.انقسام رواة الشعر العربي

أ)-رواية الشاعر الواحد

ب)- رولة القبائل

ج)- رواة العلماء

2.2.محاسن رواية الشعر

3.2.المستشرقون المتعصّبون

4.2.البدايات الأولى للشعر الجاهلي

5.2.موقف برونليش من المتعصبين

6.2.الرّوايات

7.2.القَسم في الشعر الجاهلي

8.2.الدّيانات في الشعر العربي القديم

المبحث الثالث:كارل بروكلمان

1. 1.أدب الأمة العربية

2.1.أهالي العرب

3.1. أولية الشعر

4.1.مواضيع الحب في الشعر الجاهلي

5.1.قوالب الشعر العربي

6.1.طبيعة الشعر الجاهلي

7.1.منهج الشعر العربي

8.1.رواية الشعر القديم

9.1.مصادر الشعر الجاهلي

2/- النقد الموجه لبروكلمان

1.2.تأريخه للشعر الجاهلي

2.2.قضية الأوزان والبحور العروضية

3.2.أصالة الشعر الجاهلي

4.2.مرحلة التدوين

أمدّنا الشعر العربي القديم بموروث شعري ثقافي وحضاري باعثا بخصاله الجوهرية عبر العصور، فأدهش بها علماء العرب والغرب،وأشعل منارته أمام المستشرقين ،تلاهفت أعينهم على البحث والامعان فيه.

بتأكيد الاستشراق الألماني لم يغفل عنه وسار في مضمار التنقيب والبحث عن أصوله وأسسه لمعرفة الكيان الحقيقي للقصيدة العربية، و البحث في بُناها الفنية وكشف أسرارها العميقة والمعقّدة ، مستفسرين عن تلك الحلاوة الفنية والبراعة الخيالية الناقلة إلينا ريّاح الفكر العربي الأبيّ وحفاظه من دنس كل فكر محموم خبيث يسهر على تحطيم [1]هذا الكم الهائل المحفوظ في صدور الرجال والمنقوش والسّاري على لسان الرواة كسيلان الدّهان، متطرقينا إلى أبرز علماء الألمان وآرائهم النقدية في خضم هذا الإرث.

1.نولدكه:من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم:

صحة الشعر الجاهلي لم تتوقف عند العرب القدامى فحسب، بل انبرى لها المستشرقون بالدراسة والنقد وإصدار أحكام متفاوتة بين الاعتدال والتعصّب، فقد كانت الرّواية الشفوية والتشبث بالمنحولات الشعرية من أبرز القضايا التي شدّت الأبصار إليها .

يعدّ المستشرق الألماني **تيودور نولدكه** أول من بادر لهذه القضية- الشعر الجاهلي القديم، استفتح دراسته **:"من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم"** والمقصود به الشعر الجاهلي ودراسته للادلاء بآرائه في المُستنتجة.

1.1.نشأة الشعر الجاهلي:

يرى نولدكه أنّ نشأة الشعر الجاهلي كلّه مبنية على بحر الرجز الأبسط شكلا، من الظاهر أنّ بناء القصيدة القديمة يُستفتح بالبكاء على الأطلال ، خير دليل على قوله قصائد امرئ القيس المحاكية لسابقيه تؤكد أنّ بناء القصيدة لم يكن قديمًا جدًّا عن مقارنة بزمانه[2].

عظّمَ نولدكه استنتاجاته وردّها لأعلى المراتب إذ صارت أجدر بالاعتماد على شهادات وأقوال أهل اللغة العربية.[1]

[1]ينظر:اكرم العوسجي: المرجع السابق، ص:21-22
[2]ينظر: عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي : من تاريخ و نقد الشعر العربي القديم للمستشرق تيودور نولدكه،المرجع السابق،ص17-18

يذهب هذا المستشرق إلى أنّ الأشكال الأدبية المنقولة قد أدت في بعض الأحيان إلى الصنعة Manier عند الشعراء القدماء ؛ ما يُثير الشّك والاتهام بأنّها لم تعد حية وأنها نشأت قبل ذلك بزمن طويل ،لانعدام وجود ولو بيت شعري واحد وثيق يعود إلى ذلك الزمن البعيد في القدم ؛ أيّ إلى ماقبل 500 سنة ميلادية.

2.1.تحديد الفترات الزمانية لبدايات ونهاية الشعر العربي القديم:

حسب تيودور فإن قضية تحديد نهاية الشعر القديم في غاية السهولة بالنسبة إلى محاولة تحديد بداياته ، مفسرًا هذه سبب هذه الصعوبة الراجع لانتقال السلطة من عصر الأمويين إلى عصر العباسيين الشّاكلة لنقطة التحول في المجال الشعري.؛ خصوصا وأنّ آخر ممثل لهذا الاتجاه هو الشاعر ذا الرّمة بناءً على رأي العرب .[2]

يرى أنّ الفترة التني يمكن التأمل فيها وبوضوح تقدر على الأقل بقرنين من الزّمن، وبهذا يقسّم ما تبقى من الأدب إلى قسمين:

أولهما: يندرج في صدر الإسلام، والثاني يُناظر أسماء العظماء من الشعراء على رأسهم: امرئ القيس ،النابغة الذبياني ، الأعشى وغيرهم.

أمّا فيما يخصّ أبطال النصف الأول فهم: جرير والخطل، الفرزدق وذي الرّمة، عمر بن أبي ربيعة الذي كان أهم الشعراء بالنسبة لنولدكه؛ لأنه الكاشف الوحيد عن تأثيره القوي في الانتقال إلى طريقة الشعر الحديثة، فضلا عن انه نموذج صحيح وموثوق للأرستقراطية القرشية ، وغيرهم من الشعراء .[3]

بعد تحديده للنهاية الشعر القديم يتجه الآن لمحاولة تحديد الفترة الزمنية التي ظهر فيها الشعر الجاهلي ؛ إذ يرى في الأمر صعوبة عظمى للغرابة التي تعتريه في ألفاظه او في ترتيب القصائد وتكرار الأفكار المفردة بين الشعراء ، ما يجعلني –نولدكه- أدرك أهم الفروقات في الاستعمال اللغوي القديم .

القصائد القديمة لا يفهمها إلا الخبراء والعارفين باللغة العربية وعلومها ،ومن أجل فهم هذا الشعر فالأمر يحتاج بالضرورة إلى زمانٍ أطول ،كما أنّ السبب الأكبر في عدم الفهم راجع للقصائد الشعرية التي لم تأتي بصورةٍ تامة وكاملة.[4]

---

[1] المرجع السابق،،ص17-18
[2] المرجع نفسه،ص18
[3] ينظر: المرجع نفسه،ص19
[4] المرجع نفسه،،ص 19-20-21

والسبب الآخر متمثل في الاختلافات الدقيقة بين لّهجتي مكانين متجاورتين، بينما نحن الغرباء تظهر لنا في بادئ الأمر نفس للهجة؛ إذن صحيح أننا لا نستطيع أنْ نُطلق الحكم الدقيق والجزم على هذا الشعر و يستحيل أنْ نصل في فهمنا إلى النقاد العرب ؛ حيث أنَ الأمر يحتاج إلى معرفةٍ بدقائق اللغة العربية والاستعمال الشعري.[1]

أدب شعب من الشعوب لا يمكن أنْ يبقى بصورته الأصلية وقتًا طويلاً دون تدوينه، كلما ازداد انصهار مادة الأدب كلما ازداد ذلك الأدب تغيّيرًا حتى يُثبّت بالكتابة[2].

كلّ ذلك يقودنا في النهاية إلى استحالة وصول الشعر المنقول إلينا عن طريق المشافهة خالي من التحريفات أو التغيّيرات ،خصوصا وأنّ مرحلة التّدوين لم تظهر حتى نهاية العصر العباسي؛ لأنّ العلماء قبل هذا العصر لم يكونوا مهتميّن إلاّ بمسامرة الباذلين بالعطاء فقد سلكوا مسلك الاستهتار وعدم المسؤولية [3]، يُعزز رأيه مُردّدًا : لا ينبغي لنا أنْ نطلب لرجل كحمادة الراوية أنْ يُدقق في آلاف القصائد التي كان يحفظها ،وأنْ يُعيد روايتها دون أدنى تغيير، طالما القصائد حيّة في أفواه الشعب فهي معرضة لكل مصائر الأدب الشعبي[4].

بسبب الثروة اللغوية الهائلة غالبا ما كانت العبارات تُستبدل بكلمات أو عبارات أخرى إمّا عن قصد أو عن غيره؛ والدليل على ذلك نجد الشاعر ذو الرّمة يشكوا من رواة قد أفسدوا شعره ؛ إذ وضعوا عبارات بنفس المعنى للعبارات وأوزان قصائده من بينها عبارة " سهر الليالي" التي ظفر بها، ما دفع به إلى ضرورة الكتابة لتأمين المحافظة على النص.[5]

3.1.القصائد العربية:

يسير نولدكه نحو التخلخل الذي اعترى القصائد وساعد على سقوط بعض الأبيات أوالتغير في ترتيبها .

يذكر أن المدرستين النحويتين المشهورتين –الكوفة والبصرة- كانت لهما روايتان مختلفتان للنص الشعري ، فالرّواة ساعدوا على الفصل في الأجزاء المنفردة والمواضيع الغزلية المتشابهة جدًّا –النسيب- أُهملت وأُضيف عليها الذوق الجماعي للمختارات الشعرية ما ساعد على تقطيع القصائد القديمة ظنًّا أنهم

[1] عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق،ص 20
[2] المرجع نفسه،ص:22
[3] المرجع نفسه،ص23
[4] المرجع نفسه ،ص22
[5] المرجع نفسه،ص 23

حافظوا على زُبّدة الشعر واستغنوا عن كل ما يمكن إهماله وتركه ؛ يُفسر هذا وجود قدرٍ كبيرٍ من الشّذرات الصغيرة في هذا المجال.[1]

ليس من الصعوبة أنْ نضُمّ أجزاء قصائد مشتركة في الوزن والقافية بأجزاء من قصيدة أخرى، الأمر الذي حدث في معلقة امرئ القيس بعض أبيات تأبط شرًّا في صورة كلامه مع الذئب.[2]

يقول:

وقُربَة أَقْوَامٍ جَعَلتُ عِصَامُها

وَعَلَى كَاهِلٍ مِنّيِ ذَلولِ مُرَحّلِ

وَوَادٍ كَجوْفِ العير قَفْر قَطَعتهُ

بِهِ الذِّئبِيَ عويِ كَالخَليعِ مُعيَّلِ

فقُلتُ له لما عوى: إنَّ شأننا قليلُ الغِنى إنْ كُنْتَ لمّا تموّلِ

كِلاَنَا إذّا مَا نَالَشَيئًا أفَاته

وَمَنْ يَحرثْ حَرثِي وَ حَرْثُكَ يَهْزُلِ

قال الزوزني في شرحه للأبيات :" لم يروي جمهورُ الأئمة هذه الأبيات الأربعة في هذه القصيد؛ زعموا أنّها لتأبّط شرًّا أعني:وقربة ، أقوام..."إلى قوله:ط وقد أغتدي..."[3].

يُصرّح تيودور أنّ الشعر العربي هو المِلكُ المشترك للشعب واسع الانتشار المتعرض لنوعٍ خاص من الأخطار ، بسبب التغيرات التي مسّت اللغة بعد مجيء الإسلام، وبسبب الاختلافات القائمة بين الشمال والجنوب، ولاتساع البلاد الإسلامية؛ أدى إلى ظهور قصائد تتسم بمخالفتها لقواعد اللغة ، مضيفًا إلى ذلك التغييرات للعبارات الدينية، إذْ وَجد هناك شعراء متأخرين ممن وضعوا لهم قصائد ونسبوها إلى شعراء جاهليين قصد نيّل القبول والحظوة.[4]

[1] المرجع السابق :عبد الرحمن بدوي :صحة الشعر الجاهلي عند المستشرقين،ص23
[2] المرجع نفسه،ص23
[3] المرجع نفسه،في الهامش،ص24
[4] المرجع السابق،ص24

4.1.قضية الانتحال:

هناك قصائد كاملة انتُحلت من أجل الوعظ أو المحاضرة أو للفخر أو بغرض الهجاء.[1]

كما أنّ هناك بعض الرّواة أرادوا إنعاش أخبارهم التاريخية عن طريق إقحام أبيات ممن يذكرونها أو أشعار من الأشعار التي ينظمونها ونسبتِها إلى قصائد صحيحة لشاعر قديم.[2]

وعليه لا يمكن للقصائد أنْ تُصحح حسب رأيه، وهذا راجع لتلك المحاولات التغيرية التي لحقت بالشعر الجاهلي، بالإضافة إلى تعدد الرّواة والرّوايات للقصيدة الواحدة لشاعرٍ معين.

5.1.خرافة المعلقات:

في الأخير يتوجّه نولدكه إلى المعلقات السبع وخرافة تعليقها على جدار الكعبة، فهذا أمرٌ بعيد ويتقبله العقل؛فلو كانت هناك قصائد عُلّقت فعلاً وأنّها مُختارة من بين قصائد عدّة في سوق عكاظ أيّام الجاهلية، وفي النّهاية تقول بأنها الأفضل من بين كلِّ القصائد التي عرضها الشعراء حسب ماجاء به العرب وما قالوه عنها.[3]

لكن السؤال المطروح هنا:" هل يُعقل أن يقبل العرب وبسهولةٍ مثل هذا الحكم، وهم الغيورون على مجدهم والحريصون على المفاخرة ؟وكأنَّ المكان غير متحيّز إلى حد تُمنح فيه الجوائز لشعراء من قبائل مضاربها بعيدة جدًّا على مكة ولا تحف بمكة المقدّسة ؟؛ أيّ سوء تقدير العرب لقبائلهم[4]!.

ثمَّ إنّ العربي ابن النّحاس يُصرح بأنّ حمادة الراوية هو المسؤول عن المعلقات السبع وهو من قام بجمعها، بعدما اختارها وفضّلها من بين القصائد الأخرى، مع تأييد من المفضل الضبي وأبو عبيدة معملا بم المثنى في حكمه وتقيّمه هذا.[5]

يُدلي بشهادةٍ في الأخير مفادها:"أنه مهما يكن وبلغت شدّة التغييرات والتحريفات في النصوص القديمة-الشعر الجاهلي-ورغم الاضطرابات التي شهدتها الرّواية العربية ،فإنّ قوة الشعر العربي البدوي وجماله تفضحه الروائح الفواحة النابعة عن رونقه الجماليّ حالها حال أناشيد هوميروس[6].

وبهذ تبقى القصائد العربية القديمة صورة حيّة للعرب القدماء التي تمدنا بفضائلهم وعيوبهم،عظمتهم ومحدوديتهم.

---

[1] المرجع السابق،ص27
[2] ينظر:المرجع نفسه،ص31
[3] ينظر:المرجع نفسه:ص34 ومابعدها
[4] المرجع نفسه،ص36
[5] المرجع نفسه،ص37
[6] المرجع نفسه،،ص39

القصائد لم تكن مُجرّد شعرٍ غرضه تقديم صورة فوق الحسية فحسب؛ بل هي أبياتٌ تحمل في طياتها وصفا للحياة الطبيعية كما في الواقع مع قليلٍ من التخيّل.

كانت حياتهم كلها رجولة وقوة يقول السعد بن نشب:

سَأغْسِلُ عَنِّي العَارَ بِالسَّيفِ جَاليًا

عَليًّا قَضَاءُ الله مَا كاَنَ جَالبًا[1]

بهذه الكلمات يمضي العربيّ الحرّ إلى ساحة القتال والموت،هذه هي الرّوح الرّجولية التي تتجلى في قصائد الأعراب القدماء ساكنيّ الصحراء.

الآن السؤال للشعب الألماني:" هل عُقد العزّم على أنْ يُغسل بدمه العار؟!"[2].

2/- مناقشة آراء تيودور نولدكه:

انطلق شيخ المستشرقين الألمان نولدكه من حديثه عن الشعر العربي القديم ؛ إذْ لاحظ وجود تشابهات باطنية وخارجية في أشعار الجاهلية والأموية، نافيا وجودها في القصائد القديمة بصدر الإسلام فلا الأغراض لاقت تغيرات ولا حتى البناء الشكلي ؛إنّ موقفه هذا يؤكد شكه في الشعر الجاهلي أصلا فقد حصر هذا الشعر بين الشعر المخضرم والشعر الأموي.

تصوير القصائد الإسلامية حسب طريقة ذكره لها تفيد بوجود شعر إسلامي لا جاهليّ وبهذا يكون قد تغافل عن هيمنة الشعر الجاهلي ناسيًّا سيادته على شعر العصور اللاحقة، فكان ولا زال النموذج الأعلى الذي يجب الإقتداء و الاحتداء به[3] .

1.2.الأوليات الشعرية:

أمّا بالنسبة لتحديد الأوليات الشعر العربي القديم والتي قدّرها ب500 سنة، نلحظ أنّه لم يأتي بالجديد وكان اعتماده مبني على أساس النقاد العرب القدامى على رأسهم الجاحظ وعبارته المشهورة:" أمّا الشعر فحديث الميلاد... وجدنا له قبل مجيء الإسلام بخمسين ومائة عام"[4]؛ والجاحظ هو الآخر قد اعتمد في تحديده الزّماني للشعر على الناقد ابن سلام الجمحي في كتابه " طبقات فحول الشعراء" المُصرّح فيها:"

---

[1] شرح دايوان الحماسة للتبريزي:التبريزي أبو زكريا،ج1،ص15
ينظر: المرجع نفسه، الهامش،ص40

[2] المرجع نفسه،ص40

[3] ينظر: علي قرش: صحة الشعر الجاهلي بين راسات العرب والمستشرقين – دراسة وصفية مقارنة- ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستر،جامعة زيدان عاشور-الجلفة-الجزائر،ت2008-2009م،ص 57

[4]: عمرو بن بحر الجاحظ: إعداد خليل الشيخ :الحيوان،ط1،ج1، دار الكتب الثقافية –أبوظبي-،ت 2014م،ص43

أنّ أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة الثغلبي في مقتل أخيه كُليب.."[1]؛ فوجود الشعر ناضج دليل قاطع لوجوده سابقٍ لهما بزمن غير مُحدد.

التمس تيودور الخصائص التي امتاز بها الشعر الجاهلي في الشعر الأموي وقال بأنه يُمثّل الاتجاه الشعبي الوثني القديم.

السؤال هنا : ما المقصود بالوثنية في حديثه؟هل كان بقصد الوثنية الدينية أم الشعرية؟

ترك الإبهام قائما والمعنى ناقصا والفكرة بدورها لم تصل إلينا كاملة.

الشعر الجاهلي ترك بصمته على مرّ العصور اللاحقة، لم تتغير تعليمه رغم حرص الإسلام على محاربة بعض الأغراض الجاهلية كالمدح والهجاء؛ بل ازدادت جدّةً في ظل الإسلام[2].

من الواضح إقرار نولدكه وبكل صراحة عن صعوبة فهمه للشعر العربي القديم –الجاهلي- القائم على الذوق الفنّي ، هو وغيره من المستشرقين قائلا:"سيكون حالنا أقل ممن يستطيعه فرنسي أو إنجليزي من الحكم على الشعر الألماني بكل صدق ؛ لأنّ الأمر بحاجة إلى معرفة دقيقةٍ باللغة العربية والاستعمال الشعري ، ما يعجز عنه أيّ أجنبي..." [3] .

2.2. الأفكار المفردة:

تطرق هذا المستشرق الألماني إلى نقطة مُحيّرة بالنسبة إليه وهي الأفكار المفردة المتوزعة في القصائد الجاهلية ، وأمام النمطية التي طُبعت نفس الأفكار بين الشعراء.

التماثل الملحوظ على مستوى القصائد سواءً على مستوى الأسلوب أو في الأفكار يدل على النحّل والوضع في هذه الفترة، لكن استنتاجه قاصر ودليل على جهل المستشرق باللغة العربية وعدم تمكنه منها.

استدرك فيما بعد خطأه قائلا:" لكن العارف الخبير يمكنه أنْ يُفرق بين التّمايز بين شعب وبإمكانه أنْ يُدرك أدق الفروقات التي لا يبلغها الوصف الكتابي"[4]؛ نولدكه صرّح بالصعوبات التي يُعاني منها المستشرقين في فهم الشعر العربي وفي الخلل الذي يواجههم عند انتزاع قطعة شعرية من سياقها ،بالإضافة إلى استقلالية كل بيت شعري بذاته وتسلسل الصور المتعدّدة في القصيدة الواحدة ، إنّها تكلف للقارئ العربي كلاً معلوما هائلاً والعكس عند المستشرق نولدكه وغيره.

[1] ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء: إعداد : خليل الشيخ، ط1 دار الكتب الوطنية-أبو ظبي-،ت2014ص39
[2] المرجع السابق،ص 19
[3] ينظر: المرجع نفسه،ص20
[4] المرجع نفسه،ص21

تصريحه حقيقيّ وواقعي ؛لأنّ عجز المستشرقين من فهم الأصول اللغوية العربية أدى إلى فهمها فهمًا دقيقًا، ما إلى إفراز نتائج لا تصلُح ولا تُثّبت أمام المنهج العلمي.[1]

3.2. دواعي النّحل:

دواعي النحل عند نولدكه تعود إلى الرّواية الشفوية التي تسببت في ضياع الإرث الأدبي للأمم ، والقصائد الشعرية العربية قد دوّنت في فترة متأخرة –في نظره-بعدما سجّلها العلماء من أفواه أعراب البادية.

أكيد أنّ الأعراب يمكن أنْ يتصفوا بالصدق والأمانة كما يمكن أنْ يكونوا وضّاعيين اصطناعيين للشعر ، يزيدون ما يزيدون ويُنقصون ما ضاع لهم ، كلٌّ حسب أغراضٍ في نفسه.

انتبه الأوائل تزايد الأعراب في الشعر من أمثال أبو عبيدة عندما كان ابن داوود بن متمم بن نويرة يتزايد في شعر أبيه عند نفاده.

أشار تيودور إلى أنّ العرب لم تشهد الحرص الشديد للحفاظ على موروثها الشعري صافٍ خالٍ من أيّ تغيير ، وأنّ هذه العملية لم تُطبق إلى غاية العصر العباسي ؛ في حين نسيّ أنّ الرواية كانت حرفة عربية يتوارثها الأبناء من الآباء والأجداد ، وأنّ هناك رواة حملوا الإرث الشعري بتسلسله السليم .

ينفي دور الذاكرة الخارقة في حظ التراث الشعري الهائل قائلا:"كيف نطالب حمادة الراوية مثلاً بالتدقيق في آلاف القصائد التي يَحفظها تدقيقًا علميًا فيزولوجيا ، وأنّ عليه روايتها دون أدنى تغيير."[2]

في حين عُرف علماء العرب بقوة الذّاكرة ، فالأصمعي كان آية في الحفظ وحمادة كذلك ذكروه بأنه يستحق هذا اللقب لإشباع حفظه وروايته.

أبا بكرٍ كان يحفظ ثلاث مائة ألف بيت شعريًا، ولازالت القائمة طويلة وعريضة لا تعدُّ ولا تُحصى[3]

.

علّق المؤلف على الرّواية الشفوية أيضا قائلا:" بأنّ القصائد مادامت ناتجة عن الرّواية الشّفاهية فحالها سيكون حال الأدب الشعبي ؛ لأن الذاكرة مهما طالت فهمي عاجزةٌ عن الحفظ دون تغيير فيما تحفظ"؛ نظرته هذه مرفوضة تمامًا لأنّ الشعر الجاهلي لم يحمل إلينا اختلاف اللهجات كشفًا أمينًا ،فلو

[1] ينظر:علي قرس:صحة الشعر الجاهلي بين دراسات العرب والمستشرقين ، المرجع السابق،ص60
[2] المرجع السابق،ص22
[3] ينظر: مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ،ط1،،ج1، دار الكتب العلمية-بيروت-،ت2000م،ص 308

شبيهًا بـالآداب الشعبية لكشف هذه الفروقات اللهجية،ولما وصل إلينا بالصورة الموحدة التي فرضتها لهجة قريش الفصحى.

4.2. الثراء اللغوي:

تحدث الكاتب عن الثراء اللغوي الهائل الذيّ تمتاز به اللغة العربية ، وهذا الثّراء بالذات هو السبب في استبدال كلمات أو عبارات بأخرى مُستدلاً بذي الرّمة الذي شكى من إفساد شعره مطالبًا بكتابته،لكنه هنا لم يُصب بحيث الشاعر ذي الرّمة شاعر إسلامي وليس جاهلي أولاً.

ثانيًا:بالنسبة إلى التخلخل في الترتيب أبيات القصائد و التكرار بين الشعراء الجاهليين المؤدي لدمج قطع مختلفة، كانت هذه الحجة نافذة النقد والتمحيص من طرف النّقاد العرب القدامى .

أمّا فيما يخصُّ تكرار الأبيات مع التغيير البسيط فيها فهو أمرٌ نسبيّ لا يطغى على كلّ التراث الشعري القديم هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى هناك بابٌ معروف لدى العرب وهو باب السّرقات الأدبية بأنواعها خصوصا في المجال النقدي، دون أنْ ننسى أنّ الشعراء كانوا يتوارثون الشعر عن أهاليهم ويتعلمونه من السّابقين؛ فالأمر بديهي أنْ يتأثر الشاعر بمن سبقوه من عائلته الشعرية أو من أساتذته أو غيرهم من الشعراء وهنا تحدث المُشابهة في بعض الأبيات.

5.2.الشذرات الشعرية:

ردّ هذا المستشرق الرّاوية الشعرية هي العامل الرئيسي في وجود قدر كبير من الشّذرات الشعرية التي لم يُعرف أصحابُها، والمعيّار المعتمد في ضم قطعتين شعريتين أو أكثر يعود إلى التّشابه على مستوى المضمون، الوزن والقافية ، مُستدلاً بأربعة أبيات لأمرئ القيس في حين السكرى يرى أنّ الأحرى أنْ تُنسب لتأبط شرًّا وهي:

وَقُربَة أقْوَامٌ جَعَلتْ عِصَامَها

عَلَى كَاهِلِ مِنّي ذَلول مَرْحَلِ

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعبرِ قَفْر قِطعَة

بِهِ الذئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيعِ المُعيّلِ

فَقلتُ له عَوى :إنَّ شَأنَّنَا

قَلِيلُ الغِّنَى إنْ كُنتَ لَمَا تَمولِ

كِلانَا إذًا مَانَالَ شَيّئًا، فَاتَهُ

وَمَنْ يَحْرث حَرْثِيَ وَحَرثُكَ يَهْزِلِ[1]

إلى حدّ الآن لم يأتي نولدكه بالشيء الجديد ؛ حيث أن العلماء القدامى كانوا سبّاقين للبحث في هذه الأبيات ولم يَروها جمهور الأئمة في معلقة امرئ القيس وزعموا بأنّها لتأبط شرًّا.

إذن هنا استند على آراء العرب القدامى ولو لا نظريتهم لما نظر لشيءٍ من هذا القبيل.

6.2.التصريع في الشعر الجاهلي:

انتبه إلى التصريع ويرى أنّ الأبيات المُصرّعة تصلحُ في العادة لمطالع القصائد القديمة ، وهذا صادفنا بيتًا مُصرّعًا في وسط القصيدة فهذا معناه أنه بداية لقصيدةٍ جديدة أُدّمجت مع أخرى تناسبت معها في المطلع والمعنى والقافية قائلا:"لا نملك العلامات الباطنية أو الخارجية دومًا لفكَّ القصائد وتصنيفها،لكن نجدُ وسيلة أو علامة أخرى المتمثلة في اتفاق حرف العروض مع حرف الرّوي، إذ لو حدث هذا في وسط القصيدة لكان خير دليلٍ على أنّ الشطر الأول المُقفى هو مطلع لقصيدةٍ جديدة"[2].

يُعزّز نولدكه رأيه ويُثريه من أحد عمالقة شعرنا الجاهلي وهو امرؤ القيس ومعلقته

البيت الأول:

قِفَا نبكيّ منْ ذِكرى حبيبٍ ومنْزِلِ

بسقطِ اللوى بين الدّخولِ فحوْمَلِ

البيت التاسع:

اَفاطِم مهلاً بعض هذا التّدللِ

وإنْ كنت قد أزْمعتُ صَرميِ فأجْمَلي[3]

ومعلقة عمرو بن كلثوم:

البيت الأول:

ألا هُبّي بصحَنكِ فَأصْبحنا

و لا تُبقي خُمورَ الأندرينا.

[1] المرجع السابق،ص 22

[2] المرجع نفسه،،ص23

[3] مفيدة قميحة: شرح المعلقات العشر،د.ط،دار مكتبة الهلال -بيروت-ت:2003،ص59-62

البيت التاسع:

قِفِي قبْلَ التّفرقِ ياظعينَا

تُحبِرُكِ اليّقيّنَ و تُخبِرِينَا[1]

التّغييّر المحلوظ في لغة القبائل الأجنبية والخلف حسب الكاتب أدّت إلى الاختلافات اللغوية مقصودة؛ يقصد بكلامه توحيد لهجة قريش الفصحى للغة العرب؛ إذْ أنّ اتساع البلاد وانعزال مضارب القبائل عن بعضها أكيد هذا يُشكِّل العديد من الفروقات اللهجية.

لكن تيودور يؤكد على الفروقات الدّقيقة التي لم تصلنا في صورتها الحقيقية –في رأيه- إلى عصر التّدوين الذي أعطى صورة إعرابية مخالفة تمامًا لصورتها الشفاهية الجاهلية[2]، وحسبه فإنّ سبويه ونحو الخليل مُخالف أيضا للنحو في الجاهلية الشفهية!

ربما نسيّ نولدكه أو أنّه لم ينتبه للرّاوية الشفوية والرّواج الذي حققته ساهم في مواصلتها وعدم انقطاعها بين الجاهلية والإسلام، فهي سلسلة موصولة الحلقات لم تشهد انقطاعًا حتى زمن التّوين ؛وعليه فالرّواية الشفهية المتواترة حفظت لنا ضبط الحركات وبشكل سليم علاوة على ذلك بفضلها تمّ الإظهار الإعرابي وبحركاتٍ مضبوطة، سواء من النصوص أو من القرآن الكريم أو حتى من الشعر .

والقرآن الكريم احتضن اللغة الشعرية الجاهلية الفصحى وضبطها ضبطا لا يحيد عنه العربي و الأعجمي.

وبهذا نتوصل إلى أنَّ طرحه وتقويمهللرّواية الشفوية لم يُصيب إلى أبعد الحدود كما صوّرها.

يعود هذا المستشرق الألماني للتنويه عن الرّواية الشفهية والرّواة ،رادًّا كل التغيّيرات التي طرأت على الشعر الجاهلي مردها إلى الرّواية الشفوية، فديوان امرئ القيس مثلا لا يرى فيه أيّ صورة تُطابق الصورة الأصلية لتلك الحياة ، وعليه يرُّده في قالب النّحل والوضع؛ إذ النظرية ذاتها لدى النّقاد العرب من بيّنهم الأصمعي.

يرى أنّ كل الذي وصلنا وكلَّ مابين أيدينا من ذي القروح-امرئ القيس- فهو من حماد الراوية إلا نتفًا سمعناها من الأعراب وعمرو بن العلاء.[1]؛ والمقصود هنا كثر النّحل في أشعار امرئ القيس خصوصا وأنّ مصدرها من حمادة بالانتحال الأشعار والزيادة فيها.

[1] المرجع السابق،ص 235-236
[2] ينظر:المرجع نفسه،ص 25-26

كذلك الناقد المزرباني نجده يُردّد أنّ الكثير من شعر امرؤ القيس ليس لـه ،وإنما راجع لفتيان كانوا برفقته مثل عمرو بن قميئة وغيره[2].

يجزم نولدكه بأنّ الشعر القديم مهما فعلنا جاهدين في الحصول على النّص الشعري الأصلي يستحيل أنْ نُحقق هذا المطلب؛ والسبب واضح مادامت الرّاوية الشفوية طالت وأخذت زمنًا بعيدًا مع صعوبة الاستعمال اللغوي عند الشعراء المختلفين يزيد الأمر استحالةً على استحالة.[3]

في آخر حديثه عن الرّواية وصحة الموروث العربي القديم يقرّ بصعوبة هذا البحث والعمل فيه جدّ شاق ، والأجدر به هم النّقاد العرب المتمكّنون من شؤون اللغة العربية والشعر الجاهلي ، فبصيرتهم تُعينهم على فهم المنحولات وترتيب القصائد عكس المستشرقين لأنهم فعلاً عاجزين عن هذا الأمر.[4]

2.7.المعلقات السّبع

يختم هذا المستشرق بحثه في الميدان الشعري القديم بتفنيد ودحض المعلقات السّبع وقصة تسميتها، فقد أطلق عليها اسم "خرافة المعلقات"؛ إذ أدّلى أنّ الشواهد عليها رديئة للغاية،وعندي فالخبر فيه من الشّك الكثير خصوصًا وأنّ النقاد القدامى لم يذكروه..."[5].

أسطورة كتابة المعلقات بماء الذهب لا علاقة لها بالصحة، مُستندًا في هذا على رفض أحمد بن النحاس لنفس الفكرة.

لم يضع نقطة انتهاء عن حديثه دون ذكر الثّناء والإعجاب بالقيم لتي ينفرد بها الشعر الجاهلي، خاصة طابع الرّجولة والقوة المُسيطرة على أغلب نصوصه، باعثًا رسالة استنهاض للشعب الألماني إذ يبدو إعجابه بالفحولة العربية وتمنيه أنْ يُقتدى بها شعبه الألماني.

أشاد بعظمة الشعر القديم وصور جماله وصدقه العاطفي وعفويته في وصف الحياة والطبيعة[6].

دراسة تيودور نولدكه للقضية الشعر العربي القديم وبالتحديد الجاهلي لا يخلوا من الحذر والتّردد في طرحه ،بصفته أوّل مستشرق تناول القضية فالأمر واضح وضوح الشمس، في حديثه عن الشعر وحصره بين الشّعرين المخضرم والأموي فقد تسلط الشّك على أفكاره .

---

[1]ينظر:أبو الطيب اللغوي:مراتب النحويين:تقديم وتعليق:محمد زينهم ومحمد عزب،د.ط، دار الآفاق العربية-مصر-ت2003م،ص 94

[2]أبو عبد الله بن عمران المزرباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء ،د.ط،جمعية الكتب العربية-القاهرة-1343ه،ص34

[3]المرجع السابق،ص29

[4] ينظر:علي قرس:صحة الشعر الجاهلي بين العرب والمستشرقين،نفس المرجع، السابق ص65

[5] ينظر: المرجع نفسه،ص 35

[6] المرجع نفسه،ص 40

8.2.القضاء الدين على الشعر الجاهلي:

يُقرّ بقضاء الإسلام على جزءٍ لا يُستهانُ بـه من أشعار الجاهلية التي تحملُ صور الوثنية وعبادة الأصنام، كما نفى جملة الأشعار التي تتضمن قصص الإسلام السابقة مثل: قصة عاد وثمود.

أمّا إذا أوصل الرّواة أخبار النصوص والناشرين والنّساخ ؛فإنّ الأمر يقضي بالضرورة إلى زوال الإرث الجاهلي ،وانصهار كل تعاليمه الأساس.

يظهر التضارب في أفكاره فهو يُقرّ بعظمة الشعر الجاهلي تارةً، وينفي وجوده تارةً أخرى.

إلاّ أنه امتاز بالموضوعية وحاول التّمسك بالإطار البحثي العلمي،فتردده هذا والحذر في طرح الأفكار ومناقشتها بالاعتماد على منهج النّقاد القدامى دليلٌ على محاولته قدر الامكان أنْ تكون دراسة موضوعية بعيدة عن الأضغان أو السياسة أو السياسية التّعصبية.

المبحث الثاني: المستشرق برونيلش أيريش(1892-1945م):

صحة الشعر الجاهلي:

يُعدّ برونيلش من بين أهم المستشرقين الذين أبدوا عناية فائقة العلّو في دراسة الشع العربي القديم وصحة الجاهليّ منه.

1.1.الرّواية الشفهية:

استفتح مقالته بالحديث عن الرّواية الشفهية التي يعتبرها الفخر الذيّ تُوّجَ به العرب قائلا:"إنّ استمرار رواية الأشعار على الطريق الشفوي الخالص من الأمور المسعدة، حتى ظهور الكتابة و برامكة الورق وما نتج عنها من كُتب علمية وأدبية ثمينة، ظلّت الرّواية الشفوية من الأستاذ إلى التلميذ قائمة لوقتٍ طويل ح ليس هذا فحسب بل اعتُبرت المثل الأعلى للتحّصيل العلمي والإسلامي ؛ لأنها الوسيلة التي تضمن القراءة الصحيحة للنصوص العربية الشعرية"[1].

2.1.الرّواية الشعرية الصحيحة:

يرى برونيلش أنّ الرّواية الصحيحة للشعر الجاهلي ظهرت ابتداءً من القرن الثالث الهجري تقريبا، فمسألة الثّقة في الرّوايات الشعرية قامت منذ اللحظة التي تفوّه بها الشاعر حتى اللحظة التي صار العلماء يذكرونها في مجاميعهم ومحاضراتهم ،غذ صارت موضوعهم المرتبط بالإنسانية ،مُقدّرًا تلك الفترة الزمنية بحوالي 200 عام قبل مجيء الإسلام[2].

3.1.اختلاف اللهجات العربية القديمة:

أمّالغة الشعر العربي واختلاف لهجات الجنوبية ؛فإن هذا معناه أنّ الدول لم تُشارك في الثقافة المشتركة للشعر البدو، ولا يعني هذا أنّ الشعر كان مشتركا بين الأفراد.

فالعرب في هذا العصر الموغّل في القد كان أغلبيتهم يتكلمون أزيد من لغة ، ليس بسبب الإسلام الذي تصعب فيه مبالغة القبائل من الجانب التأثيري.[3]

[1] عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي: برونيلش، المرجع السابق،ص130-131
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص132
[3] المرجع نفسه،ص132

اللغة العربية الجنوبية ليست مُجرّد لهجة فقط بل هي لغة سامية قائمة بذاتها والانفصال الرسمي للممالك العربية الجنوبية عن الشعر البدوي، يُكسر كلّ بواعث الاستغراب والتّعجب.

أمّا اللهجات العربية الشمالية العديدة فكان بوسعها أنْ تجتمع وتُشكل هي الأخرى لغة فصحى عالية[1].

إنّ هذه اللغة العالية السامية التي تُشتق منها اللهجات لن يكون مدلولها إلا شيء واحد وهو أنّ الأخبار العديدة كانت صريحة بالطريقة التي جاء بها النّحويون واللغويون المتأخرون.

الفروقات ستظهر لو أنّنا اتبعنا العلامات الصوتية ورسمناها بالشكل الخاص ، ليس بالعلامات الثلاث المعروفة فقط(الفتحة،الضمة والكسرة) كما تجري العادة.[2]

بدايات ظهور اللهجات اللغوية تمكننا من دحض الأكاذيب الزّاعمة بأنّ الشعر الجاهلي مكتوب بلهجة القرآن.

يذكر برونيلش أنّ مختلف الرّوايات متفاوتة،وأغلبيتها تستحق الثقة والرّقي لدرجة دخولها التاريخ،.

لا ينفي هذا وجود رواة نالوا سُمعة سيئة، لكن مع ذلك تبقى الراوية ذات قيمة عالية لا يمكن تقديرها بالكم المعرفي التي زودتنا به عن أحوال العرب في العصر القديم.[3]

4.1..الشعر الجاهلي والديانات السابقة:

تناول أيريش الشعر الجاهلي من ناحية عدم إفصاحه عن الديانات السابقة مُرجحًا الأمر لاستبعاد العلماء المسلمين الشعر الذي تُذكر فيه الوثنية وعبادة الآلهة ؛إلا أنّ ذلك لا يتطلب كثرة المبالغة في تلك التغيّيرات، لأنّ أهل البدو عُرفوا بقلة تدينهم لذا لا يجدر بنا أنْ نجعلهم في مستوى الشعوب المبنية على النقوش العربية الجنوبية ، فضلا عن عدم تطابق شعرهم والحياة المُعاشة الكاشفة للوقائع الحقيقة إذ نظر إليها بوجه خاص وله نمط أدبي معين.

لما اشتركت اللغة والوزن بين اللهجات و أصبح ثبوتها جوهريًّا، صارت الموضوعات المطروقة مشتركة بين الشعر وثابتة نسبيًّا .[4]

[1] المرجع السابق،ص132
[2] المرجع نفسه،ص133
[3] ينظر:المرجع نفسه،ص137
[4] :المرجع نفسه،ص 138

استند برونليش بالمستشرق جاستل Gaskel صاحب كتاب المصير في الشعر الجاهلي،لافتراضه أنّ الأوتان حاملة لخصائص القبائل فهي لم تكن أبدًا مألوفة وظاهرة في الشعر ، في المقابل نجد الاعتقاد بالمصير وعلائم البخث Omina كان ظاهرا ومشتركًا.

وعليه فالفظة "الله" التي جاءت مرارًا وتكرارًا في الشعر الجاهلي لم يكن بالأمر الغريب الذي يسموا لدرجة الطعن في صحة بيتٍ من البيوت الشعرية –الجاهلية- ، أو بالأحرى الرّسم (الإله) هذا إنّ لم يكن أيضا في التّصور.[1]

حتى بالنسبة لوجود بعض الآيات القرآنية مذكورة حرفيًّا في بعض الأشعار فإنّ الأمر يتطلب الفحص عنها وعن السيّاق الواردة فيه مع البحث عن الشاعر واسمه مع التنبيه عن كلّ حالة مثلها ما طلبه المستشرق ألفرت وهو يصدقه القول ، إذ تجب إلزامية الأخذ برأيه ؛فليس كل المواضيع التي ورد فيها الأسلوب القرآني لا تدل على اعتماد تلك الأشعار على القرآن وعلى أنها إسلامية ، من الممكن أنْ تكون أسطورة من الأساطير الأوليين الشائعة أيّام الجاهلية التي أخذها أهل مكة الكفار من الوحيّ المنزّل على النبيصلى الله عليه وسلم[2] .

ذهب برونليش إلى استمرار الشعر المروي في إطار التجمع التقليدي للموضوعات المُستهلّة بذكر الغرام وتجاربه العدّة، انتقالاً للرّحالات والأسفار المختوم بالتّفاخر وذكر الأعمال البطولية الحاملة في الغالب الطبوع اللأخلاقية بالمقارنة مع في الآيات الكريمة(224-226) من سورة الشعراء السّابقة بالذّكر.

يتضح و على نحوٍ منطقي أنّ أبرز ترتيبات النماذج الثلاثة المزعومة لا تتفق تمامًا مع ما ورد القرآن ،يقول بأنه شعر ومن غير المحتمل أنْ يتخذ الملمون شكل الشعر الممنوع بصراحة وفقا لنموذج كلمتين، ويرتفعوا بها لمرتبة عالية أولى وأفضل من الادعاء بأنّ القرآن في هذه المواضيع أو تلك يُجادل ضدّ شيءٍ عتيد على نحو فاتر.[3]

فضلاً عن ذلك فإنّ تصوّر نماذج للقصيدة لم يكن بالأمر العجيب أو الغريب على الشعراء.

كلّ المراثي الشعرية تسودها روح الوثنية الدّالة على أنّها صور من بقايا الجاهلية دليل على أنها نتاجّ للحضارة الإسلامية ، نفس ما كان بالنسبة إلى الحثّ على الانتقام وتمجيد المنازعات بين القبائل ،

[1] المرجع السابق،ص 138
[2] المرجع نفسه، ص140
[3] المرجع نفسه،ص 140

مما جعل الإسلام الناشئ من أهم واجباته حث المسلم القضاء على هذه الظواهر والآفات أو السّعي على حذفها من الذاكرة الاجتماعية [1].

يختم برونيلش مقالته بالحديث عن الأشعار الجاهلية - وربما كلّ الأشعار السابقة على العصر الأموي- منحولة وموضوعة ،و أنها صُنعت على الأبكر في العصر الأموي.

الأمر مُبهمًا لماذا فضّلوه علماء اللغة الذين ازدهروا في نفس العصر باعتبار اللغة أداة مساعدة للتّفسير القرآني ؟ ولماذا فضلوا الاستشهاد من الشعر الجاهلي وليس من الشعر الأموي؟ لأنه لن تكون لغة الشعر الجاهلي أقرب إلى القرآن من الشعر الأموي.[2]

يرجع لمحاضرات المستشرق انولتمنE. Littmann عن " ألف ليلة وليلة في الأب العربي" المُستنتج أنّ العربي حقا في هذه المجموعة إلى جانب اللغة،هو في المقام الأول ماتناثر فيها من قصائد وأبيات وفيرة.

لا نُنكر أنّ عددًا لا بئس به من القصائد الواردة في كتاب ألف ليلة وليلة ترجع للعصر الإسلامي المتأخر، لكن ذلك التفكك الكثير الحدوث بين القصص والأبيات الواردة في ثناياها دلالة على وجود بقية الشكل التقليدي، واستمرار الأسلوب الأدبي لأخبار أيّام العرب الممزوجة بأشعار الجاهلية.[3]

2.2- مناقشة أراء برونيلش:

بعد طول الدّراسة و الامعان في مقالة المستشرق الألماني أيريش برونيلش اتمسنا في نظرياته نوعًا من التأييد النقدي العربي، سنُحاول تبيان الرأيّ النقدي الخاص به.

تبنى موضوع الرّواية الشفوية للشعر العربي القديم مُعتبرًا إيّاها ميّزة جليلة تقدّس بها العرب عن غيرهم من الشعوب؛ إذ ساهمت هذه الأخيرة في حفظ الموروث العربي والأدبي شعرًا ونثرًا.

[1] المرجع السابق،ص 141
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص141
[3] ينظر: المرجع نفسه،،ص142

كان صادقا بتعظيمه العرب لاعتمادهم على الذاكرة لحفظ ما يروى نفس ما تحدث عنه الناقد ابن قتيبة حينما قال:" ليس لأمة من الأمم إسناد كاسنادهم"؛ فبرونليش يوافق ابن قتيبة الرأي، إذ لا يمكن لأيّ كان إنكار فضل تلك الرّوايات المتوارة على جمع المصادر العربية .

القصائد الجاهلية من أعظم ما ارتقى به العرب و مازالوا يتباهون به ليومنا هذا يقول في هذا الناقد عبد اللطيف حمودي الطائي:"معظم الشعر العربي قِيّل قبل مجيء الإسلام الواصل إلينا عن طريق الرّواية "[1].

وقد تطرقنا فيما سبق إلى تداول الرّواة الرّواية عن بعضهم وكيف كان الشعراء يجعلون لهم راوية خاص لحفظ أشعاره ونقلها للغير.

السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تحفظ أزيد من اثني عشر ألف بيت شعري للبيد بن ربيعة ، ليس هذا فحسب بل كانت تُشجع المسلمين على تعليم أولادهم رواية الشعر قائلتًا:"راوو أولادكم الشعر تعذّب ألسنتهم".[2]

حتى الإمام صلاح الدين الأيوبي كان يحفظ ديوان الحماسة لأبي تمام إلى أنْ تم تدوينه في العصر الأموي وبداية العصر العباسي .

-1 انقسام رواة الشعر العربي القديم:

ينقسم رواة الشعر العربي القيم لثلاث فئات:

أ)-رواية الشاعر الواحد:

يختصوا رواة هذه الفئة برواية شعر لشاعرٍ فريد إذ يُذيعون شعره فقط دون غيره يُعرف هذا النوع من الرّواية باسم " رواية التّلمذة"؛ إذ يتعلمون من خلالها نظم الشعر وقوله.

معظم هؤلاء -الرّواة- يكونون من نسل الشعراء إمّا من أبنائهم أو أبناء إخوانهم،أوأبناء إخواتهم.

من الشروط التي لا بُدّ أنْ تكون في الرّاوية هي قوة الذاكرة والقدرة على الحفظ السّريع.[3]

ب)- رواة القبائل:

[1] ينظر: عبد اللطيف حمودي الطائي: اشكالية الرّواية والرواة: دراسة في رواية الشعر العربي قبل الإسلام،د.ط،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-،ت1971،ص 10

[2] المرجع نفسه،ص10

[3] المرجع السابق،ص 10-11

وهم أوسع حفظًا وأكثر قدرةً على الحفظِ والاسترجاع ، يُدلي ابن قتيبة رأيه قائلا:" والشعراء المعرفون بالشعر عند شعرائهم وقبائلهم في العصر الجاهلي الإسلامي ، يُحيط بهم أكثر من محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ،ولا أحسبُ أحد من علمائنا استغرق قبلية حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه، ولا قصيدة إلاّ رواها"[1]؛ تتضح هنا نقطة مهمة وهي أنّ رواية القبيلة بكلّ ميزاته ، لا نقصد أنْ يحفظ كلَّ شعر قبيلته مستحيل.

ضرب ابن قتيبة خير مثال ديوان الهذليين ، فالديوان يحتوي حوالي ثلاثة آلاف بيت شعري،في حين وُجدت أخبار تُصّرح بحفظ الإمام الشافعي أكثر من عشرة آلاف بيت من أشعار هذيل؛ وابن الجني استدرك بدوره عدّة مئات من الأبيات لديوان هذيل إذ يمكن لشاعر القبيلة أنْ رواية لأحد الشعراء من ضمن مجموع أشعار القبيلة.[2]

دون التغافل عن الرّواة المخضرمين ودورهم في نقل القصائد المروية بالتفصيل وبذكر تاريخ وقوعها والحادثة التي أدّت أو كانت السبب في روايتها أو تأليفها فالرّواة المخضرمين كان لهم الحظ الأوفر في نقل أعار قبائلهم إلى العصور اللاحقة،ذكرهم السجستاني في كتابه المعمرين والوصايا من أمثال ابن عبيدة بن الأبرص راوية شعر قبيلة أسد صاحب الإمام علي عليه السلام، وعلي بن علقمة بن عبدا رواية شعر تميم.[3]

ج)-رواة العلماء:

العلماء الذين تجسّموا عناء السّفر والتّرحال للبوادي والقفار باحثين الشعر لأخذه من أفواه الرّواة والأعراب ومن الشعراء وعائلاتهم.

ظهر هذا الصنف من الرّواة أواخر العصر الأموي والعصر العباسي الأول ،ما دفعهم للبحث عن الإرث الشعري وأخذه من المصادر السابقة.

تميّز هذا القسم من الرّواة بتدوينهم الشعر في الرّفوف و القراطيس، واهتمامهم بأدق الأمور المتعلقة بالرّواية من حيث التّقديم والتّأخير والزيادة الشعرية أو نقصانها.

[1] ينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء،ط1، دار الكتب العلمية –بيروت- ت1971م،ص 4.
[2] ينظر: عبد اللطيف حمودي الطائي ، المرجع السابق،ص-11-12
[3] المرجع نفسه ،ص 13

جعل هؤلاء الرّواة لكلٍّ منهم مكتبة خاصة ، يضعون فيها الشعر المجموع في رحالاتهم المكركبة إلى البوادي منهم أبو عمرو بن العلاء كانت مكتبته الشخصية تملأ سقف البيت[1]، في هذه الفترة التي تُعتبر فترة الرّواية الصحيحة بالمسبة لبرونيلش والتي حدّدها في الثالث الهجري تقريبا.

2.2.محاسن الرّواية الشفوية:

من خلال ما سبق ذكره يمكننا انْ نستخلص محاسن الرّواية الشفوية :

نقلت الشعر من عصرٍ لآخر بشكل أمين للغاية ظهور الكتابة وتم تدوينها بشكلٍ دقيق.

نقل أيّام العرب مآثرها و انسابها بأمانة مطلقة.

لها كلّ الفضل في معرفة المواقع الجغرافيا للقبائل في الجزيرة العربية والذي ساهم بدوره في تزويدنا بأخبارهم وطريقة حياتهم الاجتماعية والدينية.

استدركنا العلاقة العربية بالأمم المجاورة كالفرس والروم.

مثلت الرّواية الوجه الإعلامي والثقافي للعرب بصفةٍ عامة وللشعر بصورة خاصة.

الرّواية الشفوية بمثابة نادٍ ثقافي نقل إلينا طبائع أبناء القبائل في تبادلهم الأخبار والأشعار وسماع المُناظرات، في الأماكن المعينة إمّا الغدران و مساقط المياه أو في موسميا أو في الأسواق .[2]

أبدى الدّكتور فاروق خورشيد رأيه في أصل الرّواية العربية في حديثه عن مراحل دراسة الرّواية العربية:" الواقع أنّنا بإمكاننا أنْ نُقسم الرّواية العربية لمراحل عدّة، فمرحلة ظهورها الأولى تبدأ من العصر الأموي بنقل الكتب الأخبار واستمرّت لغاية العصر العباسي (...)

هنا تظهر خصائصها وتُبيّن ملامحها في كتب وهب بن منبه، ومرحلة التأليف المعاصر التي ظهرت في أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، من أسمى المؤلفات وأعظمها مؤلف كليلة و دمنة، وسيرة ابن إسحاق التي قدّمها ابن هشام للأدب العربي ، ثم تظهر مرحلة القصص الشعبي المجمع في أمثال كتاب كليلة و دمنة"[3]؛ إذن فقد بيّن لنا فاروق خورشيد المراحل الأولى لانطلاق الرواية العربية و بالتفصيل، وهي حسبه السبب الرئيسي في توصيل الإرث العربي وتأسيس فنٍّ يُدعى "بالفن الروائي".

[1] المرجع السابق،ص13
[2] المرجع نفسه،ص 15
[3] ينظر: فاروق خورشيد: في رواية العربية،ط2،دار الشروق-بيروت-،د.ت،ص75

يرى بأنّ سيرة عنتره العبسي وذات الهمة والظاهر بيبرس وحمزة بهلول هي من العمال القصصية التي جاءت في إطار الرّواية العربية جسّدها هذا الفن االروائي.[1]

داعم رأيه العديد من النقاد المحدثين قائليين:" ليس من المعقول أنْ يصل لون من ألوان الأدب لدى أمةٍ من الأمم جون أنْ تكون الرّواية مصدرًا له؛ وعليها نشأت الرّواية العربية الحديثة وكانت على صلةٍ وثيقةٍ بالتراث العربي القديم الناقل لسيرة عمالقة السيّر الشعبية كسيف بن ذي يازن وعنتره بن الشّداد..."[2].

التراث القديم هو منبع الفن الروائي الظاهر مؤخرًا، فالحديث عن سيرة ابن اسحاق كأنما نضع عملةً في مكانها المناسب، ويُعنى به قمة الأعمال القصصية الإسلامية ، فهي المثل المتكامل الذي يعكس صورة من صور الرّواية الشفوية؛ بل نستطيع أنْ نجعله ولوحده مكيال انتقال الرّواية قبل الإسلام بمثلها وأبطالها ، وتعكس التطوّر الذي لقته و نمت به عبر العصور ليومنا هذا [3]، فصّل الناقد خورشيد في الرّواية الشفوية العربية وقدّم الدلائل القاطعة لتبيان دورها الفعّال في تزويدنا بالموروث الشعري و أدبي بأنواعه،كما بيّن مراحل تطورها عبر العصور إلى حدّ وصولها اليوم كجنسً روائي متكامل.

المستشرقون المُتعصبون:

المستشرق الوردWill Alwardt: ذكر في كتابٍ له الشعراء الستة الجاهليين عام 1870م، أنّ السبب الرئيسي للشك في كلّ ما صدر عن كتب الأدب كحماسة أبي تمام والأصفهاني " الأغاني" والمعني للسيوطي، نجد فيها قصائد كثيرة تُنسب لشاعر وآخر،كل هذا لانعدام الكتابة في العصر الجاهلي ، ومسافة مائة وخمسين عامًا بين الرواية الشعر وجمعه وتقييده أدّت إلى وجود أغلاط و مغاليط مقصودة، ومادامت روايتها عن طريق المُشافهة فهي مُزيفة.[4]

البدايات الأولى للشعر الجاهلي:

يرى **أيريش**Irish أنّ البدايات الأولى لظهور الرّوايات الشعرية كانت في القرن الثالث الهجري.

أمّا بالنسبة لظهور الشعر الجاهلي فيمكن تقديره حسب المصادر بحوالي 150سنة إلى 200 سنة قبل ظهور الرسالة االمحمدية ؛ إذ أنّه متفق مع التقدير العربي لابن سلام والجاحظ، وابن قتيبة، في تحديد زمن ظهور الإرث الشعري الجاهلي.

[1] ينظر:المرجع السابق،ص75

[2] ينظر:أحمد سيد محمد : الروائية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب،د.ط،دار المعارف-بيروت،ت:1985م،ص 23-24

[3] ينظر: فاروق خورشيد،المرجع نفسه،ص205

[4] ينظر:د. يحيى وهيب الجبوري:المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك و التوثيق : ، ط1، دار الغرب الإسلامي-بيروت- ،ص 22-23

موقف برونيلش من المُتعصبين:

وقف هذا المستشرق الألماني ناقدًا لآراء المتعصبين حول اختلاف اللهجات العربية من الجنوبية إلى الشمالية؛اعتبروها نقطة ضعفٍ بل شك في وجود شعرٍ يُدعى بالشعر القديم قبل الفترة الإسلامية. من بينهم المستشرق الإنجليزي صموئيل مرجليوث وقد فصلنا الأمر سابقا ، والمستغرب الدّكتور طه حسين يرى أنّ اللغة لم تكن موحدة بين القبائل قبيل الإسلام خصوصًا في عدنان و قحطان، وذلك الاختلاف على مستوى اللّهجات يؤدي بالضرورة الحتمية إلى الشك في مصداقية الشعر الجاهلي وكيانه.[1]

لكنَّ الولهة تقودنا إلى التفطن لأمر لإغفال عنه لا يصح، وهو أنّ د.طه حسين شكّ وتسأل حول الشعر العربي القديم بسبب الاختلاف اللهجي راجع لعدم انتهاء العلماء من ترجمة كل الكتابات القديمة المعثور عليها يؤكد شوقي ضيف :" عندما آثار طه حسين تساؤلاته منذ سبعين عامًا مضت عن الشعر الجاهلي واللغة العربية الفصحى ، لم يكن علماء اللغة ورجال الآثار قد انتهوا من ترجمة ودراسة كتابات القديمة التي عُثر عليها في بلادنا"[2].

في حين نجد منْ أنكر ذلك الاختلاف من أساسه كالشيخ محمد الخضري لم يعترف بوجود اختلاف جوهري بين الغة حمير وعدنان ويردّ على طه حسين :"إنّ هذا الاختلاف لا يُفيد في شيء!لأنّ القحطانيين هم منْ أبناء سبأ بن يعرب ثم من كهلان*، ومنهم اللخميون ملوك الحيرة، والغساسنة ملوك الشّام، وسكان يثرب وغيرهم من قبائل الأزد، وممن هاجرو بطون طيئ وهم سكان الجبلين أجا وسلمى ، وبطنٍ من كندة الذين ملك بنودهم على قبائل من عدنان...أفليس هذا بكافٍ لأنْ تتمازج اللّهجات وتتحد الألسنة ؟"[3]؛ أعطى الخضري وبيّن اختلاف القبائل العربية الجاهلية ما سهّل عليهم فهم شعر بعضهم البعض ، وساعدهم في

[1] د.فؤاد أفرام البستاني:الشعر الجاهلي نشأته-فنونه-صفاته: بحث أدبي انتقادي،د.ط،د، المكتبة الكاثوليكية-بيروت-نت1927م،ص14

[2] ينظر: شوقي ضيف: المرجع السابق،ص 111

*كهلان: وهوالذين تركوا قبل الهجرة بأزيد من قرنين بعد سيل العرم ونزحوا للشمال.

[3] المرجع السابق ،ص113

انشاء لغة تكادُ تكون واحدة والتّفرقة بينها مستحيل وإنْ كان فلا يكون إلاّ بطول الدّراسة والتمكن في التفرقة بين الثقافات العربية بين سكان البدو والحضر كما سبق وذكر برونيلش .

شوقي ضيف يُفسر كيفية جمع الرواية قائلا:" وكانت خطة الرواة في الأمصار وعدد كبير من غير العرب ، يتوجهون إلى أهالي البادية للأخذ من الأعراب الفصحاء ، أو يجعلوا العرب الخلص يقيمون بينهم مددا يطول أحيانًا ويقصر أحيانا ،الجاجة للاستهاد اللغوي وحفظ الشواهد الشعرية ، ومن هنا كانت نقطة بداية نشوء مجاميع الأشعار المفردة التي حواتها العديد من الكتب مثل (المعاني) أو (النواد).

إذا كان حب الشعر يدعوا الى تصنيف المجاميع الشعري ،فإنّ حب الشاعر وقيمته الشعرية دفعتهم لاختيار شعره لصحة عبارته وأفكاره الجيدة"[1].

الروايات:

ساند برونيلش العرب في إحصائية الروايات وتفاوتها بين الموثوق والزائف، باحثين منقبين في الآثار القديمة قصد الوصول للمبتغى، وهو معرفة الإرث الشعري النّقي الصّاف.

كانوا في دراساتهم يتخذون منهج الموضوعية وقد ذكرنا ذلك عن النقاد العرب الأولون كابن قتيبة وابن سلام الجمحي وغيرهم.

حدّدوا الإرث النّقي الصحيح كالمعلقات مثلاً ، وأطلقوا راية الشّك على الشعار التي لمحوا فيها لأنّنا لا ننكر ولم يُنكروا النّحل والتعديل بالزيادة أو النقصان يقول الدّكتور إبراهيم أنيس :" رغم العناية التي قدّمها العرب لآدابهم ،واعتمادهم على الذاكرة الفذّة مهما تكن قوتها، فلا شك أنّ تللك الآثار قد اعتورها من عوامل النقص والزّيادة، مع الضعف في بعض الأحيان ، ما دفع في القديم والحديث على الشك في صحة بعض هذه ا\الاثار"[2] .

رغم التّعصب الذي لاقته الراوية الشفوية من طرف العديد من المستشرقين المتعصبين إلاّ أنّ هناك من اتصف بالأمانة العلمية الصّادقة مثل المستشرق رينولد نيلكسون R .A.Nicholson ،له كتاب بعنوان:" تاريخ العرب الأدبي" يُصّرح فيه :" من خلال هذه العملية (الروائية) لا بُدّ من وقوع أخطاء،سواء عفوية كانت من غير قصد أولسوء النّية تحت ضغط النسيان وخيانة الذّاكرة، أومقصودة لغرض النّحل ، لأبيات أومقطوعات شعرية قوية، ليكن في العلم أنّ الرواة كانوا بمهاة تُعجز علم اللغويين ونقدهم وهناك صنف منهم يقبل الأشعار مهما كان شأنها كحمادة وخلف نموذجين للرّواة الكذابين لا بُدّ

[1] ينظر:يحيى وهيب الجبوري:المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك و التوثيق، المرجع السابق،ص25-26
[2] د.إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية،د.ط،مطبعة أبناء وهبة حسان-مصر-،د.ت،ص34

من أخذ الحذر والحيطة من مروياتهم، ولكن لا شكّ أنّ وراء هؤلاء عددًا كبيرًا من الرّواة المدّققين الثُّقات"[1].

نوّها أيريش للأكاذيب الضاربة للقوة الشعرية والقرآنية ، المفترية على أّنهما مكتوبتان بذات اللّهجة؛ بل الأكثر من ذلك إذ جعلوا بعض الآيات القرآنية نفسها في أبيات شعرية جاهلية.

تصدّى برونيلش لهذه التُّرهات واعتبرها مجرّد حجج للمساس بالحضارة العربية والإسلامية وعليه نجده قد استند مجددا على المراجع العربية السّباقة بالشّرح و الايضاح في هذه النقاط الحساسة.

القرآن الكريم أتى بأسلوب فريد من نوعه ،صرّح الدّكتور محمد أمين بني عامر قائلا:" هل يُعقل أنْ يأتي أميّ بهذا الإعجاز اللغوي الفريد الغريب"[2]؛ المعنى واضح في قوله القاصد بأنّ الأسلوب الذي جاء به القرآن الكريم غير مألوف لدى العرب، وأكثر أسلوب كان شائعًا آنذاك هو الأسلوب الشعري طبعًا.

داعم الدّكنور الجندي الرّأي الأخير وراح مفصلا فيه أكثر إذ قال: تتحرّرت لغة القرآن من الأساليب العربية التقليدية وجاءت بأساليب مُتعدّدة تذوقها العرب وطاروا بها وبمعانيها لذّة وفرحًا فلم يكن نظمه أسير السّجع والقافية ،بعيدًا كل البُعد عن سجع الكُّهان في الجاهلية ،فلا يُمكن عقد مقارنة بين لغة القرآن ، والشعر لتباعد المقامات و المقالات."[3]؛ دليلٌ في كلامه على أنّ القرآن خالف تمامًا الأسلوب الشعري ،بعيدٌ عن الوزن والقافية وسجع الكُّهان عبارات دالة على الأسلوب الشعري الجاهلي.

من المستشرقين الذين درسوا الموضوع جولد تسيهر ، ذهب إلى أنّ القرآن هو عماد الدين الإسلامي وهو عبارة عن كتاب مُقدّس ، والدّستور المُوحى به ، وأنّه مزيجٌ من الطوابع المختلفة اختلافًا جوهريًا، والتي طُبعت في العصرين الأولين من عهد طفولة الإسلام."؛ يقصد هذا المستشرق بالطوابع المختلفة الأسلوب الشعري الجاهلي وأسلوب النثر من ذات العصر .

يُفيض أستاذ الدّكتور خليل عبد سالم الرفوع بقوله:" الشعر المُتَحدّى والقرآن المُتحدِّي فيهما من الإبداع ، يمُور بالجمال والتّجديد مع اختلاف في زمنية التشكُّل والهدف والمؤلف يمكن رفع المقارنة بينهما في الجودة البيانية ،ولا يمكن لأي مقارنة أن تنهض حقيقة لسبب رئيسي وهو أن هذه المقاربة لا تصح و لا تكون بين الخالق والمخلوق"؛فالله عزّوجل أنزل كلامه بخاصية مفردة بيانًا وجمالاً وسياقًا،

[1] يحيى وهيب الجبوري: المستشرقون والشعر الجاهلي،المرجع السابق،ص 36
[2] د.محمد امين بني عامر: المستشرقون والقرءن الكريم،ط1،دار الأمل-الأردن-،ت 2004م،ص221
[3] د.الجندي: الإسلام في وجه التغريب،د.ط، مخططات التبشر و الاستشراق ، دار الاعتصادم ، مطابع الناشر العربي — مصر-، ص 24

يقول في هذا الدكتور خليل سالم:" لو أخذناهما نصوصًا محضة فلن يصل الشعر بمجموعه إلى مستوى القرآن جودةً بيانًا جمالية سياق و انديا ح صور وتكامل أفكار"[1].

علاوة على ذلك فقد أنفى الله عن القرآن العظيم الشعرية وعن رسوله ﷺ الشّاعرية، ثمّ إنّ القرآن نصٌ واحد متكامل صحيح صادق مُشرّع ، والشعر نصوص لشعراء متباينين زمانيا ومكانيا، قلبيًّا وموضوعيًّا وبنىً شكلية ، لا نُنكر أنّ هناك جمعًا من المشاعر والآمال والأوزان وقوافٍ وغنائية مؤثرة في كيان العرب تساهم في توحيد وجدانهم مع الارتقاء بهم حتى قِيل : الشعر الجاهلي ديوان العرب ،إلا أنّ فيه من الفكر نوعًا من الضعف والسّوقية مباشرة ونزعة قبلية والإباحة الجسدية"[2]، وفي موضعً آخر قال:" لقد أُسس العقل العربي على قواعد لسانية وأسلوبية ناضجة من الفكر والفلسفة والتأمل والنقد مُشبعًا بالفصاحة والبلاغة ، خطابًا مقروءً ومكتوبًا ومُتخيّلاً؛ لذا لم ينشغل ذلك العقل (الشعر) بعدما سمع القرآن لجمالية البيان بعد الدّهشة الثقافية الأولى لسماعه الشعر "[3]؛ وعليه فالشعر الجاهلي كان المؤسس لعقل العربي ثمّ جاء القرآن مُتممًا.

القرآن الكريم عند نزوله لم يكن بالغريب على العرب أو عن لغتهم، بل هو من رحيقها و شذاها، فقد تنزّل علة سُنن العرب في التعبير،وهو كتابٌ فكريّ إعجازي شمولي، عَقِديّ ، بيد أنّ الجمال البياني الذي يطبعه كان مصدر جذب وإغراء في قراءته وفي تأمله[4]؛ حيث أننا نُدرك مكانة الشع اللغوية الساحرة ، الهزجة والرّجزة لدرجة توصل به إلى العشق والهوس به، حتى هناك هوسٌ بأنه آتٍ من عالم الجنّ ،هم المسؤلون عن إيحائه لأتباعهم الشعراء في وادٍ يدعى بواد عبقر؛ إلا أنّ لغة القرآن المُعجّز الرّاقية بلاغيًّا ،نحويًّا وصرفيًّا أعجزتهم أكيد فيكفينا أنْ ننظر إلى مصدره الرّباني.

روى الرواة أنّ الوليد بن المغيرة كان ألّذ خصومه يتلوا آياتٍ من الذّكر الحكيم، فتوجه إلى نفر من قُريش ليُخبرهم بما سمعه قائلا:" والله لقد سمعتُ كلام ماهو بكلام إنسٍ ولا بكلام الجنّ، وإنّ أعلاه لمُثّمرٌ وإنّ أسفله لمُخدق"[5].

كيف يُعقل أنْ يُكتب بلهجة الشعر ؟!

أمّا فيما يخصّ اللغة القرآنية ووجود آيات منها في أبيات شعرية شعرية قد أفضنا في هذا الموضوع آنفافي دنا على المستشرق سانكلير تيسدال بالأدلّة والبراهين.

---

[1] أ.د: خليل عبد سالم الرفوع: أثر الشعر والقرآن في البناء الفنّي للصورة اللغوية، مجلة كلية اللغة العربية-القاهرة-،العدد 39،د.ت،ص 2232

[2] المرجع السابق،ص 2232

[3] المرجع نفسه،ص 2233

[4] ينظر: المرجع نفسه،ص 2235

[5] ينظر:شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)،ط7ج2، دار المعارف-مصر-ت 1976ص 31

القَسم في الشعر الجاهلي:

لفظة القسم في الشعر الجاهلي وقبل مجيء الإسلام بفترة زمنية بعيدة ، أعطت فرصة للمتعصّبين للقيام بحملة تشكيكية في الإرث الشعري من جهة وفي مصداقية القرآن والدين من جهةٍ أخرى دحض برونيلش كل هذه الاشعات واعتبرها أكاذيب يمكن تدحيضها.

عمد أغلب المستشرقون في دراساتهم ألى الضرب والتقليل من شأن القرآن ،وللتكرار في لفظة القسم" الله"،والتي وضعوها في ميزان النقص والضعف أو حتى الكذب بصريح العبارة.

ردّ أيريش برونيلش الأمر لاستبعاد المسلمين الأشعار التي تُركزّ وتُزين عباد الأوتان خاصة أهل البدو فقد عرفوا بقلّة تدينهم وانحرافهم.

فصّل الدّكتور طه حسين في هاتين النقطتين مُعبرًا ومُخاطبًا القُرّاءبأنّ القرآن هو المصدر الوحيد الصّادق و الكاشف ، نستطيع القول بأنّه يُمثل المرآة للحياة الجاهلية وإنْ كان في الأمر غرابة ، ولكن الأمر بديهيّ للغاية من اليسير جدًّا أنْ نُدرك إعجاب النّاس وتأثرهم بالتلاوة القرآنية ، إنْ لم تكن بينهم وبينه صلة ؛ هذه الصّلة التي تتواجد بين الأثر الفنّي البديعي وبين إعجاب السَّامعين والناظرين إليه ، من غير المعقول أنْ نُصدق أنّ العرب قد قاوموا القرآن وناهضوه وجادلوا النبي عليه الصلاة والسلام من غير أنْ يفهموه،كما لا يمكننا تصديق أنّ القرآن كان جديدًا كله على العرب ، لو كان كذلك لما فهموه ولا آمن به البعض، فالشيء الجديد هو الأسلوب الذيّ جاء به ، وبما يدعوا إليه، جديدًا في شرعه الدينّي والقانوني ، جاء بلغة عربية أدبية التي كان النّاسُ في عصره(الجاهلي)[1]؛أبرز طه حسين السّمات الجديدة التي جاء بها القرآن الكريم ،إذْ فصّل بين نقاط التّشابه والاختلاف بينه وبين اللغة و الشعر، مُفسرًا طبيعة العلاقة التي تجمع القرآن والشعر العربي القديم.

الدّيانات في الشعر العربي القديم:

فيما يخصّ ذكر الديانات لسابقة المنعدمة في الشعر والتزامه بالوثنية لا غير، أمرٌ خالٍ من العجب و الاستغراب، فالقرآن هو دين الخالق الممّتاز بقوة أسلوبه وبلاغته وخروجه عن المألوف .

بلغ القوة الأسلوبية وله شموخٌ وعظمة التي ردّت على اليهود والنصارى والصائبة والمجوس .

[1] د.طه حسين:في الشعر الجاهلي: تقديم ودراسة و تحليل: د. سامح كريم،د.ط، الدار المصرية اللبنانية، ص 26-27

من هنا تبز قيمته وخطره ، فأنت تستطيع أنْ تُهاجم منْ تُريد وتردّ عليه بأشدّ الردود وأقصى الهجمات خصوصا إنْ كان الردّ وجهًا لوجه، ما فعلته القوة الإسلامية في العصر الجاهلي، فقد كانت قوة ضاربة ومصدر معتمد للبحث عن الحياة الجاهلية من دون مُنازع.[1]

لا شكّ في أنّالدكتور طه حسين لدية الدليل المُقنع على رأيه رّافع راية التعجب قائلا:" لو ليس عجبًا أنْ يعكس الشعر الجاهلي كله من اعطاء صورة الحياة الدينية التي تبدوا واضحة بارزة عن دراسة حياة أيّ قوم من الأقوام... ماخلى منه الشعر القديم ،مُكرّرًا أنّ القرآن أصدق مصدر لظهورها"[2].

3/-المستشرق كارل بروكلمان:Karl Brockelmann

كارل بروكلمان أحد عمالقة الاستشراق الألماني ، وواحد من أعظم علماء الفيزولوجيا في العصر الحديث.

سنحاول في هذه الدراسة الوقوف ما أمكن أنْ نخلُص لأهم الآراء التي تناولها في كتابه:"تاريخ الأدب العربي".

آثار كتابه ضجة في العالم العربي و الغربي، إذ يُعتبر عُصارة علمية ضخمة إثر اعتماده منهجية غير مسبوقة في التأريخ للأدب العربي بمنظور جديد ومتطور.

جاء كتابه في ستة أجزاء، غير أنّ ما يهمنا في هذا الشأن هو الجزء الأول منه المرتبط ببحثنا.

أسهب بروكلمان فيه عن الشعر العربي القديم قبل ظهور الإسلام ، وفي كلّ ما يليق معرفته حول هذا التراث العربي الحامل في طياته الكثير من الإبهام.

أدب الأمة العربية:

وضع الباب الأول من كتابه تحت عنوان أدب الأمة العربية من أوليته لغاية ظهور الإسلام.

تحدث فيه عن انقسام سكان الجزيرة العربية لقسمين(سبأ، معين وحمير):

أهل الجنوب في السهل الساحلي الخصيب: شهدت المنطقة اختلاط الشعوب مع الجنس الشرقي الذي اعتبره نواة الأصل السّامي، مع أجناسٍ من البحر الأبيض المتوسط وعناصر زنجية في بعض الجوانب، ما نتج امتداد العلاقات بالساحل الإفريقي وكان هذا بعيد الزمن قبل التاريخ.[3]

---

[1]ينظر: د.طه حسين ، المرجع السابق،ص 27

[2] المرجع نفسه،ص 27

[3]ينظر: كارل بروكلمان: الريخ الدب العربي،نقله إلى العربية:د. عبد الحليم النجتر،ط5،ج1،دار المعارف –القاهرة-،ت 1983،ص42

اشتهروا لحضارة عقلية تناهت عن تنظيم وتشريع في العلاقات الملكية بعناية ودقة،بالاضافة الكم الهائل من النقوش .

2.1.أهالي العرب:

أهل الشمال تهامه وهضبة نجد :

كان سكانهم الأصلين هم العرب الرّحال، الذي حُفر في عقولهم الطابع البدوي، فالعلاقات والمبادلات التجارية هي التي أوصلت إليهم ريح الحضارة في أرض الحجاز الساحلية.

أثرت بيزنطة الرومية، وفارس على العرب البدو فقامت بفضلها إمارات عربية في أطراف الصحراء بتأثير من الدّولتين السّابقتين[1].

هناك تشتّت سياسي ظاهر لدى العرب إلاّ أنّ هناك العادات والتقاليد، واعتقادات دينينة (قبل الإسلام) ربطت بينهم وجعلتهم كأمةٍ واحدة.،فلغة شعرهم تكشف لنا ذلك.

من ذكر تفاصيلحياتهم الدينية، الاجتماعية والاقتصادية بيّن الشعر الجاهلي رُعاة الغنم التي اشتهر بها أهل الحجاز بجنوب مكة.

يرى هذا المستشرق أنّ لغة الشعر القديم لا يمكن أنْ تكون عبارة عن لغة اخترعها الرواة والأدباء بناءً على تنوع اللّهجات، لأنها وببساطة لمتكن لغة مستعمله لدى العامة؛ بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإنْ غدتها اللّهجات.[2]

يقول :"استوعبت اللغة الشعرية كلّ خصائص الأصل اللغوي السّامي على أكمل استعاب"[3].

يصف كارل اللغة الشعرية بالثراء في المفردات استمدته من لّهجات القبائل، ما لفت أذان علماء اللغة مُمتعةً لأبصارهم .

فقد تفننوا في وصف الرّجولة والإبل ،باستعمال ألفاظٍ خاصة زُيّنت به القصائد العربية القديمة بالنسبة لبروكلمان ،إلاّ أنه لا يمنعنا من ملاحظة ضعف الوعيّ وضيقه لانحصارهم في طابع واحد لم يستطيعوا الخروج منه والإتيان بالجديد.[4]

[1] المرجع السابق ص42
[2] المرجع نفسه،ص 42
[3] المرجع نفسه،ص 43
[4] المرجع نفسه،ص 43

للشعر الجاهلي جاذبية سحرية إلا أنها سرعان ما يأتينا بالاضمحلال والزّوال عندما أقبل عليها المُقلّدين.[1]

1.3. أولية الشعر:

يراها كارل أمر مختلف في صحته غير مضبوط وإنْ تنوعت الرّوايات المأثورة في تقديم الخبر الرّسمي والأكيد وهذا غير ممكن[2].k.Bueher

درس آراء كل من كارل بوخرk.Bueher وهو باحثٌ في علم الاجتماع والاقتصاد السياسي ، نتج عنه قرار في كتابه:"العمل و الغنم" أنّ العرب كان غرضها الشعري هو التغني حسب الطبيعة المنتظمة وحركة العمل الاجتماعي.

لكن يذكر أنّ المستشرق **برويسK.H.Preus** فنّد هذا الرأي ووصف بعدم الاقناع خصوصا بتفسيره ما نتج عن الأمم البدائية خلال البحث والتنقيب في تاريخها.

آثار الغناء المصاحبة للإيقاعات المنتظمة الي تكاد تنعدم، علاوة على ذلك فإنّ النظم الإيقاعي لا يكون متحدّة مع الأغاني دومًا[3]؛ يُعلل نظريته قائلا:" لم يكن الغناء في هذه الأحوال يتناسق مع الوحدة الإيقاعية كالغزل والحياكة مثلا،وإنما كان مجرد وسيلة يتسلى بسحرها العمال"[4].

أيد بروكلمان هذا الأخير إذ أنه لم يجد أثر التأثير السحري في الشعر القديم إلا في أوائله ،أيّ لما كان الغرض الشعري يُبنى على الهجاء.

قبل أنْ يظهر الهجاء في الشعر العربي القديم ، كان يمتلك الشاعرة قوة سحرية ضاربة لقوى الخصم، كان الشعر يتهيأ ويلبس ثوب شبيهُا بثوب الكُّهان وهناك ظهرت تسميت لشاعر أي العالم ؛ ويُقصد به العالم الخبير بالقوة الشعرية السّحرية.[5]

وعليه فالغاية السحرية كانت مُبتغى الشعراء ، حتى الأغاني الصغيرة التي يُردّدها البدائي كانت قاعدتها مبنية على آثار سحرية، يوردوّا الإنسان من خلالها الوصول إلى ما يتمناه ويهواه مُصّورًا حقيقة خياله تصويرًا فنيّا في شعره ،ملهما نفسه بأنه سيتحقق لا محالة.[6]

---

[1] المرجع السابق،ص 43
[2] المرجع نفسه،ص 43
[3] المرجع نفسه،ص 45
[4] ينظر:المرجع نفسه،ص 46
[5] االمرجع نفسه،ص 46
[6] المرجع نفسه،ص 46-47

تكهنهم بالقوة السحرية ومعجزاتها في تحقيق الأحلام والأوهام على أر الواقع ؛وصل لحدّ اليقين المتزايد لدرجة أنهم وضعوا رموزًايستدعون بها رغباتهم وطموحاتهم لتطبيقها على أرض الواقع رغبة منهم في عيشها والتمتع بلذّاتها,

هناك قصة لأحد الأمّهات تُنسب لقبيلة : "الهوتِّنْتوت*" كانت الأم تضع رضيعها في حجرها مقبلة أعضاءه وهي تقول:

يا ذا البصر الحديدَ

وَمنء يَرى بالنّظرِ البعيدِ

كَمْ لكَ بَينَ الوحْشِ مِن طَريدِ

تَسُوقُه يرمًا بلا قيودِ

يا فَرِغ الأذرُعِ والسِّيقانِ

يَا مُحكمَ الأعضَاءِ والبّنيانِ

سَوفَ أَرى سّهمَكَ غَير وَانى

يَصّرعُ كلَّ مُعتدٍ جَانيِ

وسَوفَ تَحوى سَلّبَ الشُّجعانِ

منَ الهَرِيروا* الشّيبِ والفتيانِ[1]

تستدعي الأم هنا القوى السّحرية التي تُريد منها انء تجعل من ابنها فارسًا شُجاعًا لا يهابُ الصّعاب زلا يخاف المصائب وغيرها من الأمثلة التي داعم بها بروكلمان رأيه في هذه النقطة.

ينتقل بالحديث عن الحماسة في الشعر العربي ، لعبت دورًا من أعظم الأدوار وارتسمت على ألسنة شعرائهم، والأمر بسيط لا يحتاج تفسير وطول البحث لأنه باب من ضروب التعبير عن الحرب والشجاعة التي يعتبرونها رمزًا للحضارة يقول فيها:" كان العرب يُفرغون حمية االشّجاعة وثوراتها بين الأبيات

*الهوتِّنْتوت:مجموعة من الشعوب في جنوبي إفريقية، وهي في تكوينها الجسمانييما جبلت عليه من قامات قصيرة وأنوف فطس تختلف كثير عن بقية الشعوب الإفريقية.

[1]كارل بروكلمان، المرجع السابق،ص 47

الهريرو: هم شعب يتصف بالقوة ومحاربة العدوان ، وعملهمالأساسي رعي الأبقار

الشعرية وأثناء الحرب."[1]؛ أيّ أنها كانت من أهم المفاخر العربية تُعزُّ على الأقوام وتزيد من حماسته وحماسة شعرائه للكتابة فيها ، إذ هي رمز الحضارة العربية منذ الجاهلية إلى غاية صدر الإسلام.

ضرب المستشرق الألماني كارل أمثلة بكتاب صفين لابن الجني مزاحم" وهو كتاب غني عن التعريف ،يعتبر من أهم المصادر الشعبية التي قدّمت مقطوعات شعرية من هذا القبيل.[2]

4.1. مواضيع الحب في الشعر الجاهلي:

أمّا فيما يخص موضوع الحب في القصائد الشعرية القديمة فيرى أنها لم تكن من البواعث الأصلية للشعر وإنْ اشتمل الشاعر على الإيماءات الفنّية الصناعية، كما قرأها في

نشيد الإنشاد قائلا:" فإنّنا لا نجدها عند العرب إلاّ قليل"[3].

حتى في فخر امرئ القيس المليئ بمغامرات العشق والتطرف مع الفخر بالبطولة والأغاني الشعبية التي كانت تُغنى في أفراحهم وأعراسهم ، فهي خالية من طابع الحبّ والغزل إلا ما دجاء في أبيتً من النّسيب الخالي من الأحاسيس وطرب العاشق ولوعته وذكرياتت شبابه وأحبابه ،إذا أعطى صورة منهجية جامدة في مطلع القصائد[4].

5.1.قوالب الشعر العربي:

رجّح في هذا الفصل احتمالية كون السّجع أول وأقدم القوالب الشعرية ، قاصًدا قبل ظهور الشعر كان هناك نثر مقفى خالي من الأوزان ما وضحته النقوش اليمنية الدذالة استعمال القوافي .

السّجع هو قالب الكُّهان والعرافون المتداول في أقوالهم والمستعمل في كلاهم كما ورد في القرآن.

استعمل الحكيم الحضري هذا القالب البدائي في الهجاء لغاية عهد بني أميّة.[5]

ترقى هذا الأخير فيما بعد إلى بحر الرّجز المتكون من سببين و وتد،ليحلى سمعه ويبلغ تأثيره في النّفوس، إلا أنّ هناك علماء أنكروا هذا البحر ، ويبدو لبروكلمان أنه قالب الملبي لحاجات الإرتجال لا أكثر.

[1] المرجع السابق،ص 49
[2] ينظر:المرجع نفسه،ص 49
[3] المرجع نفسه،ص 50
[4] المرجع نفسه،ص50
[5] ينظر: المرجع نفسه،ص 51

يرى أنّ من بحر الرّجز تشكلت باقي البحور الشعرية التي ظهر على اثرها الفن الغنائي في الحذاء الركبانية .

يستند بروكلمان لمقولة ابو جعفر:" إذا قال أحدهم الشعر بالركبانية أكفأ والركبانية هي التغنّي به، ويقطع كما يقطع العروض"[1].

يقول الشاعر النابغة بني شيبان :

وَحُوكَ الشّعْرُ مَا أنْشدَت مِنْهُ

يُزَايِلُ بَينَ مُكفئة الْغِنَاءِ

فينف يسيىء الإكفاء فيه

كَمَا يَنْفِي عَنْ الحَدب الغثاءِ[2]

راح بروكلمان يُكذّب ما زعمه المستشرق تكاش أن الفن العروض العربي نشأ من شعر اليونان ، مبينًا أن بحر الرجز لا يشبه العروض اليوناني الثلاثي التفعيلات ،وإنْ كان الشبه فهو شبهٌ ظاهريّ.

فعلم العروض العربي مُستقل، فقد نمى هذا الفن من عند البربر.

تجد البحور طويلة النفس في شعر الحماسة وعند الشعراء الستة، وضع العرب جسبه البحر الطويل في المرتبة الأولى ثم يليه البحر الكامل ،الوافر ثم البسيط.

تفنّن الشعراء العرب في استمال البحور كلٌّ حسب غرضه الشعري، فامرؤ القيس مثلا نجده لستعمل البحر المتقارب أو المنسرح.

طرفة بن العبد ألف قصيدة طويلة بأربعة وثمانين بيتًا من بحر الرمل ...الخ

توجد أبيات شعرية لم تتقيّد بالعروض الذي وضعه الفراهيدي وما وضعه سعيد بن مسعده الأخفش الأوسط في كتابه العروض ، مثل قصائد المرقش الأكبر وعبيدة وغيرهم.

لكن هذه الظواهر تبدو قليلة لا يمكننا الافصال فيها لأننا بحاجة لبحوث شاملة في هذا الفن العريق.[1]

[1] المرجع السابق،ص 51

[2] ديوان النابغة الشيباني عبد الله بن المخارق: شرح وتقديم: قدري مايو،ط1، دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان-ت1995م،22

سعى الشعراء المتأخرون للتخلّص من قيود العروض لكنهم لم يوفقوا إلاّ في حالات ناذرة

6.1. طبيعة الشعر الجاهلي:

انطلق بروكلمان في بداية فصله الرابع محاولا فيه إعطاء فترة زمنية تقريبية للبدايات ظهور الشعر الصحيح نسبيًّا، والتي قدّرها بقرنٍ قبل مولد الرسول ﷺ .

الشعر القديم كان يعتريه الهجاء، ولاكتشاف الرّوابط الجامعة بين الشعر وتلك التّصورات السّحرية لا بد من عدم المبالغة بعد التطرف عن الهجاء.

هم أهم من حملوا الفن الشعري ، وقد مارسوا الفن الوصفي لكل ما يتعلق بالحيوان أوالطبيعة ، اعتمدوه و حافظوا عليه في أشعارهم خشيةً منهم على زواله.

قادهم حرصهم الزّائد عليه إلى إدخال تشبيهاتٍ جريئة مُبالغة في أصالتها وصدقها دون مبالاة بالذّوق أو التأثيرات النفسية البشعة [2].

اهتموا بذكر الإبل والبعير لكثرة اعتمادهم وارتكازهم عليها في أقصى وأصعب ظروف الحياة.

الشاعر الجاهلي حسب بروكلمان لا يتصف بالموضوعية؛ فهو إنسان تغمره روح الفخر والاعتزاز بمجده والتباهي بقبيلته،من هنا نشأ الفخر من الهجاء ماتؤكده لنا معلقتي الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم بن هند بن ملك الحيرة (554م-568)، دافع الول عن قبيلته وردّ عليه الثاني تحذيرًا له ولقبيلته بكر بن وائل من بشتعة العدوان والخوف من قوة قبيلته وعظمتها التي عدوها (قبيلة ثغلب)[3].

امتلك الشاعر الجاهلي خاصية الملاحظة الصائبة وقوة التشبية ، حتى مدارس النقد الفنّي المتأخر لا زالت تُعنى بدراسة البيت لا القصيدة.

أدّلى كارل أنّ الفن الكلامي القديك لا يكون ذا قيمة إلاّ إذا طهرت في وحدة أطول وأكبر ويُقصد بها وحدة القصيدة.[4]

7.1. منهج الشاعر الجاهلي:

اتّبع الشاعر الجاهلي منهجًا مُعين وخاص و هو:

استهلال قصدتي النّسيب والحنين إلى الحبيبة؛ والحنين الذي يعتري الشاعر عند رؤية أطلالها .

---

[1] ينظر: المرجع السابق،ص 54
[2] ينظر:المرجع نفسه،ص 55-56
[3] المرجع نفسه،ص57
[4] المرجع نفسه،ص 57

ثم ينتقل من لوعته واسترجاع ذكرياته إلى وصف مسيرته في المفاوز دون انقطاع ، ثم يخلص للتّرحال وذكر حيوان الوحش ، وفي آخر القصيدة يُفضح عن الستر من تعبيره والقصد من هذه الأبيات أبرز من اعتنق هذا المنهج امرؤ القيس .

كان هذا موضوعه في الفصل الرابع من كتابه،ثمّ ينتقل لفصلٍ آخر للمزيد من الثراء في مجالٍ مغاير أكثر توسعًا.

8.1.رواية الشعر الجاهلي:

كثيرًا ما أثارت هذه القضية جدلاً كبيرًا من طرف النّقاد العرب والغرب، وقد رأينا نماذج منهم فيما سبق .

سنُحاول دراسة آراء هذا المستشرق الألماني الذي خصّ فصلاً كاملاً له.

أول ما نوّه إليه في فصله هو معرفة اهل اليمن للكتابة المستعملة في النقش الآثار القانونية على الحجارة منذ ألف عام على الأقل.

وكانت أراضي الجنوب أغنى بهذه النقوش أكثر من الشمال، رغم وجود دلائل مشكوك في صحتها على وجود نقوش أخرى دينية عرفت باسم "النقوش الثموذية واللحيانية" ،وآخرى باسم "الصفوية" على مقربة من دمشق وُجد نصب حجر تذكاري في 328م على قبر امرئ القيس في النمارة بخط مشتق من الآرامت ربما كان نوع خاص بالكتابة.[1]

لا غرابة في تفوق الكتابة على الراوية الشفوية لا في قدرتها أو في القضاء عليها، فقد كان لكلّ شاعرٍ جاهلي كبير رواية متمكن خاص به يتكفل بنشرها وروايتها بين الناس.

كان الرّواة يعتمدون على الرّواية الشفوية دون الكتابة إلا في الحالات النادرة جدًّا.[2]

لم يكن عرب الجاهلية يتحرزون عن تحريف الرّواة نظرا لقوة ذاكرتهم التي عُرفوا بها، وهي مختلفة تمامًا عن ذاكرة العالم الحديث.

بدأ جمع الأشعار القديمة في العصرين الأموي والعباسي ، وكان جُمّاع الشعر شعراء بذاتهم إذ عدّوه من واجبهم التدقيق في النقل اللغوي وإصلاح فيما رووه بعض الشعراء القدماء بالزيادة أو التغيّير فيه من امثال حمادة.[1]

[1] المرجع السابق ،ص 63
[2] المرجع نفسه ،ص 63- 64-65

إذن فبعض الأشعار القديمة قد غُيّرت ونُسبت لغير قائلها عمدًا، يمكن أن يكون وضع الأشعار وانتحالها راجع لغرض من التمجيد لبعض القبائل.[2]

يختم بروكلمان فصله الخامس من كتابه بالاستنتاج أنّ رغم كلّ العيوب التي مسّت المصادر القديمة مقصودة إلا أنها لم تحظى إلى بدور ثانوي.

لقد أسقطوا كذلك أبياتًا لإيصال الشّبهات بالدين،لكن قلما تبدوا في هذه الحالات ؛ لأنّ الاحساس بالشعور الديني لم يكن غالبًا على نفوس العرب في الجاهلية.[3]

9.1. مصادر الشعر الجاهلي:

خص الغربي بروكلمان الفصل السادس من كتابه للتكلم عن الشعر العربي القديم .

استفتحه بتكلف اللغويون في البصرة والكوفة بجمع ما تبقى من الأشعار القديمة ، من الدّواوين ومجموعات شعرية ومختارات ومنتخبات لتبقى كمصدر عن العصور وللأجيال.[4]

يرد بروكلمان سبب تسمية المعلقات تعود إلى حمادة الرواية الذي وضع اسم :"السموط" و"المعلقات" لدلالة على اختياراته وقصّ الافتخار بها ، رغم أن المتأخرون ردّوا سبب التسمية لتعليق تلك القصائد على جدار الكعبة وهو تفسير يراه بروكلمان سطحي وظاهري.[5]

هناك خمس معلقات حسب الرّوايات المتفق عليها وهي معلقة: امرئ القيس ، طرفة زهير ولبيد،عمرو بن كلثوم.

والمعلقتان الباقيتان هما ل: عنتره و الحارث بن حلزة حسب أغلب الرّوايات ، لكن لمفضل وضع مكانهما قصدتي الأعشى والنابغة، هؤلاء أكبر وأشهر شعراء العرب الجاهليين ما عدا الحارث بن حلزة.

راجع في تفسيراته للسبب التصنيف وتغيراته إلى نولدكه الذي يزعم ويردُّ القضية لقضية تصفية حسابات عدائية بينه وبين القبائل (بكر بن وائل و قبيلة ثغلب) وليس قضية جودة وأصالة شعرية.

ثمّ جاء من ضمّ هذه المعلقتين اللتين اختارهما المفضل لخيارات حمادة وبهذا أصبحت تسع.

جاءت مجموعة التبريزي التي أضافت المعلقة العاشرة وهي قصيدة لعبيد بن الأبرص.[1]

---

[1] المرجع السابق،ص 64-65
[2] ينظر: المرجع نفسه،ص 65
[3] : المرجع السابق،ص 66
[4] ينظر: المرجع نفسه،ص 67
[5] المرجع ،نفسه ص 67

2/-النقد الموّجه لكارل بروكلمان:

بروكلمان مستشرق ألماني له مكانة العظماء والباحثين في التراث العربي، من مخالفاته العلمية القيّمة التي اشتهر فيها وتميّز بها عن من سواه كتابه المدّروس "تاريخ الأدب العربي" الذي هزّ العالم به وبمنهجه الفريد.

سبق ودرسنا ستة فصول من مجلده الأول الخاص بالفترة القديمة الجاهلية ،نظرًا لما تحمله من غموض وإشكال ،فتح للمُتعصبين بابًا واسعا لإرضاء غرورهم وإيصال رسالتهم التعصبية.

سنحاول تسليط الأضواء على أرائه والكشف عن الهدف المُراد من خلال انتاجه العلمي هذا.

1.2.تأريخه للشعر الجاهلي:

في حديه عن الشعر العربي القديم وتأريخه له، لم يكن الرّائد الأول في هذا المجال وإنّما هناك العديد من الشرقين والنّقاد العرب الذين كانوا السّابقين له بالدّراسة والتّأليف فباءت عليه بالفائدة الكبيرة .

لكن المستشرق بروكلمان استطاع أنْ يُحقق شيء جديد والإتيان به ألا وهو الجمع بين آراء النّقاد والكُتّاب العرب مع بعضٍ من المستشرقين، ما أعطاه نظرةً أشمل ومعلومات أدق تتصف بالمصداقية مع امتيّازه بالموضوعية البحثّة.

من الواضح في تقسيمه للشعراء أنه اعتمد على مُؤَلف الناقد الكبير ابن سلام الجمحي " طبقات فحول الشعراء" الذي خصّه بأكمله لتحقيق التقسيم السّليم العدل؛ ليس هذا فحسب بل اقتدى بمنهج الناقد قدامة بن جعفر في الشعر الجاهلي ما يعكسه تحليله وعرضه لأفكاره.

2.2.قضية الأوزان والبحور العروضية :

بالنسبة لأوزان والبحور العروضية تظهر عليه النظرة التّطلعيّة على الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم نسبق وذكرناه في دراستنا لكتابه وغيرهم.

يقول في هذا د. أحمد سمايلوقفش:" إنّ بروكلمان نظر نظرة شاملة غلى الأدب العربي أجهد نفسه في سرد جميع ما وقعت عليه يداه من آراء وآثار في الأدب الذيّ ظلّ يتناوله أزيد من خمسين عامًا."[2]؛ القول واضحٌ وموضّح القصد إذ بروكلمان اختصّ عن غيّره من المستشرقين والعرب بالمادة الجامعة ، فقد ظهرت عله المادة العلمية المُجمّعة التي لا تتحقق إلاّ بسعة الإطلاع وطول البحث والإمعان.

---

[1] المرجع السابق،ص 67-68

[2]: ينظر:د.أحمد سمايلوقفش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،د.ط، دار الفكر العربي-مصر- ت 1998/1418م،ص 315

هذه هو السرّ من وراء الشهرة التي حققها بمؤلف هذا.

تفنّن ودقق في تأريخه للتراث العربي الذيّ أوصله في النّهاية إلى تحويل كتابه من بحث تاريخي إلى مرجع بالغ الأهمية ،الضّام لأعمال المؤلفين والنّقاد ونظرياتهم للشعر العربي القديم قائلا فيه سمايلوقفش:" من الجليّ أنّ بروكلمان جمع بيننظريات وأراء العديد من الكُتاب السّابقين له وبأزمنة بعيدة."[1]

كان تعريب كتابه :" تارخ الأدب العربي" أملاً يراود كل قارئ باحث في اللغة العربية وعلومها ، أو ُحاول سبر جهود هذا العلم مُحاولاً تأسيس ثقافة العالم الجديد لتنمية حضاراته، أو في مُحاولاته لجمع وحصر ما تشتت من تراث الفكر العربي وما تفرقعنها في المكتبات العالمية وخزائن الكتب ، قصد الوصول إلى الفخر والاعتزاز وأن يكون مدادًا لإحياء التراث الخالد ،نظرًا لأعميته وللبحوث التي وُضعت حوله إذ صُنِّف ضمن الدراسات التي قُدّمت للعلم والأدب دافعةً بهما إلى الأمام في الشرق والغرب.

هذه هي المقاصد الكُبرى التي وضعها كارل بروكلمان قصد عينيه في تأليف لهذا الكتاب الغالب عليه الطابع الإنساني.[2]

تناول هذا الأخير في الجزء الأول من كتابه إلى موضوعات ومسائل عديدة تدور في إطار الإرث العربي، فكان فصله الأول يتضمن موضوع أدب الأمة العربية من أوليته إلى مُنتهاه ضامًا فيه تقسيمات العرب واختلاف اللّهجات مع تبيان اوليات ظهور الشعر الجاهلي و مصادره، مُفصلاً في أدق الأمور من أقدم القصائد مع عرضه لأشعار الحماسة...الخ.

ذكرنا آراءه ومحتواه بالتّفصيل ،إذ تبدو عليه النّزعة العلمية، فقد سار على نهج النقاد العرب القدماء ذكر وعلّل لكنه لم يُعارض ويم يُشكّك في صحة معلوماتهم ، أو حتى اتّهام الشعر العربي بالنّحل والوضع يُدلي بشهادته الدّكتور سمايلوقفش:" إنّه لم ينظر إلى أي قضية من الأدب العربي لتفصيلها أو ‘دلاء رأيه الشّخصي فيها، ولم يكن غرضه مواجهة النّقاد والكتّاب القدامى وتوجيه النّقد لهم على أساس الذّوق الفنّي أو الشّروع في تعديل مناهج الأولين ، بهدف إيصال العيب وإظهار ه.

كلّ هذا لم يكن مُبيغاه، كان التطلع على الأدب العربي ومحاولاته تسجيله وعرض تلك الفنون التي كانت في ذلك العصر القديم وترسيخها عبر مختلف الأزمنة و الأمكنة."[3]

[1]: المرجع السابق،ص 315
[2]: د. عبد الحلين النجار: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ،المرجع السابق،ص ط
[3]ينظر:د.أحمد سمايلوقفش: فلسلفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق،ص 316

تطبيق منهج بروكلمان لم يكن بالأمر الهيّن ، فقد كافه وقتًا أطول مما كان يتصوّر رغم طول فترة التأليف .

3.2.أصالة الشعر الجاهلي:

دافع هذا المستشرق عن أصالة الشعر الجاهلي بعيدًا كلّ العبد عم المؤثرات الأجنبية التي اتخذوها ذريعةً لغرس بذور الشّك فيه، فقد زعموا أنّ النّسيب العربي أصوله يونانية من بينهم المستشرق بورادخ ،لكنّه وقف مُدافعًا مُتصديًا لهذه الآراء التّعصبية.[1]

نفى وتصدّى للعديد من التّهم من هذا النّوع كأن يكون تأسيس الشعر العربي غرضه التّكسب، وربط القصيدة بلفظة التّسول كما ادّعى المستشرق جورج ياكوب الألماني .

لاقى بروكلمان كلّ الدّراسات من هذا القبيل بالرّفض الحتمي وعدم القبول ، وردّ نظرية لاندبرج عبارة عن زعمٍ خاطئٍ و مُغالات؛ لأنّ الغرض الشعري كما سبق وذكر يعود لأغراض سحرية والذي تحوّل مع مرور الزّمن إلى غرض سياسي ثمّ تطوّر معناه وتوسّع في جميع أغراض الحياة الاجتماعية.

وضع فصلا كاملا تناول فيه مسألة الرّواية الشفوية للشعر العربي القديم ، فقد شهدت هذه القضية جدلا ونقاشًا حادًا، فهي واحدة من أهم القضايا النقدية العربية على مرّ العصور.

لم يغفل عنها لا النقاد العرب القدامى ولا المستشرقين حديثا ؛ بل معظم حملات التشكيك في الموروث الشعري قولا ورّوايةً آتية من علماء الاستشراق ، دافعوا بقوة وحيّاد علمي مُمنهج ، مُشدّين في تبيان أطالة هذا الإرث الشعري بالخصوص الفترة التي سبقت نزول الوحي.

منهم كارل بروكلمان الواضع لآليات لغوية وتأريخ للرّد على الفئة المُتصدّية والمتعصّبة على التراث العربي ، أكيد ليس من العدم بل بالارتكاز على كُتب القدامى أو إلى ما وصلت إليه الأبحاث المُعاصرة الخاصة بالدّراسات الأدبية المقارنة.

لم يُقبّل من شأن الرّواية الشفوية على العكس ركّز عليها وعلى الدّور الذيّلعبته في توصيل الشعر الجاهلي ، مُبيّنًا قوة الذّاكرة العربية القديمة وحدّتها مُقارنةً مع الذّاكرة الغربية.[2]

[1]ينظر:د.مسعود مكيد: مقال:حقيقة الميول الاستشراقية عند كارل بروكلمان في دراسة الأدب العربي، جامعة البليدة 02، قسم اللغة العربية وآدابها، ت 2019،ص 261

[2]ينظر: بروكلمان : تاريخ الأدب العربي،المرجع نفسه،ص 65

4.2.مرحلة التّدوين:

أمّا فيما يخص أو الكتابة ، فكان بروكلمان جدُّ منطقي في عرضه ح إنْ لم يُلبسها ثوب النّزاهة الخالص الخالي من التّشوهات او التغيّير العمدي في بعض المرات قادت إلى الانتساب او التحريف في بعض الأشعار لأنساب دينية أو قبلية ، امرٌ لا هروب منه لكنّها بالنسبة إلية مُجرّد أدوار ثانوية لا تصح أنْ تُوضع في قالب التّحريف أو التّشكيك في كلِّ ما هو آتً من تلك الحضارة القديمة ، بالخصوص إذا كان المسؤول عن التّدوين هم العلماء المسلمون دون غيرهم.[1]

وعليه لا يمكننا التّقصير في حقّه أو التّقليل من عظمة كتابه الذي شغله من أجل الوصول لهذا المؤلف العلمي المُحايد الذي أكسر كلّ القيود الاستشراقية السّاعية لنقي الحضارة العربية والطعن في الدّين الإسلامي.

علما أنّه كان مُخطأ ومُتعصّبًا في دراسته التي تناولها في الدين الإسلامي ، أكيد لا يمكنه التّحرر الكُلّي من أصله الرّافض والمُعادي للشرق الإسلامي العربي.

إلاّ أنه لم يُخلط الأمور وترك كلٌّ على حذى ، ما ميّزه وجعله بوابةكلّ طالب ومؤلف في المجال.

وعليه ومن خلال مادرسناه وبحثنا فيه عن المستشرق الألماني كارل بروكلمان وبعد الشهدات المُقدّمة والموجهة إليه؛ اتّضح الاتجاه الانساني العالمي الشّامل الغالب في هذا الكتاب الأكثر من القيّم، فهو يُقدّم في دراسته الخاصة بالحضارة العربية الأولية بالرّجوع للحياة العقلية عند العرب وتلسيط النظر إليها قبل أيّ شيء.

نخّتم هنا بقول الدّكتورعبد الحليم النجار عن بروكلمان:" يُحاول أنء يُبذل جهده في تحقيق الدّور العالمي الذيّ اطلع به على الدب العربي بأوسع نطاقه، وفي دفع المواكب العلمية ، وحثّ رُكاب الثقافة والحضارة ، مع السّعي إلى تطبيق الحق والسّعي وراء غاياته والنّظر للجمال بنظرة خير."[2]

لقد ألقى هذا المستشرق الألماني نظرة الفاحص الخبير على الأدب العربي بمختلف ازمنته وأمكنته وفنونه ، نذ نشأته ليومنا هذا :

وجد أصل لغة العرب في الجاهلي وصدر الإسلام ،وأنّ للدولة الأموية لغة محلية خاصة وقد كان لها ادب سريّ وبيان جليّ وفصاحة وبلاغة ، لكن ذلك لك يعدُ أنْ يكون لونًا من الأدب الخاص بحيث أنه لا يتجاوز فن القول وصناعة البيان.

[1] المرجع السابق،ص 66
[2] ينظر: عبد الحليم النجار: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، المرجع نفسه،ص،ط

أخذ بروكلمان يبحث في أصل اللغة العربية ووصف شعوبها وبيئتها، وأسلوب حياتها ونظام معيشتها ، ثم ينتقل لوصف اللغة العربية وتبيان خصائصها.

وجه بروكلمان عناية لكل ذلك على نحو الأثر الخالد، والكتاب الباقي، ولم يكتفي بهذا، بل حرص على عرض الأصداء و الأثار الأدبية لذلك كله في العالم المحيط بالعرب بأسلوب من الموازنة لا يقدر

عليه إلا من كانت له إحاطة واسعة وأفقه منه معقوة تمكنه من فهم مختلف اللغات والثقافات والفنون.[1]

[1]ينظر:المرجع السابق ص ئ

خاتمة

ختاما بعد البحث الطويل في موضوع الشعر العربي القديم في النظور الاستشراقي للمدرسة الانجليزية والألمانية ،ونظر للمكانة العالية التي يشهدها الشعر الجاهلي نتوصلنا للعرض أهم النتائج المتوصل إليها:

- للشعر العربي القدديم مكانة خاصة لدى العرب نقادا وأدباء، سبق وذكرنا ذلك في المتنن.

وقضية النّحل تعتبر من أهم القضايا الشائكة الحائمة حول أصالة الموروث الشعري ومصداقية كيانه ، لذا ارتقى الناقد ابن سلام الجمحي بالمسألة إلى التنظير المنهجي واصفا مُحللا ومُعللا للمتن والسّند معا؛ عُرف ابن سلام الجمحي بالمسألة " بالعقل التركيبي المُترصد" للمرويات القديمة فاحصا إيّاها فحصا دقيقا دالا على سعة خبرته في المجال، دون أنْ نتغافل عن النقد الفنّي الخادم للتخليص نسبة الأشعار لأصحابها.

- لم يكن ابن سلام وحده من تناول القضايا الشعرية الجاهلية، بل كان هناك نقاد آخرون ساروا على دربه الذي يُبنى على التنظير المنهجي من بينهم الناقد عمرو ابن بحر الجاحظ وابن رشيق القيرواني المُشار إليهم في دراستنا للموضوع، مُشيرا لأسباب النّحل في كتابه الحيوان والبيان والتبيّن، كذلك الحال وابن رشيق القيرواني في العمدةوغيرهم من النقاد.
- تفطن العرب للرّواية الشعرية الجاهلية الصحيحة من الزائفة ونشاطهم المبذول في التمحيص والتدقيق لا يمكن نكراه أو التغافل عنه.
- استفرد الاستشراق بالشؤن الحضارية العربية والإسلامية ، وكان للدرس الإسلامي الحظ الأوفر ، تنامى وانتشر في مختلف الدول الأوروبية من بينها إنجيلترا .

المدرسة الانجليزية:

- كان مسعاها ظاهر وواضح وضوح الشمس وهو الطعن في الديانة الإسلامية بالدرجة الأولى

و استهداف الدول الشرقية من كل النواحي الاجتماعية، الثقافية ، الفكرية والدينية جاعلين منها بؤرة استدمار.

- سهروا وحاولوا بشتى الطرق التوصل لمبتغاهم الاستدماري، الأمر الذي جعلهم يلتمسون العلمية.إذ درسوا الشعر العربي القديم وجعلوه منفذا للطعن في القوة الضاربة التي شكلت في أنفسهم الرعب والخوف وهي الإسلام، هذا الدين يعتنه المئات من النصرانيين يوميا قال الأمير الكايتاني:" إنّ العرب استولوا على العالم مرة وقد يفقعلونها مرة آخرى".
- طابع التّعصب ضد الإسلام لا يمكن لأحد إخفاءه عند مرجليوث، فقد نفى الشعر الجاهلي في تلك الحقبة الزمنية البعيدة ، وردّه للرسول ﷺ واصفا إيّاه بكل المواصفات ماعدى النّبوة؛ إلاّ أنّ

المتعمن في أقواله يجد تصريحا له أعلن فيه عن سوء فهمه للغة العربية مع ضُعف دراسته للشّعر العربي، فقابلته جملة من الانتقادات الغربية قبل العربية .

- سار على خطاه المستشرق سان كلير تيسدال مُستشهدًا بسورٍ من القرآن الكريم ووضعها في ميزان المقارنة مع الأقوال البشرية الفطرية؛ إذْ حتّم على أنّ لغة القرآن الكريم هي لغة الشعر الجاهلي وعلى أنّ الرسول عليه الله عليه وسلم شاعر وليس برسوله ،وعليه يتوصل بأنّ ليس هناك ديانة أخرى بعد الديانة المسيحية واليهودية.
- الصعوباتت اللغوية شكّلت مشكلا عويصًا في وجه المستشرقين أدّت بهم لعدم فهم التعاليم الإسلامية وإعطاءها حقها الكامل .
- لن نكون منكرين معممين لنفس الأحكام،فهناك مستشرقين من ذات المدرسة إلا أنّهم اجتهدوا في دراساتهم للشعر القديم وتمعنوا في الألفاظ السّماوية الرّبانية التي أتى بها أشرف الخلق الأميّ، فأدلوا بشهادة علمية خالية من الأضغان السياسية والتّعصبات العرقية كالمستشرق تشارلز ليل الذي تصدى بدوره لمرجليوث ناقدا للرائد مدرسته، مداعما وناصفا لآراء النّقاد العرب القدامى.
- أما المدرسة الألمانية المعروفة بصدقها العلمي وعدم تبنيها للفكرة التّعصبّية،كان روادها من بينهم تيودور نولدكه منصفا نوعا ما في إلقاء أحكامه النقدية المتعلق بالشعر الجاهلي وصحته، لم يمس الدين بالذكر أو بربطه مع الشعر أو بلغته ولكنه كان مُشكّكا في صحة وجود الشعر العربي القديم في الفترة الجاهاية حاصرا إيّاه مابين العصر الإسلامي والعصر الأموي فقابلته جملة من الانتقادات الغربية قبل العربية.
- بروينلش وبروكلمان حللا وناقشا الشعر العربي القديم في إطار كله علمية مع التّحقق من ما ذهب إليه العرب متوصلين في الأخير إلى الاعتماد على مذاهبهم ودراساتهم ناقدين المستشرق البريطاني صموئيل مرجليوث في دراسته الحاملة للأسلوب التشكيكي السّاعي لاسقاط الحضارة العربية السّامية من جهة وإلحاق التّهم والشّبهات بالدين من جهة أخرى،إذ لم يخرجوا عن الطّابع البحثي النّبيل، على إثرهم أصبحت المدرسة الاستشراقية الألمانية ليومنا يُشهد لها بالنّزاهة العلمية والبُعد عن التّعصبية وحب الاستدمار ، بالرّغم من التّغيّير الذي مسّ الاستشراق المعاصر ، ورغم تَغيُّر المساعي والأهداف .
- وعليه فإنّ مذهب المدرسة الانجليزية هو مذهبٌ تعصبي استدماري للدول الشرقية الإسلامية عكس المدرسة الألمانية المُتمسكة بالعلمية وأكاديمية البحث العلمي ،لدى توصلت للنفس النتاج العلمي مع العرب القدامى والمحدثين، حتى وإنْ وُجد اختلاف ومنَ الطبيعي يكون لكلٍّ أفكاره وتحليلاته إلا أنّها لم تلتصق بالإسلام ولا بكتاب الله المُنزّل على نبيّينا الشريف عليه الصلاة

والسلام، فقد اتخذوا من الحضارة الشعرية الجاهلية سبيلا ملتويا تحت شعار التحفيز والحث على البحث العلمي الاستشراقي .

- يمكننا أنْ ندليّ بشهادة التاريخ أنه لا يوجد دين تعرض للثّلب والعدوان والافتراء والمحاربة كالدين الإسلامي.

وأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في مسعانا العلمي ولو بالدرجة القليل ، أشكر الله لي ولكم على توفيقي في إتمام مشواري العلمي ، ونعتذر إن قصرنا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المهداة سيدنا وحبيبنا عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام.

1.دفيد صموئيل مرجليوث:David Samuel Margoliouth

مستشرق انجليزي ولد عام 1858م، عُين أستاذا في جامعة أكسفورد سنة 1889م، ومن تم بدأ مسيرته البحثية في شؤن العالم الشرقي، إذ شرع في تعلم اللغة العربية كأول خطوة له.

بدأ في دراسة الإسلام ونشر أعمال وأبحاث عنه ناشرا أول مُؤَلف ديني له في 1905م الموسوم" محمد ونشأة الإسلام "(Mohammed and the Rise Of Islam)

لم يكن غرضه من كتابه هذا التهجم على الإسلام لكنه وصف شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالعظمة والمقدرة الحكيمة التي وجدت القبائل وأقامت دولة من أقوى الدول أصدر كتابا آخر بعنوان "الإسلام" في سنة 1911م.

دراسة مرجليوث للغة العربية وكثرة أبحاثه ولّدت لديه نوعًا من الغرور وثقة زائدة بالنفس ظنّا منه أنه لا أحد يظاهيه في فهم تعاليم الإسلام وتاريخ الحضارة العربية أدق منْ فهمه.

2.تيودور نولدكهTeodor Nolidek

ولد المستشر الألماني تيودور نولدمه في شهر مارس من العام 1936م بمدينة هاربورجHarburg كان أبوه مدرسا في المستوى الثانوي، تفنن وعرف بإتقانه لثلاث لغات أجنبية السامية : العربية، السريانية والعبرية.

تحصل على درجة الدكتوراه عام 1856م برسالة كانت موسومة" تاريخ القرآن".

بعد عامين تخصص في موضوع رسالته وتعمق فيه أكثر، نال عمله هذا جائزة تكريمية في فرنسا بباريس بقيمة مالية قدرت ب1333 فرنك فرنسي.

وبعد عامين توسع هو وتلميذه اشقالي Schwally في نفس الموضوع Geshichte des Qorans

في سنة 1860-1861 أقبل على دراسة الشعر العربي القديم ، أصدر عدة مقالات جمعها في كتابٍ له خصصه بعنوان:" أبحاث لمعرفة شعر العرب القداماء"(**Beitrage Zur Kentnis der Poesie (Alten Araber**

3.إرنست غيلنرErnest Gellner

مستشرق بريطاني ولد سنة 1925م وتوفى عام 1995م.

ألف كتاب هام جد تحت عنوان" المجتمع المسلم" ترجمه الدّكتور أبو بكر باقادر ملخصا إيّاه في مقولته :" الفكرة الرئيسية أو النظرية التي يتمحور حولها هذا المؤّلف هي أنّ الإسلام هو مجرد مسودة للنظام

الاجتماعي ، لأنه يُعبر عن وجود القواعد الأساسية و الأزلية المستقلة عن الارادة البشرية المحدد للنظام الصحيح القائم على بناء المجتمع.

أنفى الدين الإسلامي الحاجة إلة الكنيسة دون إلغاء دور الفقهاء في المجتمع.

4.مكر الأيديولوجيا

د.خزعل الماجدي:

الدّكتور والباحث العراقي خزعل الماجدي وهو متخصص في علم وتاريخ الأديان والحضارات القديمة، وهو شاعر وكاتب مسرحي ولد في عام 1951م.

كتب مقالة " مكر الأيديولوجيا" متحدثا فيها عن إقتناع المستشرقين بالطابع العلمي واقتناعهم حتمية تطبيقه، وبهذا فلديهم كل الحق في إثارة مفاهيم تمس الإسلام بالضرر حتى وإنء كانت مفاهيم ضبابية خالية من الدلائل العلمية.

تحدث في موضوع مهم ظهر في الاستشراق الجديد وهو مشكل اختلاط المنهج العلمي بالنزعة الايديولوجيا كامنة أو ظاهرة ومقصودة الدّالة على مختلاجات صاحبها ومكنوناته في شتى المجالات العلمية، السياسيو والدينية والوطنية، وهو أمرٌ منافي بالضرورة للبحث العلمي الأكاديمي.

اشهر مقولة استشراقية حول القرآن الكريم:

جولد تسيهر Gold Zine Ignac أحد المستشرقين الذين تفنّنوا في وصم الإسلام والقرآن الكريم بالتكذيب من أشهر مقولاته:" القرآن هو الأساس الأول للدين الإسلامي ،وهو كتابه المقدَّس والدستور الموحى به، وهو في مجموعه مزيج من الطوابع المختلفة اختلافا جوهريا،والتي طُبعت كلا من العصرين الأولين من عهد طفولة الإسلام".

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

المعاجم:

1. ابن منظورمحمد بن مكرم الإفريقي: **لسان العرب**، ط1،،دار صادر، بيروت-لبنان.
2. ابن منظور : **لسان العرب** ، دار صادر،بيروت،ط1،ت:1410ه،- 1990م
3. أبي الحسين أحمدبن فارس بن زكريا الرّازي:أبو الحسين أحمد :**معجم مقاييس اللغة**، وضع ميزانه:إبراهيم شمس الدين ،د.ط، ج:الأول ، دار الكتب الكتب العلمية،بيروت-لبنان-ت:1971م.
4. عبد الرحميد الهنداوي :**كتاب العين** :مرتب على حروف معجم: الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ج2،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان.

الكتب:

5. إبراهيم أنيس: **في اللهجات العربية**،د.ط، مطبعة أبناء وهبة حسان-مصر.
6. إبراهيم عوض: **مصادر القرآن "دراسات لشبهات المستشرقين والمتبدئين حول الوحي المحمدي**، د.ط، د.،ت 2006م.
7. ابن أبي الأصبع المصري: **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر إعجاز القرآن** ، تحقيق: د.مهدي علام،د.ط،لجنة إحياء التراث ، القاهرة-،ت 1963م.
8. ابن داوود الظاهري الأصفهاني، **الزهراء**،فصل : ،د.ط،المكتبة الشاملة الحديثة.
9. ابن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**،د.ط،ج1.
10. ابن سلام الجمحي **: طبقات فحول الشعراء** ، تحقيق د. محمود محمد شاكر ،د: المدني ، مصر ،مج:2
11. ابن سلام الجمحي أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصريّ: **طبقات فحول الشعراء(عرض ونقد وتحليل)**، تحقيق: محمود محمد شاكر،د.ط، دار المدني، مصر .
12. ابن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء:** إعداد : خليل الشيخ، ط1 دار الكتب الوطنية-أبوظبي-،ت2014.

13. ابن سلام الجمحي:**طبقات فحول الشعراء** ، تحقيق د: طه إبراهيم،د.ط، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،ت:1422ه/2001م .

14. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**،ط1، دار الكتب العلمية –بيروت- ت1971م.

15. ابن كثير القرشي :**قصص الأنبياء**: بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها، وضع حواشيه: - محمد عبد القادر شاهين ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

16. ابن كثير عماد الدين أبي الفداء الدِّمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد فيصل العجماوي، محمد السيد رشاد ، عللي احمد عبد الباقي،سورة الشعراء، الآية :224،مؤسسة قرطبة، جيزة ،ط1،ت:1421ه-2000م.

17. أبو الطيب اللغوي:**مراتب النحويين**:تقديم وتعليق:محمد زينهم ومحمد عزب،د.ط، دار الآفاق العربية-مصر-ت2003م .

18. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي: **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ، تحقيق: زينب ابراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط3،،ت:1048ه - 1973م.

19. أبو عبد الله بن عمران المزرباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء ،د.ط،جمعية الكتب العربية-القاهرة-1343ه/1925م.

20. أبي زيد محمد أبي الخطاب القرشي:**جمهرة أشعار العرب**، د.ط،شرح وتحقيق: علي فاغور، دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان،ت:1971م.

21. أبي سعيد الشكري :**ديوان امرئ القيس وملحقاته** ،ط1،مج1،مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات المتحدة-العين-ت 2000م.

22. أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري القرطبي: **مُختصر تفسير القُرطبي** : اختصره وخرّج حديثه: الشيخ عرفان حَوّنة،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ج2.

23. أبي عثمان عمروا بن بحر الجاحظ :**الحيوان**: تحقيق: عبد السلام محمد هارون،ج1،ط2،مطبعة الحلبي –القاهرة-،ت:1384ه-1965م.

24. أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الرومي الخفي: المعرو: يوسف أفندي زاده: **نجاح القتري لصحيح البخاري**:للإمام: إشراف : عبد الحفيظ محمدعلي بيضون،،ترقيم الكتاب:محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان،ت 2021م ،ج4.

25. أحمد أكرم الطباع :**ديوان عمروابن كلثوم بن مالك عتاب بن عدنان**: دار القلم-بيروت- ،ت:2016م.

26. أحمد بن محمد القسطلاني :**المواهب اللدونية** بتحقيق: صالح احمد الشامي منح المحمدية ،ط2،الكتب الإسلامي ، بيروت- لبنان،ج2،ت:1425ه/2004م.

27. أحمد سيد محمد : **الروائية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب**،د.ط،دار المعارف-بيروت،ت:1985م .

28. أحمد عبد الرحيم السايح:**الاستشراق ومنهج نقده**،د.ط، مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الأديان-الرباط- ،ت:2005م.

29. أحمد يوسف التيفاشي: **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**: تحقيق: إحسان عباس،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت-،ت 1980م.

30. اسماعيل علي محمد :**الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**: مدخل علمي للدراسة الاستشراق ،ط1،د.الحكمة،ت:1419ه-1998م

31. الأعسم عبد الأمير:**دراسات في الاستشراق**،ط1، دار الفرقد،دمشق ،سوريا، ،ت:2011م.

32. أمجد يوسف الجنابي :**آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية**،ط2،مركز التفسير للدراسات القرآنية –الرياض-،ت2015م.

33. أميل بديع يعقوب :**لامية الشنفرى** ، دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،ط3،ت: 1417ه-1996م.

34. أميل بديع يعقوب :**موسوعة علوم اللغة العربية** د.ط،: دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان ،ت:1971م،ج5.

35. أنور الجندي: **الإسلام في وجه التغريب**،د.ط، مخططات التبشر والاستشراق ، دار الاعتصام، مطابع الناشر العربي،مصر.

36. بسيوني عبد الفتاح فيود : **قراءة في النقد القديم**،د.ط،مؤسسة المختار للطباعة والنشر،جامعة الأزهر.

37. الجاحظ الكناني أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزار الليثي البصري: **الحيوان** : تحقيق: فوزي محمد خين، ط1،مكتبة النور،دمشق، ،ت 1968م،ج4

38. الحاج ساسي سالم: **نقد الخطاب الاستشراقي**، دار المدار الإسلامي ، بيروت-لبنان،د.ط،ت:2002م

39. حمد وطباش :**ديوان الخنساء** ،ط2،دار المعارف بيروت،ت1425ه.

40. حمدو طماس **:ديوان عنتره بن الشداد العبسي،** ط2، دار المعارف-بيوت-ت2004م.

41. الخطيب التبريزي: **ديوان عنتره العبسي:** قدم له: مجيد طراد،ط1،دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان.

42. خلف الله أحمد وعبد الوهاب قايد: **منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم،**الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط،،بالقاهرة--مصر،ت:1393ه-1973م ص: -196-197

43. خليل إبراهيم العطيه: **ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني** ، برواية : ابن السكيت وغيره الشيخ العلامة محمد رضا الشبيبلي،ط1،مطبعة بغداد،ت1962م.

44. ساسي سالم الحاج :**نقد الخطاب الاستشراقي :الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية،**ط1،دار المدار الإسلامي ،بيروت-لبنان-ت:2001-2002م.

45. شوقي ضيف :**تاريخ آداب العرب في العصر الجاهلي،**ط11، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة-مصر، ج 1.

46. شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)،**ط7ج2، دار المعارف-مصر-ت 1976م.

47. شوقي ضيف:**العصر الجاهلي** تصميم: محمد أبو طالب،ط2، دار المعرفة، القاهرة-مصر-ت 2000م.

48. الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني:**المواهب اللذوية بالمنح المحمدية** شرح:مؤمن بن محي الدين الجنان،دار الكتب العلمية،ج2،بيروت-لبنان-،1971م.

49. صلاح الدين المنجد:**المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسمهموا به في الدراسات العربية،**ط1،ج1،دار الكتاب الجديد ،بيروت-لبنان-،ت1978م.

50. صلاح الدين المنجد:**من عظمة الاستشراق الألماني** ،ط1،دار الكتاب الجديد،بيروت-لبنان-،ت:1978م.

51. الطبري أبي جعفر محمد بن جرير:**جامع البيان في تأويل القرآن،**رقم:26841، ج18-19

52.طـه حسـين : **فـي الشـعر الجـاهلي**،ط2،دار المعـارف للطاعـة والنشـر-سوسـة-تـونس-،ت1998م.

53. طـه حسـين:**فـي الشـعر الجـاهلي**: تقـديم ودراسـة و تحليـل: د. سـامح كريم،د.ط، الدار المصرية اللبنانية.

54. عبـاس عبـد السـاتر :**النابغـة الـذبياني**،ط3 ،دار الكتـب العلميـة،بيروت-لبنان،ط3،ت:1996م،ج1

55. عبـد الخطيـب البغـدادي: **الفقـه و المتفقـه**، تصـحيح وتعليـق: اسـماعيل الأنصاري، د: دار الكتب العلمية ، البلد: بيروت ،ت:1980،ج2

56. عبـد الـرؤوف المنـاوي: **فـيض القدير،شـرح:الجـامع الصـغير**،ط2،دار المعارف، ،ت:1391ه-1972م،ج2.

57. عبد اللطيف حمودي الطائي: **اشكالية الرّواية والرواة: دراسة في رواية الشعر العربي قبل الإسلام**،د.ط،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-،ت1971.

58. عثمـان مـوافى:دراسـات النقـد العربـي، دار الوفـاء ،كليـة الأداب، الإسكندرية –مصر.

59. عـدنان محمـود عبيـدات:**ديـوان الأخـنس بـن الشـهاب الثغلبـي** ،إتحـاد الجمعيات العربية،المجلد4،ت:1428ه/2007م.

60. عقيلـة حسـين:**المـرأة المسـلمة والفكـر الاستشـراقي**،ط1،دار بـن حزم،بيروت-لبنان-،ت:1425ه-2005م.

61. علي حسن فاعور **:ديوان زهير بن ابـي سلمى الزمنـي الغطفـاني**:شرح وتحقيق: ،د.ط، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان،ت2003م.

62. عمر فاروق الطبَّاع: **ديوان عبيد الأبرص**،د.ط،دار القلم،بيروت-لبنان.

عمـرو بـن بحـر الجـاحظ:**البيـان و التبـين**: تحقيـق: علـي بـن ملحـم،د.ط، دار الهـلال ،ت:2000م، ج3.

63. عمرو بن بحر الجاحظ: **الحيوان:** إعداد خليل الشيخ : ،ط1،ج1، دار الكتب الثقافية –أبوظبي-،ت 2014م.

64. فاروق خورشيد: **في رواية العربية**،ط2،دار الشروق-بيروت.

65. فاروق عمر فوزي : **الاستشراق والتاريخ الإسلامي:دراسة مقارنة بين وجهـة النظـرة الأوروبيـة** ،جامعـة آل البيـت،ط1،د. الأهليـة-عمـان-المملكـة الأردنيـة الهاشمية-ت:1998م

66. فؤاد أفرام البستاني:**الشعر الجاهلي نشأته-فنونه-صفاته**: بحث أدبي انتقادي،د.ط،د، المكتبة الكاثوليكية-بيروت-،ت1927م.

67. قاسم السمراني:**الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**،ط:1،دار الرفاعي –الرياض-،ت:1403ه-1983م.

68. قدري مايو :**ديوان النابغة الشيباني عبد الله بن المخارق** ،ط1، دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان-ت1995م.

69. كارين صادر : **ديوان المرقشين** ،ط1،دار صادر،،بيروت-لبنان.

70. كامل سليم جاسم الجبوري:**معجم شعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002**،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،د.ت،ج3.

71. مازن بن صلاح المطباتي:**الاستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي :دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس**،د.ط،مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض- ،ت1417ه/1995م.

72. محمد امين بني عامر: **المستشرقون والقرآن** الكريم،ط1،دار الأمل-الأردن-،ت 2004م،ج1.

73. محمد أمين حسن محمد بن عامر: **المستشرقون والقرآن الكريم**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع،الأردن،ت2004م.

74. محمد جبار العبيد :**ديوان عدي بن زيد**،د.ط، شركة دار الجمهورية للنشروالتوزيع،بغداد،ت1965م

75. محمد حسين: **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس** ،د.ط، م1،مكتبة الآداب للطباعة والنشر-المطبعة النموذجية- ت 2015م.

76. محمد سعيد مولوي: **ديوان المرقش الأكبر**،د.ط، المكتب الإسلامي ،ت:1964م

77. محمد سيد الجليند: **الاستشراق والتبشير(قراءة تاريخية موجزة)** ،دار قباء ، القاهرة-مصر، ت:1999م .

78. محمد شلبي:**نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**،الجزائر،د.ط،ت:2001م.

79. محمد علي الصباح: **عنترة بن الشداد حياته وشعره**،د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

80. محمد فاروق النبهان: **الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره**،د.ط،المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-ايسيسكو،ت:1433ه-2012 م

81. محمد معروف الساعدي : **ديوان عنترة** ،تحقيق:محمد معروف الساعدي،ط3،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان،ت:1971 .

82. محمد يحي خراط:**الاستشراق الألماني** ،د.ط، دار الدراسات والبحوث،العدد:2010م.

83. محمد يوسف نجم :**ديوان أوس بن حجر:** د.ط،دار صادر-بيروت-،ت1960م.

84. محمود كيسانه:**لغة القرآن في منظور الاستشراق-دراسة تقويمية نقدية-**،ط1،العدد 10،العتيبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية-العراق-ت1442ه/2021م.

85. مصطفى السباعي :**الاستشراق والمستشرقون**:مالهم وماعليهم،د.ط،دار الوراق

86. مصطفى صادق الرافعي: **تاريخ آداب العرب** ،ط1،،ج1، دار الكتب العلمية-بيروت،ت2000م .

87. مصطفى عبد الشافعي:**ديوان امرؤ القيس** ،دار الكتب العلمية، ببيروت-لبنان،ط5،ت:1425ه-2004م.

88. مصطفى عبد الشافي: **ديوان امرؤ القيس** ،د.ط،دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان،ت2014م.

89. مفيد قميحة:**المعلقات العشر** ،ط5،دار الفكر اللبناني-بيروت-،ت:2002م.

90. مهدي محمد ناصر الدين، **ديوان جرير** د.ط،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان-،ت1971م

91. ميلر:السلام البكاري ود. الصديق بوعلام، د.محمد عابد الجابري**: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم (رؤية نقدي)**،ط1،منشورات الاختلاف، دار الأمل –الرباط،ت1430ه-2003م.

92. ناصر الدين الأسد:**مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية** ،ط1،دار الجيل، بيروت-لبنان-ت.1955م.

93. نوري حمودي :**ديوان الأسود بن يعفر النهشلي** ،ط1،مطبعة الجمهورية –بغداد-،ت1970م.

94. يحي مراد: **افتراءات المستشرقين على الاسلام**،د.ط، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان.

95. يحي مراد: **معجم أسماء المستشرقين**،د.ط،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-ت2004م

96. يحيى الجبوري:**الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي**،د.ط،دار المعارف-بغداد-،ت:1388خ-1968م.

97. يحيى الجبوري:**الشعر الجاهلي خصائصه و وفنونه**،د.ط،دار المجلاوي –عمان-،ت2013.

98. يحيى وهيب الجبوري:المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك و التوثيق ، ط1، دار الغرب الإسلامي-بيروت- ت1997م.

99. اليزيدي: **شرح نقائض جرير والفرزدق**،د.ط،ج2،افي،مصر،ت 1998م.

المراجع المترجمة:

100. إبراهيم عوض: **المستشرقون و القرآن**،ترجمة مونتيه: دراسة ترجمات نفر من المستشرقين الفرنسسين للقرآن وأداتهم ،ط1،مكتبة زهراء الشرق –القاهرة-مصر، ت 1423ه-2003م.

101. أحمد سمايلوفقش: **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي** المعاصر،د.ط، دار الفكر العربي-مصر- ت 1998/1418م.

102. جوزيف شاخت و كليفورد شاخت : **تراث الإسلام**:ترجمة :محد زهير السمهوري،د.حسين مؤنس ود.ود.إحسان صدقي العمد،تحقيق:د.شاكر مصطفى،مراجعة:د.فؤاد زكريا ،دار : علم المعرفة-الكويت-،ت:1978 م.

103. سان كلير تيسدال:**المصادر الأصلية للقرآن الكريم**: ترجمة: عادل جاسم،ط1،منشورات الجمل-بغداد-بيروت-،ت:2013.

104. عبد الرحمن بدوي: **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي:** ترجمها عن الانجليزية والألمانية والفرنسية،ط1، دار العلم للملايين، ت:نوفمبر1979م.

105. كارل بروكلمان: **تاريخ الدب العربي**،نقله إلى العربية:د. عبد الحليم النجتر،ط5،ج1،دار المعارف –القاهرة-،ت 1983م

106. محمد عوني عبد الرؤف:**جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة**،أعده لنشر وقدم له :د.إيمان السعيد جلال،ط1،المجلس الأعلى للثقافة-الجزيرة-القاهرة،ت2004م.

107. يوهان فوك:**تاريخ حركة الاستشراق:الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين**:نقله:عمر لطفي العالم،ط2،دار المدار الإسلامي،ت:2000م.

الرسائل والأطاريح:

108. أكرم عبد الله محمد العوسجي: **دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي (دراسة تحليلية)**، مذكر لنيل شهادة الدكتوراه،إشراف:د.المهداوي إيمان كمال مصطفى ، كلية الآداب واللغات ،الجامعة الإسلامية، بغداد-العراق-،ت 2009م .

109. ضيف الله فاطمة الزهراء:**التاريخ الإسلامي من المنظور الاستشراق الانجليزي**-لويس برنارد أنموذجا- مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه،قسم اللغة العربية وآدابها،تخصص:التأويلية وتحليل الخطاب، تحت إشراف:أ.د. باقي محمد،سيدي بلعباس – الجزائر-،ت:1441ه/2020م.

110. علي قرش: **صحة الشعر الجاهلي بين راسات العرب والمستشرقين – دراسة وصفية مقارنة-** ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستر،جامعة زيدان عاشور-الجلفة-الجزائر،ت2008-2009م.

111. فاطمة فاتح:**الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني:دراسة تحليلية نقدية**،مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه،تحت إشراف د.عبد القادر عيساوي،ت:1437ه/2016م.

112. ميساء صلاح وداي السلامي:**لغة الشعر في المفضليات**: رسالة تخرج لنيل درجة دكتوراه،اشراف:أ.د:سعيد عدنان،جامعة الكوفةنقسم اللغة العربية،ت1427ه/2006م.

الموسوعات والمجلات

113. خليل عبد سالم الرفوع: **أثر الشعر والقرآن في البناء الفنّي للصورة اللغوية**، مجلة كلية اللغة العربية-القاهرة-،العدد 39.

114. رشدي صيف ود.عمر عيلان: **مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين**: مجلة إشكاليات في اللغة و الأدب ،العدد4،المجلد9،جامعة العربي تبسي – تبسة-الجزائر،ت:2009م.

115. محمد يحي خراط:**الاستشراق الألماني** ،د.ط، دار الدراسات والبحوث،العدد:2010م.

116. الموسوعة العالمية،ط2،مؤسسة آمال للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ت1999م. لطيف عبد النبي: **نحو استشراق جديد**، مجلة الاجتهاد،العدد:50-51،ت:2001م

117. ناصر بن محمد عثمان المنيع:**آثار الاستشراق في الدراسات القرآنية (عرض وتحليل)**،د.ط،العدد السادس،مركز البحوث والدراسات الإسلامية،ت:1430ه-2009م.

118. مذكر ناصر القحطاني:**رواية الشعر:قراءة في مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية** ،بحث منشور بمجلة االأثر،جامعة الحدود الشمالية،المملكة العربية - السعودية،ت:2016.0/09/26. نوري حمودي القيس :**ديوان ربيعة بن المفروم الضبي** د.ط، العدد 11،مجلة كلية الآداب واللغات-بغداد-،ت1986م.

ابن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر و أدابه** -TOPDF://HTTP://WWW.AL-MOSTA FA.COM

119. رضا أماني: **دراسة آراء الجاحظ حول الشعر ونقده** ، إعداد: يسرا شادمان،ت:1391/02/15 ، ت.ق: 09 /05 /1391 .

120. سناء شعلان: الخليل بن أحمد الفراهيدي،سلسلة الذين أضاؤا الدرب،نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، العدد6،الرابط: WWW/Amazone.com

121. صالح أحمد حسين الأشرف: **الاستشراق مفهومه وآثاره**،جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية،ت:1437ه/2015م شبكة الألوكة:.www.alalukah.net

مقدمة:.....أ
مدخل: قراءة في المفهوم والخصائص: 11
2.1.خصائص الشعر الجاهلي:..... 13
أ)-خصائص لفظية:..... 13
ب)- الخصائص المعنوية:..... 14
ب)-أما الضرب الثاني:..... 17
1.3.رواية الشعر الجاهلي: 19
2.الانتحال:..... 20
3.قضية الانتحال عند العرب القدماء: 22
1.3-ابن سلام الجمحي: 22
2.3. الجاحظ: 25
ج-ابن رشيق القيرواني: 26
2.3. مميزاته..... 34
3.1.خصائص الاستشراق الألماني: 34
المبحث الأول: الاستشراق ومدارسه:..... 38
1/-الاستشراق: 38
1-3- المستشرق: 40
1-4- نشأة الاستشراق: 40
1-5:الاستشراق عند العرب:..... 43
1-6:الاستشراق لدى علماء الغرب:..... 44
2-المدرسة الانجليزية:..... 48
2-1: الاستشراق الانجليزي:..... 48
2-2:مجالات الاستشراق الانجليزي: 51
1-الترجمة:..... 51
2-التاريخ:..... 51
3-اللغة:..... 51

4-العلوم الاجتماعية:..... 51
5-العلوم البحثة: 52
6-التجارة:..... 52
7-المكتابات: 52
8-**الاتصال بالدول الشرقية:**..... 52
9-تعيين أساتذة من الدول الشرقية:..... 52
2-3:خصائص ومميزات المدرسة الانجليزية:..... 53
1-العمق والدقة:..... 53
2-الصلات القوية بالشرق:..... 53
3-الاهتمام الجغرافي: 53
4- الدراسة الفكرية والثقافية: 54
5-البحث عن الدين الإسلامي: 54
6- طابع العزلة والنزوع عن الواقع: 54
7-الاهتمام بالتراث الشرقي:..... 55
3-الاستشراق الألماني:..... 56
3-1الحركة والنشأة: 56
2-3:مميزات الاستشراق الألماني:..... 58
1 -روح الاعجاب والتقدير:..... 59
3-المكتبات:..... 60
4-الموضوعية:..... 60
5-المنهج: 60
6 -المنهج العلمي الدقيق:..... 60
7- **التأليف:**..... 60
3.1.خصائص الاستشراق الألماني:..... 62
أنواع المستشرقين الألمان:..... 62
أ)- المستشرق التقليدي: 62
الفصل الثاني: المستشرقون الانجليز والشعر الجاهلي 71
1.1-صموئيل مرجليوث:David Samuel Margoliouth..... 72

2.1.الرواة ونحل الشعر: 75
3.1.الأصول العربية قبل الإسلام: ..... **Erreur ! Signet non défini.**
4.1.لغة القرآن والشعر: 79
5.1.المنافسات الشعر: 81
2 :نقد آراء مرجليوث: **83**
1.2.الشعر والشعراء في القرآن: 83
2.2 .أميّة الرسول صلى الله عليه وسلم: 88
3.1.تاريخ ظهور الشعر العربي: 96
2- المستشرق وليام سان كلير تيسدال: **104**
2-1الشعر العربي القديم ولغة القرآن: 104
2.1.سبب تسمية المعلقات: 107
2/-النقد الموجه له: **109**
1.2.انتحال الرسول صلى الله عليه وسلم: 109
3.2.معارضة تيسدال: 110
3.2.اعترافات تيسدال: 114
3/ المستشرق تشارلز جيمس ليالCharles James Lyal(1845-1920م): **123**
1.1.مصداقية جيمس: 123
2.1.الادعاءات على الرواة: 123
3.1.عناية ليال بالشعر: 125
4.1 .النحل و صحة الشعر الجاهلي: 126
1/-المستشرق تيودور نولدكه" من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم..... **142**
1.1.نشأة الشعر العربي القديم 142
2.1.تحديد الفترات الزمانية للبدايات ونهاية الشعر العربي القيم. 142
3.1.القصائد العربية 142
4.1.قضيةالانتحال 142
5.1.خرافة المعلومات 142
2/- مناقشة آراء تيودور نولدكه..... **142**
1.2.الأوليات الشعرية 142

2.2.الأفكار المفردة 142
3.2.دواعي النحل 142
4.2.الثراء اللغوي 142
5.2.الشذرات الشعرية 142
6.2.التصريع في الشعر الجاهلي 142
7.2.المعلقات السبع 142
8.2.قضاء الدين على الشعر الجاهلي 142
المبحث الثاني:برونليشBernelich 142
1.1.الرّواية الشفوية 142
2.1.الرّواية الشعرية الصحيحة 142
3.1.اختلاف اللهجات العربية القديمة 142
4.1.الشعر الجاهلي والديانات السابقة 142
2/- مناقشة أراء برونيلش 142
1.2.انقسام رواة الشعر العربي 142
2.2.محاسن رواية الشعر 142
3.2.المستشرقون المتعصّبون 143
4.2.البدايات الأولى للشعر الجاهلي 143
5.2.موقف برونليش من المتعصبين 143
6.2.الرّوايات 143
7.2.القَسم في الشعر الجاهلي 143
8.2.الدّيانات في الشعر العربي القديم 143
المبحث الثالث:كارل بروكلمان 143
1. 1.أدب الأمة العربية 143
2.1.أهالي العرب 143
3.1. أولية الشعر 143
4.1.مواضيع الحب في الشعر الجاهلي 143
5.1.قوالب الشعر العربي 143
6.1.طبيعة الشعر الجاهلي 143

7.1.منهج الشعر العربي..... 143
8.1.رواية الشعر القديم..... 143
9.1.مصادر الشعر الجاهلي..... 143
2/- النقد الموجه لبروكلمان 143
1.2.تأريخه للشعر الجاهلي..... 143
2.2.قضية الأوزان والبحور العروضية..... 143
3.2.أصالة الشعر الجاهلي 143
4.2.مرحلة التدوين..... 143
الخاتمة: ..... Erreur ! Signet non défini.
الملاحق..... 204
قائمة المصادر والمراجع..... 209
الفهرس: 216

الملخص:

تناولنا بالدراسة في بحثنا المتواضع حول الشعر العربي القديم وبالتحديد العصر الجاهلي منه، فهو الشعر المكنوز الذي تفجرت منه العصور اللاحقة، لم يأتي بمثله أحد ولم يستطيع الإتيان بمثله أحد، لم يأتي بعده كلام أعلى منه إلا القادر الأحد ورسله الكريم ﷺ .

منذ ظهور الحركة الاستشراقية صبت اهتماماتها في الحيّز اللغوي العربي الشعري والقرآني ، عملت وسهرت على التنقيب فيه، أنشأت كراسي خاصة باللغة العربية وألفت وترجمت الكتب العربية.

اجتهدت الدول الأوروبية وأقامت كل دولة تقريبا مدرسة خاصة بها،تعنى بالدراسات الاستشراقية من بينها اخترنا المدرسة الانجليزية والمدرسة الألمانية.

كان الهدف من اختيارنا للموضوع الذي أخذ حقه حصة من الزمن،إقامة مقارنة نقدية تحليلية تبرز فيها اختلاف منهاج المدرستين.

Summary:

In our humble research, We studied ancient poetry,specifically pre- Islamic poetry.

It is the treasured poeyry from which later eras emerged.

No one cam like it and was unable to imitate it.

No words came after it higher than it except the words og the Almaighty, the One and His Noble Messenger, may God bless him and grant peace.

Since the emergence of the movement.

Orientalism focused its interests on the poetic and Qur’anic Arabic linguistic space, worked on exploring it, established special chairs for the Arabic language, and wrote and translated Arabic books.

The European countries worked hard, and almost every country established its own school,concerned with Orientalist studies, and among the we chose the English and the aim of our choice, which took a fair amount of time, was to

establish a critical and analytical comparison highting the difference in the curricula of the two school.